أجاثا كريستي

٣

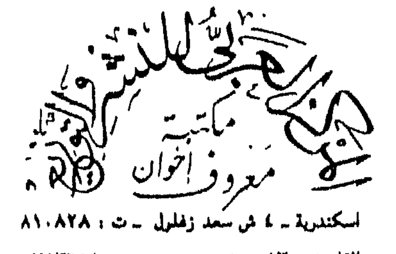
جريمة في العراق

اهداءات ٢٠٠٠
الأستاذ / عاطف جلال
الإسكندرية

اجاثا كريستى

جريمة فى العراق

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال



اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

غلاف واشراف فنى :
أيهاب التركى
إخراج فنى :
منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

مقدمة

وقعت الأحداث التى يضمها هذا الكتاب منذ أربع سنوات ، وأرى ازاء الظروف أن يطلع القارىء على صورة دقيقة منها . فقد جرت الشائعات الغريبة على أن الأدلة الهامة قد أبقيت طى الكتمان ، كما جرت سفاسف أخرى غيرها نشرتها الجرائد الامريكية على وجه الخصوص .

ولأسباب واضحة رؤى ان من الاوفق الا يقوم أحد افراد البعثة بتسجيل هذه الوقائع والأحداث خشية اتهامه بالتحيز ، فقد اقترحت على مس آمى لبذيران أن تضطلع بهذه المهمة لأنها خير من يقوم بها بكل تأكيد ، ولأنه ليس لها معرفة سابقة بأعضاء بعثة جامعة بتستون المقيمين بالعراق ، ولأنها فوق ذلك كانت شاهدة ذكية دقيقة الملاحظة .

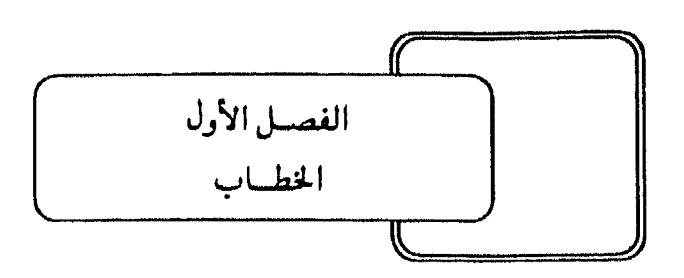
ولم يكن من اليسير اقناع مس لبذيران بالقيام بهذه المهمة ، والواقع أن اقناعها كان من اشق الأعمال التى صادفتنى فى حياتى العملية ، وحتى بعد أن فرغت من مهمتها هذه ابدت نفورا كبيرا قبل أن تسمح لى برؤيتها .

وقد اكتشفت أن هذا يرجع جزئيا الى بعض الملاحظات التى سجلتها بخصوص ابنتى . وقد طمأنتها بهذا الشأن وقلت لها أن الأولاد فى أيامنا هذه لا يتورعون عن انتقاد ابويهم ، وان الآباء يسرهم أن يروا أولادهم معرضين للنقد بدورهم . وكان السبب الثانى لاعتراضها هو تواضعها الجم فيما يتعلق بأسلوبها فى الكتابة وقد طلبت منى أن اصحح لها الأخطاء اللغوية والنحوية التى يزخر بها الكتاب ولكننى على العكس من ذلك رأيت ألا أقوم بتغيير كلمة واحدة من قصتها لأننى أعتقد أن اسلوب مس لبذيران لائق ومتين ويدل على قوة الشخصية ، واذا كانت تتحدث عن هركيول بوارو فتقول تارة بوارو وأخرى " مستر بوارو " فان لمثل هذا التغيير والأختلاف أهميتهما ودلالتهما . فان مهنتها تغلب عليها في بعض الأحيان " والممرضات يحترمن كثيرا آداب المعاشرة والسلوك " . وفى أحيان أخرى تتغلب عليها طبيعتها الانسانية فتنسى

قيود مهنتها .

والشئ الوحيد الذى أقدمت عليه هو أننى كتبت بنفسى الفصل الأول مستعينا بخطاب قدمته لى احدى صديقات مس ليذيران . وكانت قد كتبته لها فى أبان هذه الأحداث وانقله هنا على اعتبار أنه مقدمة لاعطاء القارئ فكرة عن الكاتبة .

* * *



الفصـل الأول
الخطـاب

فى بهو فندق تيجريس بالاس ببغداد كانت احدى الممرضات تكاد أن تفرغ من تحرير خطاب ، وقد راح القلم يجرى على الورق ، وهذا نص ما كتبته :

" ... حسنا يا عزيزتى ... أظن أن هذه هى كل أخبارى ، ويجب أن اقول أنه قد اطربنى كثيرا أن أرى جزءا من العالم ، وان كنت افضل انجلترا عن أى بلد آخر . والحق أن هذه المدينة بعيدة كل البعد عن بغداد الخيالية التى نقرأ عنها فى كتاب الف ليلة وليلة والواقع أن منظر المدينة يبدو جميلا عبر النهر ، ولكن المدينة نفسها ومحلاتها بعيدة عن الجمال . وقد أصطحبنى الميجور كلسى الى الاسواق ، ولا أستطيع أن انكر انها غريبة وطريفة ولكنها ليست اكثر من حلقة من الضوضاء والجلبة والدق على الاوانى النحاسية بحيث أصابنى الصداع ، ولا أظن أننى أفكر أبدا فى استخدام هذه الأوانى النحاسية ما لم أتأكد من نظافتها كل التأكيد ، فلابد للانسان أن يحذر الزنجار عند استعمال مثل هذه الأوانى .

سأكتب اليك لأخبرك بنتيجة سعى الدكتور ريلى فيما يتعلق بالعمل الذى تكلم عنه . وهو يقول أن السيد الامريكى موجود فى بغداد الآن وانه قد يأتى لزيارتى بعد ظهر اليوم لكى يتحدث معى عن زوجته فهو يقول أنها تتوهم بعض الاشياء ولم يزد على ذلك ولكننى أعرف معنى قوله هذا بحكم العادة (وأرجو الا يكون سبب هذه الاوهام هو الافراط فى الشراب) ولم يقل الدكتور ريلى شيئا ولكن نظريته حفلت بكثير من المعانى . والدكتور ليندر من علماء الآثار ، ويقوم فى الصحراء بالتنقيب بحثا عن بعضها لصالح أحد المتاحف الامريكية .

حسنا ياعزيزتى ... سأختم خطابى الآن . وقد تأثرت جدا بما ذكرت لى عن الصغير ستابتز وشقاوته ولكن ما رأى ماترون ؟

صديقتك المخلصة

آمى ليذبران

ووضعت الخطاب فى الظرف وكتبت عليه العنوان : الاخت كبرشو بمستشفى سانت كريستوفر بلندن .

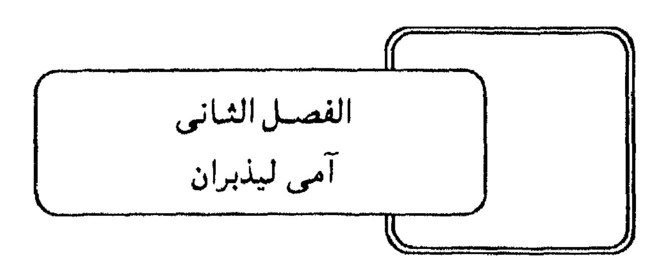
وفيما هى تغطى القلم الحبر دنا منها صبى من الاهالى وقال لها : -

- اقبل الدكتور ليدنر ، وهو يريد أن يراك .

تحولت الممرضة ليذبران فرأت رجلا معتدل القامة محدودب الكتفين قليلا ذا لحية شقراء رقيقة وعينين متعبتين .

أما الدكتور ليدنر فقد رأى امامه امرأة فى الخامسة والثلاثين من العمر معتدلة القامة مليحة الوجه ذات شعر كستنائى وعينين زرقاوين ، وبدت له بوجهها المليح وذكائها المتوقد خير من يقوم بتمريض مرضى الأعصاب .

***



الفصل الثانى
آمى ليذبران

لا أدعى اننى كاتبة أو أن لى آية دراية بالأدب ، ولا أقوم بتسجيل هذه القصة الا لأن الدكتور ريلى قد طلب منى ذلك ومن المستحيل أن يرفض أحد شيئا للدكتور ريلى، وقد قلت له :

- ولكن يا دكتور ... اننى لست أديبة ... لست اديبة على الاطلاق .

فأجبنى : - هراء ... اكتبيها كما لو كنت تكتبين تقاريرك الطبية .

حسنا ... استطيع أن اقوم بكتابة القصة بهذه الطريقة حقا .

واستطرد الدكتور ريلى فى حديثه فقال أن تقريرا إضافيا عن قضية تل يارمجة لابد منه وأردف :

- لو قام أحد ابطال هذه القصة بكتابتها فلن يصدقه أحد ، ويسيرميه بالتحيز حتما

وكان هذا حقا . وعلى الرغم من اننى كنت شاهدة عيان فانه لم تكن لى صلة بما حدث . وسألته أقول :

- ولم لا تكتب أنت هذه القصة بنفسك يا دكتور ؟

- لم أكن موجودا فى مكان الأحداث ثم أن ابنتى لن توافق على ذلك .

وان طريقته فى الخضوع لنزوات هذه الطفلة والنزول عند رغباتها لتثير امتعاضى وقد هممت بأن اقول له ذلك عندما رأيت وميضا يومض فى عينيه ، وهذا اسوأ ما فى الدكتور ريلى ، فالمرء لا يعرف ابدا أن كان يهزل أو يجد ، وهو يتكلم دائما فى تؤدة

وفى اسى ولكن عينيه تومضان خبثا فى أكثر الأوقات

وقلت فى تردد : - حسنا . أظن اننى استطيع أن افعل .

- تستطيعين طبعا .

- ولكننى لا أعرف كيف أبدا .

- وهناك سوابق مماثلة وأفضل شئ هو أن تبدئى من البداية وأن تستمرى حتى النهاية .

قلت فى شك : - ولكننى لا أعرف كيف ولا متى بدأ كل شئ .

- صدقينى أيها الممرضة أن الصعوبة فى البداية لا تقاس بشى أزاء الصعوبة فى معرفة كيف يجب أن تنتهى القصة . هذا ما اشعر به على الأقل حين القى محاضرة ، فلابد لأحد ما أن يشدنى من سترتى لارغامى على الجلوس .

- أوه ... انك تمزح يا دكتور .

- بل أننى اتكلم بكل جد ... ولكن ما رأيك الآن ؟ كان هناك شئ آخر يقلقنى ، وقلت بعد أن ترددت لحظة : -

- ولكننى أخشى يا دكتور أن أكون أكثر ذاتية فى بعض الأحيان .

- حسنا ... حسنا ..كلما وضعت فى هذه القصة من ذات نفسك كلما كان هذا افضل هذه قصة عن كائنات بشرية وليست قصة كاذبة . احتفظى بشخصيتك وتحاملى وتخابثى وأفعلى كل ما تريدين أكتبى القصة بطريقتك الخاصة ، ومهما يكن من أمر فأنه يمكننا فيما بعد أن نستبعد منها المواقف المجحفة . اكتبى واستمرى فى الكتابة فأنت امرأة حساسة وستكتبين هذه القصة بما عهد عنك من ذكاء .

وهكذا فرغنا من الأمر ووعدته بأن ابذل جهدى وهأنذا ابدأ بالكتابة ، ولكن من العسير أن أعرف كيف أبدأ حقا كما قلت للدكتور .

أظن انه يجب أن اذكر كلمة أو كلمتين عنى أنا بالذات ... انا فى الثانية

والثلاثين من عمرى وأسمى آمى ليذيران ، وقد تمرنت على أعمال التمريض فى مستشفى سانت كريستوفر ثم قضيت سنتين بعد ذلك فى احدى مستشفيات الولادة واشتغلت بعد ذلك لحسابى الخاص والتحقت بالعمل فى عيادة مس بندكس الخاصة فى مقاطعة ريفونشاير . وأتيت الى العراق مع مس كلسى وعنيت بها عندما وضعت مولودها . وقد اقبلت الى بغداد هى وزوجها ، وكان قد سبق أن اتفقت مع ممرضة خاصة على أن تعنى بطفلها .

وكانت مسز كلسى رقيقة الحال بحيث انها خشيت على ابنها من هذه الرحلة . ولهذا قرر الميجور كلسى أن ارافقها فى هذه الرحلة لأعنى بالطفل ، وعرض على أن ينقدنى أجر العودة الى انجلترا اذا لم نجد أحدا يحتاج الى ممرضة فى العراق .

ولا حاجة بى الى أن أصف آل كلسى . كان الطفل ظريفا كما كانت أمه مسز كلسى رقيقة لطيفة وان كانت عصبية بعض الشئ . وقد استمتعت بالرحلة جيدا ولم يكن قد سبق لى السفر بالبحر قبل ذلك .

وكان الدكتور ريلى يسافر على نفس الباخرة وهو رجل اسمر الشعر طويل الوجه يلقى بدعاباته ونكاته فى صوت بطئ وأظن أنه كان يطربه أن يضحك على وكان ينطق أمامى بأغرب البيانات لكى يرى هل اصدقها ،

وكان جراحا فى بلد يعرف باسم الحسينية وتبعد عن بغداد بمسيرة يوم ونصف .

وكان قد مضى على اقامتى فى بغداد نحو اسبوع حين التقيت به فى المدينة فسألنى متى اترك خدمة آل كلسى . وادهشنى سؤاله هذا لأن مستر ومسز رايت اللذين كانت تعمل لديهما الممرضة الأخرى التى ستحل محلى لدى آل كلسى كانا يستعدان للعودة الى لندن قبل الموعد المحدد وأن الممرضة المذكورة تستطيع أن تلحق بعملها الجديد عقب سفرهما على الفور .

وقال أنه سمع أن آل رايت سيعودان الى لندن وأنه يسألنى لهذا السبب وأردف

يقول :

- والواقع أن هناك عملا يحتمل أن اعرضه عليك أيتها الممرضة .

- اهو مريض ؟

أخذت ملامحه سمة الجد وقال : - ليس مريضا اذا أردت الدقة ...

هى سيدة تشكو من ... بعض الأوهام ... وان اسمها مسز ليدنر وزوجها ... أمريكى ... أمريكى سويدى اذا توخينا الحقيقة ... وهو على رأس بعثة كبيرة للتنقيب عن الآثار .

وشرح لى كيف ان هذه البعثة تقوم بالحفر والتنقيب عن الآثار فى مدينة كبيرة أشورية ، وان مقر البعثة لا يبعد عن الحسينية ولكنه مكان منعزل وان الدكتور ليدنر يشعر بالقلق منذ بعض الوقت بسبب صحة زوجته . وأردف :

- وهو لم يذكر لى أية تفاصيل فى هذا الصدد ، ولكن يبدو أن مسز ليدنر عرضة لبعض الأوهام المخيفة .

سألته : - وهل يتركها مع الأهالى طوال اليوم ؟

- أوه ، كلا . هناك مجموعة كبيرة ... سبعة أو ثمانية أشخاص ، ولا أظن أنها تبقى وحدها بالبيت فى أى وقت من الأوقات . ولكن يبدو أنه ليس هناك أى شك فى أنها تتوهم أمورا غريبة . وليدنر رجل جم المشاغل ولكنه يعبد زوجته ويقلقه أن يراها تتألم هكذا . وأنه ليكون أسعد حالا اذا عرف أن هناك شخصا مسئولا له دراية وخبرة يعنى بها .

- وما رأى مسز ليدنر نفسها فى هذا الشأن ؟

أجاب الدكتور بلهجة الجد : - أن مسز ليدنر امرأة جميلة فاتنة ، ولا تبقى على رأى واحد يومين متتاليين ، ولكن الفكرة تروق لها على كل حال .

وأردف : - وهى امرأة غريبة الاطوار ... كتلة من التكلف وبطلة فى الكذب على

ما أعتقد ، ولكن يبدو أن ليدنر يعتقد حقا أنها تخاف من شئ ما .

- وماذا قالت لك هى نفسها يا دكتور ؟

- أوه ... انها لم تستشرنى ، وهى لا تميل الى على كل حال ... لأسباب كثيرة .

وانما جاءنى ليدنر بنفسه وعرض على مشروعه ... حسنا . ما رأيك فى هذه الفكرة ايتها الممرضة .

أن هذا العمل سيتيح لك الفرصة لرؤية المزيد من الاماكن قبل عودتك الى الوطن ، فهم سيقومون بالحفر والتنقيب شهرين آخرين ، والحفر والتنقيب عن الآثار أمر مثير .

وبعد لحظة من التردد ادرت فيها الموضوع فى رأسى من كافة الوجوه قلت :

- حسنا ... أعتقد اننى أستطيع أن أحاول .

قال الدكتور ريلى وهو ينهض : - عظيم ، ... أن ليدنر فى بغداد الآن ... سأخبره لكى يأتى ويتفق معك على كل شئ .

وأقبل الدكتور ليدنر الى الفندق عصر ذلك اليوم . وكان رجلا متوسط العمر عصبى الطباع مترددا طيب الشمائل حلو المعشر ولكنه ضعيف الارادة وبدا لى انه يحب زوجته كل الحب . ولكنه شديد الغموض فيما يتعلق بحالتها الصحية . وقال وهو يشد لحيته فى حيرة ، وقد اكتشفت فيما بعد أن هذه الحركة لازمة من لوازمه .

- أن زوجتى تعانى من حالة عصبية شديدة ... وأمرها يزعجنى كثيرا .

سألته : - هل تتمتع بصحة بدنية طيبة ؟

- نعم ... نعم ... اظن ذلك ... لا أعتقد أن لصحتها البدنية دخلا فى ذلك ...

ولكنها ... حسنا ... انها تتوهم أشياء ...

- أي نوع من الأشياء ؟

ولكنه تهرب من الرد وتمتم يقول : انها تتوهم أشياء لا وجود لها ... والحق أننى لا أرى أساسا لمخاوفها هذه

- وهم تخاف يا دكتور ليدنر ؟

أجابنى فى أبهام : - أوه ... هى مخاوف عصبية .

كنت واثقة أن مخاوفها تلك ترجع الى عمليات الحفر والتنقيب وانه لا يدرك ذلك وكثيرا من الرجال لا يدركون ذلك ويتساءلون ماذا يحدث لزوجاتهم . وسألته عما اذا كانت مسز ليدنر هى نفسها ترحب بقدومى فانبسطت اساريره وقال :

- أوه ، نعم . وقد ادهشنى ذلك ... ادهشنى جدا ... قالت انها فكرة رائعة ... وانها ستشعر بأمان أكثر .

وأدهشنى كلمة " أمان " وأستنتجت منها أن مسز ليدنر تشكو من مرض عقلى من غير شك .

وأستطرد يقول فى لهجة صبيانية : - اننى مقتنع بأنكما ستتفقان معا ، فهى امرأة ظريفة حقا .

وأبتسم ابتسامة رقيقة وقال : - وهى تشعر بأنها ستستريح كثيرا الى وجودك معها . وانا نفسى قد احسست بالارتياح التام بمجرد أن رأيتك ... فأنك تبدين لى ، اذا سمحت لى بأن أقول لك ذلك ، بأنك امرأة موفورة الصحة وذات حصافة كبيرة وأننى واثق انك خير من يلزم للويز

قلت فى ابتهاج : - حسنا ... يمكننا أن نحاول يا دكتور ليدنر . أرجو أن اتمكن من خدمة زوجتك ... لعلها تعانى من العصبية بسبب الأهمال وتغيير الجو .

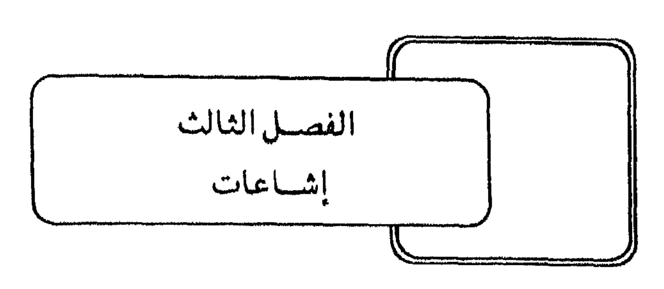
هز الدكتور ليدنر رأسه وقد أطربته هذه الفكرة كثيرا وقال : - أوه ... كلا . أن زوجتى تحب العرب كثيرا وتقدر بساطتهم وسذاجتهم وحبهم للدعابة ... وهذا هو الموسم الثانى لها هنا . وقد تزوجنا منذ سنتين ، ولكنها أصبحت تستطيع التفاهم باللغة العربية .

لزمت الصمت لحظة ثم قلت : - الا يمكنك أن تخبرنى مم تخاف زوجتك يا دكتور

ليدنر ؟

تردد ولكنه لم يلبث أن قال فى بطء : - أرجو - : أعتقد أنها ستخبرك بذلك بنفسها . وكان من هذا كل ما استطعت أن أظفر به منه .

* * *



الفصـل الثالث
إشـاعات

تم الاتفاق على أن اذهب الى تل يارمجا فى الاسبوع التالى ، وكانت مسز كيلسى قد استقر بها المقام فى بيتها بالعلوية . وقد سررت اذ ارحتها من هم نفقات عودتى ولكننى فى انتظار ذلك سمعت اشارة أو اشارتين بخصوص بعثة ليدنر ، فان صديقا لمستر كيلسى مط شفتيه دهشة وصاح -

لويز الجميلة !

ثم تحول الى واستطرد : - هكذا ندعوها يا مس ليذيران ... أنها معروفة بيننا باسم لويز الجميلة .

وسألته : - هل هى جميلة حقا ؟

- هذا هو رأيها علي الأقل ... انها تحسب نفسها كذلك .

وقالت مسز كيلسى : - كن رفيقا بها يا جون ... انك تعرف انها ليست وحدها التى تظن ذلك ... أن الكثيرين ... مدلهون بها .

- لعلك على حق . انها على شئ من الفتنة وأن كانت اسنانها كبيرة .

قالت مسز كيلسى ضاحكة : - ومع ذلك فقد كدت أن تفقد عقلك بسببها .

اضطرب وجه الضابط وأعترف فى شئ من الارتباك : - الحق انها تتمتع بجاذبية كبيرة وليدنر نفسه يعبد الارض التى تمشى فوقها . وجميع أعضاء البعثة مدلهون بها أيضا .

وسألته أقول : - وكم عددهم ؟

أنهم خليط من جميع الاجناس ... مهندس معمارى انجليزى وقسيس فرنسى من

قرطاجة يهتم بالمنقوشات ومس جونسون وهى انجليزية أيضا وتهتم بالزجاجات والقناني ورجل قصير القوام يشتغل بالتصوير الفوتوغرافى ، وهو أمريكى الجنسية وهناك آل مركادو ولا يعرف جنسيتهما غير الله والزوجة شابة فى مقتبل العمر أشبه بالحية وتكره لويز الجميلة . وهناك شابان آخران ... هم فى مجموعهم مجموعة غريبة من الناس لكنهم ظرفاء ، وأظنك توافقنى على هذا يا بنيمان ؟

ونطق بالكلمات الأخيرة مخاطبا رجلا كهلا كان لا يفتأ يدير نظارته بين أصابعه فى تفكير وأجفل حين سمع أسمه ورفع عينيه الى محدثه وقال :

- أوه ... نعم ... انهم قوم ظرفاء حقا ، ذلك اذا أخذنا كلا منهم على حدة .

ولكن مركادو شخص غريب الاطوار .

وقالت مسز كلسى : - أن له لحية غريبة .. لحية مضحكة .

وأستطرد الميجور بنيمان ... دون أن يعبأ بمقاطعتها : - أن الشابين ظريفان ...

ولكن الامريكى عزوف عن الكلام فى حين أن الانجليزى ثرثار ، على عكس ما هو معروف عن هاتين الجنسيتين وليدنر نفسه رجل حلو المعشر .. متواضع ومعتدل ... ولكننى قد اكون واهما فاننى فى آخر مرة ذهبت لزيارتهم احسست احساسا غريبا بأن هناك شيئا غير عادى ولا أدرى ما هو بالتدقيق . ولكن بدا لى أن كلا منهم ليس فى حالته الطبيعية . كان يسودهم جو التوتر ولعلنى أحسن التعبير حين أقول أن كلا منهم كان يجامل الآخر اكثر من اللازم .

وأحمر وجهى قليلا لأننى اكره ابداء رأيى بمثل هذه الصورة وقلت :

- أن الناس اذا ما تعرضوا للاحتكاك بعضهم ببعض هكذا فان هذا يكون مدعاة لأثارة انفعالاتهم وأننى أعرف ذلك من تجربتى الخاصة فى المستشفى .

وقال الميجور كلسى : - هذا صحيح . ولكننا ما زلنا فى بداية الموسم ولم يحن الوقت بعد لمثل هذه الانفعالات .

وقال الميجور بنيمان : - ان البعثة صورة مصغرة لحياتنا فى المعسكر ، ففيها المؤامرات والدسائس والمنافسات والغيرة .

وقال الميجور كلسى : - يبدو أنه قد انضم الى البعثة أشخاص اخرون هذه السنة .

قال الضابط وهو يعد أصابعه : - دعنى أرى ... أن كولمان الشاب جديد ، كذلك ريتر . وايموت وال مركاد ولم يأتوا العام الماضى والأب لافينى عضو جديد هو الآخر ، وقد جاء بدلا من الدكتور بيرد الذى لم يستطع المجئ هذه السنة ، بسبب توعك صحته. أما كارى فهو قديم وقد اشترك فى البعثة مع مس جونسون منذ نحو خمس سنوات .

وقال الميجور كلسى : - كنت أعتقد أنهم يعيشون جميعا فى تل يارمجا على أتم وفاق فهم يعيشون كأفراد أسرة واحدة وهذا ما يدعو الى الدهشة اذا نظرنا الى الطبيعة البشرية . ولعل مس ليذيران توافقنى على هذا .

قلت : - حسنا ... انك على حق ... فان المشاجرات التى شهدتها فى المستشفى كانت تبدأ من غير سبب تقريبا ... خلاف على فنجان شاى مثلا .

وقال الميجور بنيمان : - نعم . ان تفاهة البشر تظهر عند اختلاطهم بعضهم ببعض ولكننى مع ذلك أشعر أن هناك شيئا أكثر من هذا فى الجو . فان ليدنر رجل ظريف معتدل غاية الاعتدال يتمتع بلباقة وحصافة كبيرتين ، وقد تمكن حتى اليوم من خلق جو من السعادة والوئام بين أفراد بعثته ومع ذلك فقد شعرت بأن هناك شيئا من التوتر بينهم فى ذلك اليوم .

ضحكت مسز كيلسى وقالت : - ألم تعرف السبب ؟ ... مع أنه واضح لكل ذى عينين .

- ماذا تعنين ؟

- مسز ليدنر بالطبع .

وقال زوجها : ولكنها امرأة ظويفة يا مارى ليست من دلك النوع الذى يبحث عن المتاعب

لم أقل أنها من النوع الذى يبحث عن المتاعب وانما من النوع الذى يثيرها

كيف ذلك ؟ .. ولماذا ؟

- لأنها ضجرة ، تملكها الملل فهى لا تحفل بالآثار ولا تبالى بها ، وكل ما فى الأمر أنها زوجة عالم من علماء الآثار . . انها تشعر بالضجر والملل وتبنى منهما مأساتها .

ويروق لها أن تبذر الشقاق بين الناس

مارى . انك تتوهمين أشياء لا وجود لها

اننى أتصور طبعا ، ولكنك لم تلبث أن ترى أننى على حق فان لوير الجميلة أشبه بموناليزا ، ولعلها ليست سيئة القصد ولكن يروق لها أن ترى ما سوف يحدث

ولكنها وفية لليدنر مخلصة له

أوه طبعا . اننى لا أعنى علاقات بذيئة ولكنها امرأة مثيرة

قال الميجور كلسى . واها للنساء ما أرقهن نحو أنفسهن !

اننى أعرف ما تعنيه تريد أن تقول اننا كالقطط تخدش بعضها ولكنها فى العادة على حق فى حكمنا على أنفسنا

قال الميجور بنيمان فى تفكير - اذا افترضنا أن مس كلسى على حق فى حكمها هذا فان ذلك لا يبرر جو التوتر الغريب الذى يسود المكان وهو جو أشبه بذلك الجو الذى يسبق العاصفة . وأشعر بأن العاصفة ستنفجر ما بين لحظة وأخرى .

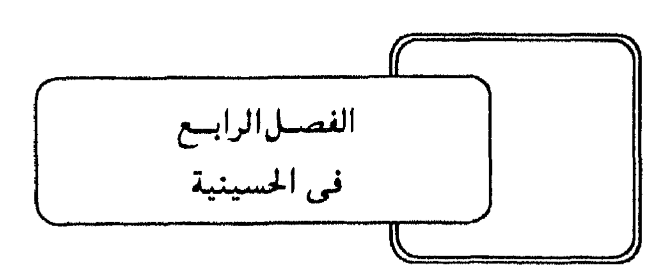
قالت مس كلسى . لا تثير خوف الممرضة أيها الميجور فهى ستذهب هناك بعد ثلاثة أيام واذا أنت أفزعتها فستبادر بالهرب

قلت ضاحكة آه اننى لا أخاف بمثل هذه السهولة

ومع ذلك فقد رحت أفكر فى كل ما سمعته وعادت الى ذاكرتى كلمة الأمان التى استخدمها الدكتور ليدنر فى حديثه معى . هل يؤثر خوفها الغامض على أعضاء البعثة ؟ أو هل التوتر السائد بين أعضاء البعثة هو الذى يؤثر على أعصابها ؟

وحدثت نفسى قائلة : حسنا .. يجب أن أنتظر ما سوف تظهره الأيام .

* * *



الفصل الرابع
فى الحسينية

غادرت بغداد بعد ثلاثة أيام . وقد شعرت بالأسى لفراق مسز كلسى والطفل فقد كان هذا الأخير جميلا يتمتع بصحة جيدة ويزداد وزنه كل أسبوع . ورافقنى الميجور كلسى الى المحطة ولم يفارقنى الا بعد أن انطلق القطار ، وكان يجب أن أصل الى كركوك فى صباح اليوم التالى حيث ينتظرنى بعضهم هناك .

وقضيت ليلة سيئة خاصة واننى لا أحسن النوم فى القطار زد على ذلك أن الأحلام ازعجتنى ، ومع ذلك فعندما نظرت من النافذة فى صباح اليوم التالى كان الجو صحوا جميلا وأحسست بالاهتمام ، والفضول فيما يتعلق بالقوم الذين سألتقى بهم .

ووقفت مترددة على الرصيف وأنا أردد البصر حولى ولم البث أن رأيت شابا مقبلا نحوى ، وكان مستدير الوجه اعاد الى ذاكرتى أحد أبطال الكاتب ب . ج . وودهاوس، وخاطبنى قائلا :

- هالو .. هل أنت الممرضة ليذران ؟ .. ان اسمى كولمان ، وقد أرسلنى الدكتور ليدنر للقائك . كيف حالك ؟ .. انها رحلة بغيضة .. فاننى أعرف هذه القطارات ، ولكنك وصلت على كل حال .. هل تناولت أفطارك ؟ .. أهذه حقيبتك ؟ .. انها حقيبة صغيرة متواضعة .. لدى مسز ليدنر أربع حقائب وشنطة سفر كبيرة .. اننى أتكلم كثيرا أليس كذلك ؟ هلمى بنا لكى نلحق بالحافلة .

وكانت تنتظرنا خارج المحطة عربة عرفت فيما بعد انهم يطلقون عليها اسم عربة المحطة ، وتجمع بين الحافلة وسيارة النقل والسيارة العادية .

وعاوننى مستر كولمان على ركوبها وهو ينصحنى بالبقاء بجوار السائق حتى لا

أتعرض للاهتزاز كثيرا ،

الاهتزاز ؟ .. اننى لأتساءل كيف لم تتحطم تلك العربة وتتناثر فى عرض الطريق،فقد كان وعرا عبارة عن سلسلة لا تنتهى من الحفر والمطبات جعلتنى أشعر بالحنين الى شوارع انجلترا المبسوطة الممهدة .

وأنحنى مستر كولمان الى الأمام وصرخ فى أذنى قائلا : ان الطريق لا بأس به أليس كذلك ؟؟

وما كاد يفرغ من قوله هذا حتى ارتفعنا من مقاعدنا وأوشكنا أن نرتطم بسقف العربة ونظرت اليه فاذا به يتكلم بكل جد وعاد يقول :

- لا بأس بهذه الاهتزازات للكبد ، وأظنك تعرفين ذلك

فقلت فى لهجة لاذعة : وما الفائدة من تنشيط الكبد اذا كنت أتعرض لأن تشج رأسى .

واضطررنا بعد ذلك الى عبور النهر فى أغرب معدية وقع عليها نظرى وأرى اننا بلغنا الشاطئ الآخر سالمين بمعجزة على الرغم من أن بقية الركاب لم يستغربوا ذلك اطلاقا .

وبلغنا الحسينية بعد أربع ساعات وكم كانت دهشتى عندما رأيت أنها مدينة كبيرة. وبدت لنا من الشاطئ الآخر جميلة رائعة بمآذنها ، ومع ذلك فقد اختلفت الأمور بعد أن اجتزنا الجسر ومضينا اليها رأسا فقد كانت تفوح منها رائحة كريهة تكاد بيوتها تنهار وتتداعى ، وكثير من شوارعها موحلة قذرة .

وأخذنى مستر كولمان الى الدكتور ريلى وهو يقول أن الدكتور ينتظرنى لتناول الغذاء .

وكان الدكتور ريلى رجلا ظريفا وبيته جميل به غرفة استحمام ، كل ما فيه جديد ونظيف وبعد أن اغتسلت ولبست ثيابى البيضاء هبطت وأنا أشعر بالراحة والهدوء .

وكان الطعام معدا فمضينا الى غرفة الأكل والدكتور يعتذر عن غياب ابنته لأنها تأتى متأخرة دائما وكنا قد بدأنا الطعام عندما أقبلت وقدمها الدكتور ريلى قائلا :

- أقدم لك ابنتى شيلا يا مس ليذران .

وصافحتنى الفتاة وسألتنى ان كنت قد قمت برحلة طيبة ثم ألقت بقبعتها بعيدا ، وأومأت برأسها لمستر كولمان ثم جلست قائلة :

- حسنا يا بيل .. كيف الحال ؟

وراح يتحدث اليها عن بعض الأصدقاء الذيم سيأتون الى النادى ونظرت اليها حينئذ فاحصة .

ولا أستطيع أن أقول أنها راقت لى كثيرا فقد خيل لى أنها باردة الطبع مندفعة وان كانت جميلة .. لها شعر أسود وعينان زرقاوان وبشرة شاحبة بعض الشئ وشفتان مخضبتان بالأحمر وكانت تتكلم فى برود وبلهجة يشوبها التهكم لم ترق لى . وذكرتنى بفتاة كانت تعمل تحت اشرافى وتقوم بعملها على خير ما يرام وان كانت تثير حنقى .

وبدا لى أن مستر كولمان كلف بها وكان يتعلثم قليلا ، ولم يلبث أن أصبح حديثه أكثر سخافة عن ذى قبل وذكرنى بالكلب الطيب الذى يهز ذيله فى محاولة للحظوة باعجاب سيده .

وبعد أن فرغنا من تناول الغداء ذهب الدكتور ريلى الى المستشفى ومضى ميتر كولمان الى المدينة لشراء بعض الأشياء وسألتنى مس ريلى ان كنت أفضل البقاء بالبيت أو الذهاب الى المدينة وقالت أن مستركولمان سيأتى لمرافقتى بعد نحو ساعة فسألتها :

وهل هناك ما يستحق أن أراه ؟

- هناك بعض الأماكن الغريبة ولكننى لا أدرى ان كان يروق لك أن تريها لأنها مليئة بالقذارة وقد احنقنى قولها هذا لأننى لا أعتقد أبدا أن الغرابة أو الطرافة يمكن أن تبرر القذارة .

واصطحبتنى فى النهاية الى النادى وهو ناد جميل المنظر يطل على النهر وبه كثير من المجلات والصحف الانجليزية وعندما عدنا الى البيت لم يكن مستر كولمان قد عاد بعد فجلسنا نتبادل الحديث ولكنه لم يكن حديثا شائقا .

وسألتنى اذا كنت قد التقيت بمسز ليدنر فأحببتها . كلا ولكننى التقيت بزوجها .

فقالت : - أوه لا ادرى ماذا سيكون رأيك فيها .

ولم انطق فاستطردت تقول : - اننى احب الدكتور ليدنر كثيرا والجميع يحبونه .

وادركت من قولها هذا انها لا تحب زوجته فلزمت الصمت وعادت تقول فى لهفة :

- ما أمرها ؟ .. ألم يذكر لك الدكتور ليدنر مم تشكو ؟

ولم اشأ أن انطق بأى شئ عن مريض لم اراه بعد فقلت متهربة :

- أظن أنها تشكو من بعض الارهاق وانها بحاجة الى رعاية ما .

ضحكت ضحكة خشنة بغيضة وقالت : - يا الهى .. الا يكفيها أن يعنى بها تسعة أشخاص ؟ فقلت : - أظن أن كلا منهم لديه عمل يريد أن يفرغ منه .

- عملا ؟ .... ان لكل منهم عملا طبعا ولكن لويز اهم من كل شئ ... وهى نفسها حريصة على ان تثير اهتمامهم بها .

وعندئذ زاد شعورى بأنها لا تميل الى مسز ليدنر .

واستطردت مس ريلى تقول : - مهما يكن من امر فاننى لا أرى حاجتها الى ممرضة محترفة .

لعمرى انها بحاجة الى صديقة أكثر منها الى ممرضة محترفة تعنى بها وتقيس حرارتها وتجد فى النهاية انها لا تشكو شيئا .

ولم يكن هناك مفر من ان اعترف بينى وبين نفسى بأن الامر يدعو الى الاستغراب وسألتها : -

اذن فأنت تعتقدين أنها غير مريضة ؟

– انها ليست مريضة بالطبع فهى قوية كالثور ... أن لويز المسكينة لم تذق النوم الليلة ! وهناك حلقات سوداء تحت عينيها ... وهذا صحيح ... ولكنها حلقات مرسومة بالقلم الأزرق ... رسمتها هى نفسها حول عينيها ... لكى تلفت الأنظار اليها وأن يهتم بها الجميع .

كان فى هذا القول شئ من الحقيقة طبعا ، فاننى مثل جميع الممرضات ، احتككت ببعض مرضى الوهم الذين يروق لهم اثارة كل من فى البيت فى سبيل الحظوة باهتمامهم واذا جاء الطبيب أو ممرضة تقول لهم " ليس هناك ما تشكو منه " فلن يصدقها أحد من أهل البيت ولن يلبث أن يتملكهم السخط والغضب الى حد كبير .

ومن المحتمل طبعا أن تنتمى مسز ليدنر الى هؤلاء القوم . والزوج أول من ينخدع فى مثل هذه الحالة وقد تحققت أثناء عملى أن الأزواج سذج فيما يتعلق بالمرضى ، ومع ذلك فلم يتطابق هذا مع ما سمعت من الدكتور ليدنر حين تكلم عن الأمان .

واذا عادت هذه الكلمة الى ذاكرتى سألتها قائلة : – هل مسز ليدنر امرأة عصبية؟ ... عل تشعر بالخوف لأنها تعيش بعيدا عن كل شئ ؟

ومم تخاف ؟ ... ان بالبيت عشرة أشخاص وهم يقمون بالحراسة بالتناوب . لحراسة الآثار . أوه كلا ... انها ليست امرأة عصبية ... على الأقل .

وسكتت فجأة كما لو أن شيئا قد خطر لها ثم لم تلبث أن قالت دقيقة أودقيقتين : من الغريب أن تقولى ذلك ؟

– لماذا ؟

– ذهبت هناك أنا والضابط جرفيس منذ أيام ، وكان ذلك فى الصباح وكان أغلب أعضاء البعثة قد ذهبوا الى مكان الحفريات . وكانت مسز ليدنر جالسة تكتب رسالة وأظن أنها لم تسمعنا ونحن ندخل ولم يكن الخادم موجودا فمضينا الى الفراندة رأسا . ورأت خيال الضابط على الحائط فصرخت وقد اعتذرت بعد ذلك طبعا وقالت أنها

اعتقدت أن رجلا غريبا دخل البيت وهذا فى حد ذاته أمر غريب ... وحتى لو أن رجلا غريبا تسلل الى البيت فلماذا يتملكها الخوف هكذا ؟

وأمسكت مس ريلى لحظة ثم انفجرت قائلة : لا أدرى ماذا أصاب القوم هذه السنة ، انهم جميعا خائفون . ان مس جونسون يتملكها الاكتئاب ولا تنطق بكلمة ، ودافيد لا يتكلم الا اذا لم يكن هناك مناص من ذلك أما بيل فلا تكف عن الكلام . ولكن حديثه يحدث أسوأ الأثر فى نفوس الآخرين وكارى يتصرف كما لو كان يخشى أن يقع فى الفخ فى أية لحظة والجميع يتوجسون خيفة كما لو كانوا ... كما لو كانوا ... لا أدرى ماذا أقول ... ولكن أمرهم يبعث على الاستغراب حقا .

وبدا لى أن من الغريب أن يخطر للميجور بنيمان ومس ريلى نفس الاحساس فى نفس الوقت .

ودخل مستر كولمان فى هذه اللحظة كالعاصفة وهو يقول : هاللو .. ها أنذا . هل أريت مس ليذران طرائف المدينة .

أجابت مس ريلى فى جفاء : انها لم تشعر بأى ميل لذلك .

قال كولمان ضاحكا : اننى لا ألومها على ذلك فالمدينة ليست أكثر من كومة من الأطلال والخرائب .

– انك لست ميالا للآثار أو المبانى القديمة يا بيل ولا أدرى لماذا احتضنت هذه المهنة .

– لا تلومينى على هذا وأنما وجهى لومك للوصى الذى أقاموه على فهو عالم آثار حقيقى .

قالت الفتاة فى حدة : أظن أنها حماقة كبيرة منك أن تضطر الى احتضان مهنة لا تروق لك .

– لست مضطرا الى ذلك أبدا يا صديقتى العزيزة . لقد سألنى الرجل العزيز اذا

كانت هناك مهنة خاصة يروق لى أن أزاولها فلما أجبته بالنفى عمل على أن أقضى هذا الموسم هنا .

- ولكن ألا تفكر فى مزوالة أى عمل آخر ؟ ... من الضرورى أن تكون لك غاية ما .

- ان لى غاية طبعا هى أن أتحرر من كل عمل وأن أملك الكثير من المال وأن أشترك فى سباق السيارات .

قالت مس ريلى محنقة : ما أسخف هذا !

وقال مستر كولمان ضاحكا : أوه ، أعلم ذلك ولكن اذا اضطررت الى الاشتغال بأى عمل فلن يهمنى ما يكون طالما أننى لا أبقى جالسا أمام مكتب طوال النهار . وقد راق لى أن اشاهد بعض بلاد العالم ولهذا قبلت الانضمام الى هذه البعثة .

- ولاريب أنك تؤدى خدمات تافهة هناك ؟

- انك مخطئة فى هذا يا عزيزتى ، فانني أستطيع أن أحث عمال الحفر حتى لا يتملكهم الكسل وأستطيع أن أنقل الرسومات فانني كنت بارعا فى تقليد الخطوط وأنا فى المدرسة ولو شئت لأصبحت مزيفا بارعا . واذا حدث ورأيتنى ذات يوم أسوق سيارة رولز رويس وأنت واقفة تنتظرين الأتوبيس فاعلمى عندئذ أننى سلكت طريق الجريمة..

قاطعته مس ريلى قائلة فى برود : ألا ترى أن من الأوفق أن تنطلق الآن بدلا من أن تضيع الوقت فى مثل هذه الثرثرة ؟

- أرأيت الى كرم الضيافة يا مس ليذيران ؟

- اننى واثقة أن مس ليذيران تتعجل الرحيل .

قال مستر كولمان مكشرا : انك واثقة دائما من كل شئ .

وقلت فى جفاء : لعل من الأوفق أن نمضى الآن يا مستر كولمان .

وضغطت على يد مس ريلى وشكرتها ثم انصرفنا .

وقال مستر كولمان :

- ان شيلا فتاة جميلة جدا ولكن يطيب لها مداعبة الجميع .

وغادرنا المدينة وانطلقنا فى طريق وعر مملوء بالأخاديد بين مزرعتين . وبعد نحو نصف ساعة أشار مستر كولمان الى هضبة كبيرة تشرف على النهر قائلا :

- تل بارلجا .

ورأيت أشكالا صغيرة سوداء تتحرك هنا وهناك كالنمل وفيما كنت أنظر اليهم بدأوا يهبطون التل فقال مستر كولمان :

- لقد فرغوا من العمل الآن . ان العمل ينتهى قبل غروب الشمس بساعة .

وكان البيت الذى تقيم فيه البعثة يقع على مسافة يسيرة من النهر .

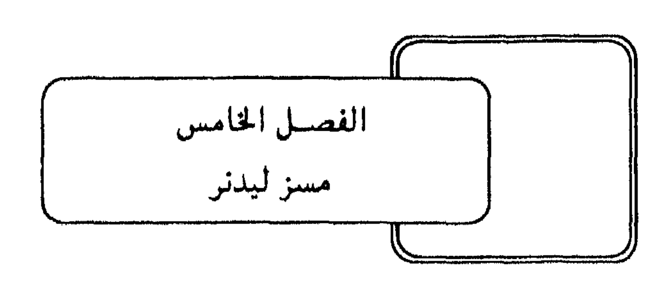
وانعطف السائق الى اليمين وانطلق تحت قنطرة ضيقة ولم نلبث أن بلغنا البيت وهو قائم حول مساحة كبيرة . وقد أقيم فى البداية فى الناحية الجنوبية من الساحة ثم ضمت اليه بعض الملحقات فى الناحية الشرقية وأتمت البعثة بناء الناحيتين الأخريين . وكل الغرف تشرف أبوابها ونوافذها على الساحة فيما عدا غرف الناحية الجنوبية فقد كانت مزودة بنوافذ أخرى تطل على الريف . وهذه النوافذ الأخيرة مزودة بقضبان حديدية وفى الزاوية الجنوبية الغربية يقوم السلم .وهو يؤدى الى سطح له سور أعلى منه فى الناحية الجنوبية من النواحى الثلاث الأخرى .

ومضى بى مستر كولمان الى الناحية الشرقية وسرنا بمحاذاتها حتى بلغنا بابا يقع فى منتصف الناحية الجنوبية دفعه ودلفنا الى غرفة كبيرة يجلس بها أشخاص كثيرون حول مائدة الشاى وقال : - صباح الخير ... أقدم لكم مس ليذيران الممرضة .

ونهضت السيدة الجالسة فى صدر المائدة وأقبلت نحوى .

وهكذا رأيت لويز لأول مرة .

***



الفصل الخامس

مسز ليدنر

اعترف أن رؤية مسز ليدنر أثارت دهشتى الى حد كبير فان الانسان عندما يسمع عن شخص ما يرسم فى مخيلته عادة صورة طبقا لما سمعه ، وقد توهمت أن مسز ليدنر امرأة سمراء شرسة الطبع عصبية الى أبعد حد كما توقعت صراحة أن أرى أمامى امرأة مبتذلة شيئا ما .

ولكنها كانت على غير ما تصورتها فى الواقع ... وأبدأ فأقول انها كانت شقراء . لم تكن سويدية الجنسية كزوجها ولكن كلن كل من يراها يظن أنها كذلك . كانت من أصل اسكندينافى ولم تكن فى ريعان الصبا . كانت بين الثلاثين والأربعين ينطق وجهها بالقلق ، ظهر المشيب ببعض شعيراتها لها عينان واسعتان بنفسجيتان لم أر مثيلا لهما فى حياتى وكانت نحيلة القوام رقيقة هشة واذا قلت أنه كان يبدو عليها الارهاق الشديد وانها كانت تتقد نشاطا وحيوية فى نفس الوقت فان قولى هذا يبدو متناقضا مع ذلك فهذا هو الاحساس الذى أحسست به كما أحسست كذلك بأنها سيدة مهذبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

وبسطت يدها الى وهى تبتسم وقالت فى صوت خافت ناعم تشوبه لكنة أمريكية :

يسرنى أنك أقبلت يا مس ليذيران . هل لك فى فنجان من الشاى أو لعلك تفضلين الذهاب الى غرفتك أولا ؟

أجبتها اننى أوثر أن أتناول فنجانا من الشاى فقدمتنى الى الجالسين حول المائدة قائلة :

هذه مس جونسون ... وهذا مستر ريتر ... ومسز مركارو ، ومستر ايموت والأب

لافينى ، وسيأتى زوجى بعد لحظة . اجلسى هنا بين الأب لافينى ومس جونسون .

وجلست كما قيل لى وراحت مس جونسون تتحدث الى فسألتنى عن رحلتى وعن أحوالى . وقد شعرت بالميل اليها لأنها ذكرتنى برئيسة للممرضات فى أول عهدى بمهنة التمريض أحببناها جميعا وكنا نتفانى فى خدمتها .

وكانت تخطو نحو الخمسين ، وكانت مسترجلة الى حد بعيد ذات شعر رمادى قصير وصوت خشن قوى النبرات يروق للمرء سماعه . وكانت دميمة الوجه لها أنف مضحك اعتادت أن تدعكه كلما أحست بالارتباك أو الحيرة . وكانت ترتدى جاكيت من التويد وقميصا فكانت تبدو أشبه بالرجل وقالت لى أنها من أهالى يوركشير .

أما الأب لافينى فقد أثار خوفى شيئا ما فقد كان طويل ذا لحية كثة سوداء يلبس نظارة أنفية وكنت قد سمعت مسز كلسى تقول أن بالبعثة قسيسا فرنسيا ، وقد رأيت الآن أن الأب لافينى كان يرتدى ثوبا أبيض مما يلبسه الرهبان ، وقد أدهشنى ذلك لأننى كنت أعرف أن الرهبان يدخلون الدير ولا يفارقونه أبدا .

وكانت مسز ليدنر تتحدث اليه فى أغلب الأحيان باللغة الفرنسية أما هو فقد تحدث معى بالانجليزية سليمة . وقد لاحظت أن له عينين حادتين ثاقبتين تنتقلان من شخص لآخر .

وكان يجلس أمامى ثلاثة أشخاص ... مستر ريتر ، وهو شاب أشقر بدين يلبس نظارة وله شعر مجعد طويل وعينان زروقاوان مستديرتان ، ولاريب انه كان طفلا جميلا وهو صغير . أما الآن فلم يكن يتمتع بأى سمة من سمات الجمال وانما كان يبدو كالخنزير اذا توخينا الحق . أما الآخر فشاب قصير الشعر ذو وجه طويل وأسنان جميلة يبدو وسيما جدا عندما يبتسم ، لا يتكلم كثيرا وانما يكتفى بأن يهز رأسه اذا ما وجه اليه الحديث ، أو يرد بكلمة أو كلمتين لا أكثر وهو أمريكى الجنسية كمستر ريتر . ولم يكن الشخص الثالث غير مسز مركادو ، ولم أستطع أن ألقى عليها نظرة خاصة لأننى

كنت كلما نظرت اليها أراها تحملق فى بعينين واسعتين متعاليتين بصورة أثارت حيرتى ... كما لو أنها تعتبر الممرضة حيوانا غريبا وليست من البشر مثلها ... كانت طريقتها بعيدة عن التهذيب .

كانت فى ريعان الشباب لم تتجاوز الخامسة والعشرين من العمر سمراء جميلة وان كان بوجهها بعض النمش ترتدى بلوفر فاتح اللون وتطلى أظافرها بنفس اللون ولها وجه صغير وعينان واسعتان وشفتان متوترتان متشككتان .

وكان الشاى لذيذا طيب النكهة ويختلف عن ذلك الشاى الصينى الخفيف الذى اعتادت مسز كلسى تقديمه لى والذى كنت أجد مشقة كبيرة فى احتسائه .

وقد جئ لنا مع الشاى بعض البسكويت والمربى وشملنى مستر ايموت برعايته وحرص على أن يملأ طبقى بالحلوى كلما فرغ منه ، وجلس مستر كولمان بجوار مس جونسون ولم ينقطع عن الثرثرة كعادته .

وتنهدت مسز ليدنر وألقت اليه نظرة متعبة ولكنه لم يكف عن ثرثرته مع ذلك على الرغم من أن مسز مركادو التى كان يوجه اليها الحديث لم تول حديثه أذنا صاغية وأولت كل اهتمامها لمراقبتى أنا بالذات .

وبعد أن فرغنا من تناول الشاى أقبل الدكتور ليدنر ومستر مركادو وصافحنى الدكتور برقته المعهودة ولاحظت أنه أسرع ينظر الى زوجته فى قلق وبدا لى أنه احس بالارتياح عندما رآها هادئة . ومضى فجلس فى الناحية الأخرى من المائدة فى حين جلس مستر مركادو فى المقعد الشاغر بجوار مستر ليدنر ، وكان هذا الاخير طويل القامة نحيف الجسم حزينا اكبر سنا بكثير عن زوجته شاحب الوجه وله لحية غريبة مشوهة وقد سررت لمجيئه لان زوجته كفت عن التحديق فى وحولت اهتمامها اليه وراحت تحدق فيه بطريقة غريبة وراح هو يقلب الشاى بملعقته فى شرود دون أن ينطق بشئ .

ويقى مقعد شاغر ولكن لم يلبث أن فتح الباب ودخل رجل آخر .

وما أن وقعت عيناى على ريتشارد كارى حتى ادركت أنه أجمل رجل رأيته فى حياتى . ومع ذلك فقد تساءلت اذا لم أكن فريسة وهم فعلى الرغم من انه كان جميلا وسيما الا أن رأسه كانت أشبه برأس رجل ميت فقد كان يبدو أن جلد وجهه كان مشدودا على العظام بحيث يخيل لمن يراه انه يوشك أن ينقطع ومع ذلك فقد كانت

عظامه شديدة الجمال وكان باستدارة فكيه ووجنتيه وجبينه يبدو كتمثال من البرونز تومض فى وجهه الأسمر عينان براقتان زرقوان واسعتان . وكان يبلغ من الطول نحو ستة اقدام ويخطو نحو الأربعين .

وقال الدكتور ليدنر : - اقدم لك مستر كارى مهندسنا المعمارى يا مس ليذبران .

وتمتم الشاب ببضع كلمات فى صوت منخفض ثم جلس مستر موكادو .

وقالت مسز ليدنر : - أخشى أن يكون الشاى قد برد قليلا يا مستر كارى ؟

فقال : - أوه لا بأس يا مسز ليدنر . أن الذنب ذنبى اذا كنت قد تأخرت فقد اردت ان افرغ من اعادة بناء هذه الجدران .

وسألته مسز مركادو : - هل تريد بعض المربى يا مستر كارى ؟

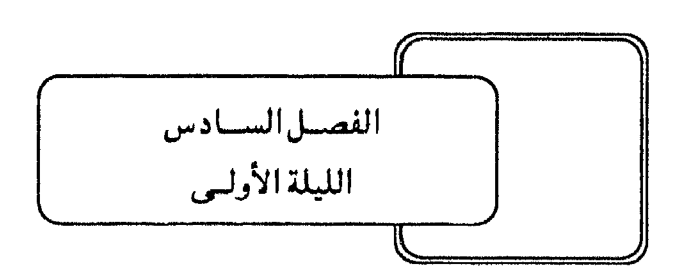
وناوله مستر ريتر طبق البسكويت .

وتذكرت عندئذ قول الميجور بنيمان " أن كلا منهم يجامل الآخر أكثر من اللازم " .

نعم كان فى مجاملتهم المفرطة شئ غريب حقا .

كان يبدو انهم جماعة من الأغراب على الرغم من انهم يعرفون بعضهم البعض منذ سنوات عديدة .

***



بعد أن فرغنا من تناول الشاى مضت بى مسز ليدنر الى غرفتى ولعل من الأوفق أن أذكر الآن وصفا وجيزا لترتيب الغرف ، وهو وصف بسيط فعلى جانبى الشرفة بابان يؤديان الى الغرفتين الرئيسيتين بالبيت . ويؤدى الباب الذى على اليمين الى غرفة الطعام حيث تناولنا الشاى بينما يؤدى الباب الذى علي اليسار الى غرفة مشابهة سأدعوها غرفة المعيشة وتستخدم كغرفة استقبال احيانا وأحيانا للعمل فيمارسون فيها أعمال الرسم وتجميع قطع الأثاث الرقيقة القابلة للكسر . وتفضى هذه الغرفة الى غرفة الآثار حيث توضع القطع التى يتم العثور عليها فى الحفريات . وهى توضع اما على الرفوف أو فى صناديق أو على المقاعد والمناضد ، وليس لهذه الغرفة أى باب آخر غير الباب الذى يؤدى اليها من غرفة المعيشة .

وبجوار غرفة الآثار تقع غرفة مسز ليدنر ، وهى غرفة لها باب يطل على الفناء ولها كما لباقى الغرف التى تقع فى هذا الجانب نافذتان تطلان على الحقول مزودتان بقضبان حديدية . وتقع بعدها ، فى الناحية الشرقية من البيت غرفة مستر ليدنر وهى غرفة مستقلة لها باب فى الفناء وتأتى بعدها غرفتى انا بالذات .

أما الغرفة التى تليها فهى غرفة مس جونسون وتليها مباشرة غرفة مسز مركادو وتليها غرفة زوجها وهناك بعد هذه الغرفة الأخيرة وفى نفس الجانب الشرقى غرفتان للاستحمام .

وهذا الجناح الشرقى للبيت شيده الدكتور ليدنر وضمه الى المبنى الأصلى . وغرف

النوم كلها متشابهة ولكل منها نافذة وباب يؤديان الى الفناء . أما الجناح الشمالى فتقع به غرفة الرسم والمعمل وغرفة التصوير .

واذا عدنا الى الشرفة وجدنا أن تصميم الغرف فى الجناح الآخر هو نفس التصميم فى الجناح الأول غهناك غرفة الطعام بها باب يفضى الى غرفة المكتب ويحتفظون فى هذه الغرفة الآخيرة بالملفات ، ويقومون فيها بالأعمال الكتابية - تقع بعدها غرفة الأب لافينى ، وهى غرفة مشابهة لغرفة مسز ليدنر ولكنها أكبر منها ، وقد خصصت له لاستخدامها للنوم ولترجمة رموز اللوحات .

وفى الناحية الجنوبية الغربية يقع الدرج الذى يؤدى الى السطوح . وتقع بعده غرفة المطبخ ثم أربع غرف صغيرة للنوم يشغلها الرجال الأربعة .

كارى وايموت وريتر وكولمان .

وفى الناحية الشمالية الغربية تقع غرفة التصوير وملحق بها غرفة صغيرة للتحميض تعرف باسم الغرفة السوداء ويقع المعمل بعدها ويليه الباب العمومى وله قبة كبيرة ، وهو الباب الذى دخلنا منه ، وفى الخارج تقع غرف نوم الخدم والشرطة والاسطبلات . أما غرفة الرسم فتقع على يمين الباب العمومى ويشغل بقية الجناح الشرقى .

وقد عرضت هذا الوصف المفصل للبيت لأننى لا أريد أن أعود الى هذا الموضوع فيما بعد . وكما سبق أن ذكرت أخذتنى مسز ليدنر بنفسها وطافت بى بالبيت ، ثم صحبتنى فى النهاية الى غرفتى قائلة أنها تأمل أن أجدها مريحة وأن أجد فيها كل ما أريد .

وكانت الغرفة جميلة وأن كانت بسيطة الأثاث ... بها فراش ومنضدة ذات ادراج وطاولة صغيرة للزينة ومقعد

- سيأتيك الخدم بالماء الساخن قبل الغداء والعشاء وكل صباح طبعا واذا أردت

ماء ساخنا فى أى وقت آخر فما عليك الا أن تصفقى فيسرع الخادم اليك . ويمكنك أن تطلبى منه كل ما تريدين .

ولمست مسز ليدنر وعاء الماء والطشت فى شرود ثم رفعت الصبانة من مكانها قليلا وقالت :

– أرجو أن تكونى سعيدة هنا وألا تشعرى بأى ملل .

قلت فى توكيد : – قل أن أشعر بالملل ... فالحياة قصيرة .

ولم تنطق واستمرت تعبث بالصبانة فى شرود وفجأة نظرت الى مليا بعينيها البنفسجيتين وقالت :

– ماذا قال لك زوجى بالذات ؟

لجأت الى الرد المألوف فى مثل هذه الحالة فقلت : – فهمت منه انك متعبة يا مسز ليدنر وانك بحاجة الى من يعنى بك وينسيك متاعبك .

أحنت رأسها فى بطء وتفكير وقالت : – نعم ... اننى بحاجة الى من يعنى بى حقا .

بدا لى هذا الرد غامضا ولكننى لم أشأ سؤالها واكتفيت بأن قلت : – أرجو أن تدعينى أساعدك فى أى عمل من شئون البيت .

ابتسمت قليلا وقالت : – شكرا لك .

ثم جلست على حافة الفراش . ولا تسل عن دهشتى الشديدة عندما راحت تلقى على الاسئلة الدقيقة فى كل ما يتعلق بى . وأقول دهشتى الشديدة لانه ما أن وقع بصرى عليها حتى ادركت على الفور انها سيدة بمعنى الكلمة . وان من النادر أن تبدى سيدة مثلها مثل هذا الفضول فيما يتعلق بحياة الغير الخاصة .

بيد أن مسز ليدنر بدت شديدة اللهفة لكى تعرف عنى كل شئ ... أين تمرنت ومنذ متى وأنا امارس مهنتى هذه وما الذى اتى بى الى الشرق وكيف حدث أن أوصى بى

الدكتور ريلى بل أنها سألتنى أن كنت قد اقمت فى أمريكا أو أن لم يكن لى بعض المعارف هناك . والقت على سؤالين أو ثلاثة لم يبد لها معنى فى ذلك الوقت ولكن لم البث أن اكتشفت معناها فيما بعد .

ولم تلبث أن تغيرت لهجتها فجأة : وابتسمت ابتسامة كبيرة وأكدت لى بلهجة رقيقة أنها مسرورة جدا لمجيئ وانها واثقة من أننى سأكون خير عون لها .

ونهضت واقفة وهى تقول : - هل تريدين أن تأتى معى الى السطح لمشاهدة غروب الشمس ؟ انه منظر جميل جدا فى هذه الساعة .

وقبلت عن طيب خاطر . وسألتنى ونحن نصعد الى السطح : - هل كان هناك مسافرون كثيرون فى قطار بغداد ؟ ... هل كان بينهم رجال ؟

أجبتها بأننى لم الحظ شيئا بالذات فيما عدا رجلين من الفرنسيين رأيتهما فى قاعة الطعام وثلاثة رجال آخرين أدركت من حديثهم انهم يعملون فى شركة للبترول .

هزت رأسها وأفلتت من بين شفتيها تنهيدة تدل على الارتياح . ومضينا الى السطح معا .

كانت مسز مركادو هناك ، وكانت جالسة فوق الحاجز . وكان الدكتور ليدنر منحنيا فوق بعض قطع من الفخار المكسور موضوعة أمامه . وكانت هناك أحجار ضخمة كبيرة قال أنها عبارة عن مطاحن يدوية ومدقات وفئوس ، كما كانت هناك أجزاء من الخزف منقوش عليها رسومات غريبة لم يسبق لى أن رأيت مثلها .

وقالت مسز مركاود : - تعالى هنا ، أرأيت أجمل من هذا المنظر ؟

كان غروب الشمس جميلا حقا . وبدت مدينة الحسينية فى ضوء الشمس الغاربة كمدينة ساحرة خلف نهر دجلة الذى يمتد وسطها ويبدو كنهر من الأحلام .

وقالت مسز ليدنر : - اليس منظرا جميلا يا اريك ؟

ورفع الدكتور رأسه ونظر بعينين شاردتين ثم قال فى غير اكتراث :

" انه جميل ... جميل جدا ... " ثم عاد الى عمله

ابتسمت مسز ليدنر وقالت : - أن علماء الآثار لا يهتمون الا بما يوجد تحت اقدامهم ولا وجود للسماء بالنسبة لهم .

فقهقهت مسز مركاود وقالت : - انهم أناس غريبو الاطوار جدا ... سوف تدركين ذلك سريعا ايتها الممرضة .

وسكتت لحظة ثم أردفت : - نحن جميعا سعداء بقدومك ، فقد كنا شديدى الجزع على عزيزتنا مسز ليدنر . اليس كذلك يا لويز ؟

- حقا ؟

وكان صوتها لا يدل على الاقتناع ، ومع ذلك فقد استطردت مسز مركادو تقول :

- أوه ، نعم ... انها كانت مريضة جدا أيتها الممرضة ... كانت فريسة لكل أنواع الذعر والهلع ... كان كل من يراها يقول انها عبارة عن كتلة من الاعصاب . من رأيى أنه لا يمكن أن يكون هناك اسوأ من الاعصاب ، فهى قلب الانسان ومركزه ، اليس كذلك ؟

وقلت فى نفسى : - يا للتملق .

وقالت مسز ليدنر فى جفاء : - حسنا ... يمكنك أن تطمئنى على الآن يا مارى فان الممرضة ستعنى بى .

وقلت فى ابتهاج : - طبعا .

قالت مسز مركلدو : - اننى واثقة من ذلك . كان من رأينا جميعا أن تستشيرى طبيبا أو أن تفعلى أى شئ ، فان اعصابك كانت محطمة ، اليس كذلك يا عزيزتى لويز؟

قالت مسز ليدنر : - نعم . الى حد أن أعصابك انت أوشكت أن تثور ، ولكن لنتكلم الآن عن شئ آخر غير مرضى التافه .

وفهمت عندئذ أن مسز ليدنر كانت من ذلك النوع من النساء الذى يخلق له اعداء بسهولة . كان فى صوتها خشونة (ولست الومها على ذلك) جعل الدم يصعد الى وجنتى مسز مركلدو الشاحبتين ، وتمتمت هذه الأخيرة ببعض الكلمات ولكن مسز ليدنر كانت قد نهضت ولحقت بزوجها فى الناحية الأخرى من السطح . ولا أعتقد أنه أحس بها الا عندما القت يدها على كتفه فقد رفع رأسه سريعا ونظر اليها مستفهما فى ود وحب كبيرين . وهزت زوجته رأسها فى رفق وتأبطت ذراعيه ومضت به حتى السلم وهبطا معا . وقالت مسز مركادو :

- أنه يوليها كل اهتمامه .

فقلت : - نعم ... هذا شئ جميل .

نظرت الى نظرة فاحصة وقالت وهى تخافت من صوتها : - ما هى علتها كما ترين ايتها الممرضة ؟

- أوه ، لا أظن أن بها أى شئ .. لاريب انها تعانى من ارهاق شديد .

تفرست فى وجهى كما فعلت اثناء تناول الشاى وقالت :

- هل تعنين بمرضى الأعصاب ؟

- أوه كلا . ولكن لم هذا السؤال ؟

لزمت الصمت لحظة ثم قالت : - هل تعرفين أنها غريبة الاطوار الى حد كبير ؟... ألم يقل لك الدكتور ليدنر ؟ .

وأنا لا أهتم بالشائعات التى تدور حول المرضى الذين أعنى بهم أن تجاربى علمتنى أن من العسير أحيانا انتزاع الحقيقة من الأهل والأقارب وما لم يعرفهما المرء من المرضى الذين يعنى بهم فانه يتخبط فى أغلب الاحيان ويعمل فى الظلام ومن المعروف طبعا انه اذا كان هناك طبيب يعنى بالمرضى فان الحال يتغير لأنه لن يلبث أن يزودك هو نفسه بالتعليمات اللازمة . ولكن فى هذه الحالة بالذات لم يكن هناك ، طبيب معالج

ولم يستشر أحد الدكتور ريلى ولا أستطيع بالتأكيد بأن الدكتور ليدنر قد اطلعنى على كل ما يعرفه فيما يتعلق بزوجته . وغالبا ما يكون الزوج متحفظا بغريزته ، ولا يمكن الا تهنئته على ذلك . ومع ذلك فاننى كلما عرفت المزيد تمكنت من التصرف بما فيه صالح مريضتى وكانت مسز مركادو ، تلك ، المرأة النمامة متلهفة مشوقة الى الحديث . ومن ناحيتى سواء من الناحية العلمية أو الناحية الانسانية فقد اردت أن أعرف ما لديها ويمكنك أن تتهمنى بالفضول اذا شئت .

قلت : - يبدو أن مسز ليدنر لم تكن فى حالة طبيعية فى الأيام الأخيرة .

ضحكت مسز مركادو ضحكة بغيضة وقالت : - طبيعية ... أوه كلا .

أنها أفزعتنا كل الفزع فهى تقول انها سمعت ذات ليلة أصابع تدق على نافذتها ، وانها رأت فى ليلة أخرى يدا من غير ذراع من خلال النافذة ثم قالت أخيرا أنها رأت وجهها أصفر ملتصقا بزجاج النافذة وأنه اختفى حين أسرعت وفتحتها ولم تجد شيئا... أليس فى كل هذا ما يدعو الى الخوف ؟

قلت : - لعل بعضهم يمزح معها .

- أوه كلا . انها توهمت كل هذا . ثم انه منذ ثلاثة أيام واثناء تناولنا طعام العشاء كان بعضهم يطلق الرصاص فى القرية على بعد نحو ميل منا فهبت واقفة تصرخ .. وأفزعتنا جميعا وقد أسرع الدكتور ليدنر اليها وتصرف معها تصرفا غريبا فقد قال : - ليس هناك أى شئ يا عزيزتى . وظل يردد هذه العبارة . واظنك تعلمين ايتها الممرضة أن الرجال يشجعون النساء على مثل هذا النوع من الهستريا وهذا أمر يرثى له . فلا يجب أن يشجع المرء الاوهام .

- طبعا ... هذا اذا كان الامر يتعلق بأوهام حقا .

- وماذا يمكن أن يكون غير هذا .

لم أجب لأننى لم أعرف ماذا أقول . كانت قصة غريبة . كانت طلقات الرصاص

والصرخات امرا طبيعيا لمن يعانى من الأعصاب ، ولكن تلك القصة الغريبة عن يد بلا ذراع ووجه أصفر كانت شيئا مختلفا . فقد بدا الأمر كما لو كان أحد شيئين . أما أن تكون مسز ليدنر قد اختلقت هذه القصة من أساسها ، تماما كالطفل الذى يكذب لكى يكون موضع الاهتمام وأما أن تكون ، كما سبق أن قلت ، مزحة مقصودة صدرت من شخص ينقصه الخيال كمستر كولمان مثلا . وعقدت النية على أن أراقب هذا الاخير مراقبة دقيقة فان مثل هذه المزحة الثقيلة يمكن أن تؤدى بشخص مريض بالأعصاب الى الجنون .

قالت مسز مركادو وهى تنظر الى من طرف عينها : - انها امرأة خيالية ايتها الممرضة ، اليس هذا رأيك ؟ ... من هذا النوع من النساء اللاتى تقع لهن أشياء .

سألتها : - هل وقعت لها أشياء كثيرة ؟

- حسنا . أن زوجها الأول قتل أثناء الحرب ولم تتجاوز العشرين بعد . وأظن أن هذا وحده أمر مثير وررومانتيكى ايتها الممرضة .

- لا أرى فيه أية رومانتيكية فان كثيرات غيرها فقدن أزواجهن اثناء الحرب .

وكان الليل قد نشر ظلاله فعرضت على مسز مركادو أن نهبط فوافقت وسألتنى اذا كنت أريد أن أرى المعمل وأردفت :

- وسيكون زوجى هناك ... يزاول عمله .

ومضت بى الى غرفة يضيئوها مصباح ولكنها كانت خيالية ... وارتنى مسز مركادو أجهزة فوقها تحف نحاسية تخضع لعلاج كيميائى خاص وعظام تكسوها طبقة من الشمع . وصاحت :

- أين ذهب جوزيف ؟

والقت نظرة فى غرفة المهندسين حيث كان كارى يزاول الرسم . ورفع عينيه عند دخولنا ثم عكف على عمله من جديد . ودهشت لأمارات الارهاق الشديد البادية على

ملامحه وخطر بذهنى خاطر : أن هذا الرجل فى خاتمة المطاف ولن يعيش طويلا وتذكرت أن شخصا آخر قد أبدى نفس هذا الرأي بشأنه .

وفيما نحن نخرج التفت لكى أنظر اليه مرة أخرى . كان منحنيا فوق أوراقه وقد ضم شفتيه بشدة وبدا كما لو كان رجلا ميتا لفرط بروز عظام وجنتيه . ولعل ذلك مجرد وهم منى ولكنه بدا لى وهو فى هذه الصورة كما لو كان فارسا من فرسان العصور الوسطى ينطلق الى الحرب وهو واثق انه سيلقى حتفه فى ميدان القتال .

ووجدنا مستر مركادو فى غرفة المعيشة ، وكان يتحدث مع مسز ليدنر عن طريقة جديدة لحفظ الآثار وكانت جالسة فوق مقعد له مسند طويل وتقوم بتطريز بعض الزهور فوق قطعة من القماش الأملس . ودهشت على الفور لفرط رقتها فقد خيل لى عندئذ انها مخلوقة من نار وليست من لحم ودم .

وصاحت مسز مركادو فى صوت حاد مرتفع : - آه ... أأنت هنا يا جوزيف ؟ ... حسبت أننا سنجدك فى المعمل .

أجفل مستر مركادو وبدا عليه الارتباك كما لو أن دخول زوجته قطع عليه السحر وتمتم أننى ... يجب أن انصرف الآن ... اننى بلغت نصف ... نصف ... ولم يتم قوله ومضى الى الباب . وقالت مسز ليدنر بصوتها الرقيق العذب : - يجب أن تكمل لى هذه القصة فى وقت آخر ... فهى شيقة جدا .

وتأملتنا فى ابتسامة حلوة متهربة ثم استأنفت تطريزها .

وقالت بعد لحظة : - أن لدينا مجموعة من الكتب ايتها الممرضة ... ولك أن تختارى منها ما تشائين وان تجلسى معنا .

ومضت الى الرف ، أما مسز مركلدو فوقفت لحظة ثم تحولت فجأة وأنصرفت . وفيما هى تمر أمامى لحظت انها متوترة الملامح وانها تكاد تنفجر من الغضب .

وتذكرت على الرغم منى بضع نقاط أشارت مسز كلسى اليها وتتعلق بمسز ليدنر

ولا أميل الى تصديقها لأننى أحببت مسز ليدنر ولكننى تساءلت مع ذلك اذا لم تكن فى هذه النقاط ذرة من الحقيقة .

ولا يمكن أن نلوم مسز ليدنر على ذلك ، ولكن الحقيقة أن مس جونسون العجوز الدميمة ومسز مركادو ، السريعة الغضب لا تستطيعان احتمالها ويغيران منها كل الغيرة . ومهما يكن من أمر فالرجال رجال وقد رأيت مثل هذه التناقضات أكثر من مرة فى حياتى العملية .

وكان مركادو رجلا كغيره ولا أظن أن مسز ليدنر كانت توليه أى اهتمام ولكن زوجته كانت تحبه ، واذا لم أخطئ فانها نظرت الى الامر بصورة خاطئة واعتقد الآن انها ما كانت لتتردد عن الاضرار بمسز ليدنر وايذائها لو انها استطاعت .

ورحت انظر الى مسز ليدنر وهى تزاول تطريزها فى هدوء غير مدركة لما يدور حولها . وأحسست انه يجب أن احذرها ورأيت انها قد تجهل ماذا تفعل الغيرة والحقد بالمرأة وأنه يكفى اقل القليل لكى يتأجج سعير هذه الغيرة بحيث لا تبقى ولا تذر .

ولكننى لم البث أن قلت لنفسى : - ما أغباك يا آمى ليذيران !

أن مسز ليدنر ليست ساذجة ، وهى تقرب من الأربعين ولاريب انها عركت الحياة بمرها وحلوها .

وجلست الى جوارها ومعى كتاب . وبعد فترة ذهبت لكى أغسل يدى قبل تناول طعام العشاء . وكان الطعام لذيذا . وأوى الجميع الى اسرتهم فى وقت مبكر ، وقد شعرت بالارتياح لذلك فقد أوشكت ان اقع لفرط التعب .

ورافقنى الدكتور ليدنر الى غرفتى وسألنى أن كان لا ينقصنى شئ ثم شد على يدى وقال فى رفق :

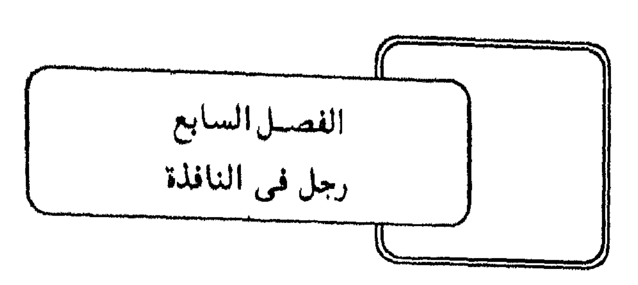
- أن لويز احبتك كثيرا ايتها الممرضة ومالت اليك على الفور . أشعر أن كل شئ سيسير على ما يرام .

وكان يتكلم فى حماس كما لو كان طفلا .

ومن ناحيتى أنا ، أحسست أن مسز ليدنر قد مالت الى حقا وقد سرنى ذلك ولكننى لم أشارك الزوج تفاؤله مع ذلك ، لأنه كان يجهل بعض الأمور التى لا أستطيع تحديدها بالذات وأن كنت أحس بأن الجو مشبع بها .

وعلى الرغم من أن الفراش كان وثيرا ومريحا فاننى لم أهنأ بالنوم لأننى رأيت احلاما مزعجة ، رأيت فيها مستر كارى بوجهه المعروف وقد امتطى جوادا ومسز ليدنر فوق جواد هى الأخرى تنطلق به وهى تلوح بقطعة القماش التى تطرزها ثم كبا الجواد بها فاذا الأرض مغطاة فى كل مكان بعظام تكسوها طبقة من الشمع . وصحوت من نومى وأنا أرتعد والعرق يتصبب من جسمى كله .

* * *



الفصل السابع
رجل فى النافذة

أظن أن من الأوفق أن انبه القارئ الى أن قصتى لن تتعرض لأى وصف محلى فاننى اجهل من دابه فى علم الآثار وأعترف باننى لا أهتم ابدا بهذه المسألة ، وأرى من السخف أن نذهب فنزعج اناسا ومدنا اختفت منذ قرون . ولم يخطئ مستر كارى عندما قال اننى لا أشعر بأى ميل الى الآثار .

وفى غداة اليوم التالى لوصولى عرض على مستر كارى أن يرينى القصر الذى يرسمه كما يقول . وقبلت عرضه والفضول يستبد بى . وكان ذلك القصر يرجع كما عرفت فيما بعد الى ثلاثة آلاف سنة . وكنت اتوقع أن أرى قصرا يدل على عظمة الماضى كما سمعتهم يقولون أكثر من مرة ولكننى لم ار شيئا اكثر من جدران من الطين أرتفاعها نحو قدمين .

ومضى بى مستر كارى هنا وهناك وهو يشرح لى كل شئ ... هنا كان الفناء الكبير وهناك كانت بعض الغرف والسلم ثم الطابق الأول العلوى حيث تطل الغرف على الفناء الكبير وكنت اتساءل كيف يعرف كل هذا . ولكن الادب حال دون توجيه اليه هذا السؤال ... وأحسست بخيبة أمل كبيرة وأنا أرى ان الحفريات لاتكشف أمام عينى غير الطين ... لم أر قطعة واحدة من الرخام أو الذهب ... لم أر أى شئ جميل . كان بيت عمتى فى كريكوود عبارة عن اطلال أجمل وأروع .

وبعد أن أرانى مستر كارى قصره التاريخى القديم عهد بى الى الاب لافينى الذى أطلعنى على بقية الحفائر . وقد شعرت بشئ من الخوف من الاب لافينى ، فقد كان راهبا وأجنبيا وكان له صوت عميق ، ولكنه كان ظريفا جدا وأن بدا غامضا . وبدأت

اتساءل اذا كان لا يميل الى الآثار مثلى .

وذكرت لى مسز ليدنر سبب ذلك فيما بعد فقالت أن الأب لافينى لم يكن يهتم الا بالمخطوطات الاثرية ، فان القدماء كانوا يكتبون كل شئ على الفخار مستخدمين علامات وثنية لها معناها . وكانت هناك كذلك ألواح مدرسية كتب الدرس على احدى وجهتيها ومحاولات التلميذ على الواجهة الأخرى .

ورافقنى الأب لافينى خلال الحفائر مشيرا الى مكان المعابد والقصور والبيوت العادية . وأرانى مكانا قال انه كانت به مقبرة أكادية . وكان يتكلم فى صوت متهدج ذاكرا لى طائفة من المعلومات ، ثم غير الحديث فجأة فقال :

- أن قدومك هنا أثار الدهشة يا آنسة ... فهل مسز ليدنر مريضة حقا ؟

أجبته من غير أن أورط نفسى كثيرا : - ليست مريضة تماما

- انها امرأة غريبة الأطوار ... امرأة خطرة .

ماذا تعنى ؟ ... خطرة ؟ ... كيف ذلك ؟

هز رأسه فى تفكير وقال : - اظن انها قاسية .. نعم ، مجردة من الرحمة .

قلت : - اسمح لى أن أقول لك أنك تسئ الظن بها كثيرا .

هز رأسه للمرة الثانية وقال : - أرى انك لا تعرفين النساء مثلى .

بدا لى هذا الرأى غريبا بين شفتى راهب ولكننى اعتقدت طبعا أنه سمع ثمة أشياء ... اعترفات مثلا . ولكن والحق يقال أدهشنى ذلك لأن الرهبان لا يستمعون الى أية اعترافات كما يفعل القساوسة واردف بيقول فى تفكير : -

اننى واثق ان هذه المرأة متحجرة القلب ولكنها على الرغم من ذلك خائفة ... خائفة جدا .. فمم تخاف ؟

قلت فى نفسى : - أن الجميع يودون لو أن يعرفوا ذلك

لاريب أن زوجها يعرف ذلك على الاقل ولكننى لم أكن اعتقد أن احدا غيره

يعرف.

وحدق فى وجهى فجأة وقال : - أن الجو هنا غريب ، اليس كذلك ؟ ... أو لعلك تجدينه عاديا ؟

- ليس تماما . انه عادى من الناحية المادية .

- أنا شخصيا لا أشعر بأى ارتياح . يخامرنى احساس بأن شيئا ما وشيك الوقوع. حتى الدكتور ليدنر ليس فى حالته الطبيعية فان هناك شيئا يزعجه .

- أيكون ذلك الشئ صحة زوجته ؟

- ربما ؟ ولكن هناك شيئا آخر ... ماذا أقول نوع من القلق .

وكان فى ذلك على حق فقد كان الجو مشبعا بالقلق .

ولم ننطق بأكثر من ذلك فقد أقبل الدكتور ليدنر نحونا ومضى بى الى مقبرة طفل تم اكتشافها حديثا . وكان منظرا مؤثرا ... عظام صغيرة وبجوارها بعض الغازات وحبات صغيرة جدا كانت ، على رأى الدكتور بقايا عقد من اللؤلؤ .

وأطربنى منظر العمال الذين يقومون بالحفر فلم يسبق لى أن رأيت مثل هذا المنظر من قبل . كانوا يرتدون أسمالا بالية ويلفون رؤوسهم بالعمائم كما لو كانت أسنانهم تؤلمهم . وكانوا يروحون ويجيئون حاملين قفف الاتربة وهم ينشدون ويغنون أغنية عجيبة رتيبة لا تتغير ولاحظت أن عيونهم كلها رهيبة تغطيها الاتربة . وكان واحد منهم أو اثنان يبدوان كما لو كانا ضريرين . وكنت أرثى لحالهم حين خاطبنى الدكتور ليدنر فقال " هذه أنواع جميلة من الرجال ، أليس كذلك ؟ ... فما أعجب الدنيا .. شخصان واقفان امام منظر واحد ولكل منها رأي مختلف عن الآخر .

وبعد لحظة قال الدكتور ليدنر أنه عائد الى البيت لتناول فنجان من الشاى قبيل الغداء . ومشينا معا وراح يروى لى قصصا كثيرة وعندما سمعت شرحه وتأويلاته اتخذ كل شئ سمة جديدة فى عينى واستطعت ان اتخيل عندئذ الشوارع والبيوت كما

كانت فيما سبق . وأرانى أفرانا كانوا يخبزون فيها العيش وقال ان العرب يستخدمون أفرانا مشابهة فى أيامنا هذه .

وعندما وصلنا الى البيت وجدنا أن مسز ليدنر قد صحت من النوم وكانت تبدو فى حالة جيدة غير التى كانت عليها بالأمس . وجيئ لنا بالشاى على الفور وأطلع الدكتور ليدنر زوجته على ما اكتشفوه فى الحفائر اليوم ثم غادرنا لاستئناف عمله . ودعتنى مسز ليدنر لكى أذهب معها لتريني الاكتشافات الحديثة . وكانت هناك أشيئا غريبة فى كل مكان من غرفة الآثار أغلبها آنية مكسورة أو هذا ما بدا لى على الأقل. وكانت هناك آنية أخرى رممت وأصلحت حديثا ولكن خيل لى أن كل هذا لا يصلح الا لصندوق القمامة فقلت :

- يا الهى ! ... انها لخسارة كبيرة تكون كلها محطمة هكذا ... هل هناك داع للاحتفاظ بها حقا ؟

أجابت مسز ليدنر وهى تبتسم ابتسامة خفيفة : - لا تنطقى بهذا القول أبدا امام اريك . ان الفخار يهمه أكثر من أى شئ آخر ، وبعض هذه القطع يرجع عهدها الى سبعة آلاف سنة .

وذكرت لى عندئذ أن بعضها جيئ به من حفرة عميقة جدا والبعض الآخر قد كسر منذ آلاف السنين والصقت اجزاؤها بالقار ، وان هذا دليل قاطع على أن الناس فى ذلك العهد كانوا يتمسكون بمقتنياتهم كما نفعل نحن تماما . واردفت تقول :

- والآن . سأريك شيئا غريبا .

وتناولت صندوقا من فوق الرف وأرتنى خنجرا جميلا من الذهب له مقبض مرصع بأحجار زرقاء قاتمة اللون فأطلقت صيحة تنم عن الاعجاب . وضحكت مسز ليدنر وقالت :

- أن كل الناس تحب الذهب فيما عدا زوجى .

- ولم هذه الكراهية ؟

- لأن هذا المعدن يكلفه الكثير فهو يدفع للعمال الذين يكتشفونه وزنه ذهبا .

- يا لهى ! ... ولم ذلك .

- هذا هو العرف المعمول به ، فان هذا الاجراء يمنعهم من سرقة ما يجدونه لانهم لا يهتمون بالقيمة الأثرية . واذا ما دفع ايريك ذهبا فانه يوفر عليهم سرقته وصبه للانتفاع بقيمته ماديا .

وتناولت صينية وأرتنى كوبا من الذهب محفور عليه رأس كبش ، ابديت اعجابى به هو الآخر فقالت :

- انه جميل ، أليس كذلك ؟ ان هذه التحفة جاءت من مقبرة أمير ، وقد اكتشفنا مقابر ملكية أخرى ولكن يد النهب والسلب كانت قد امتدت اليها . وهذا الكوب هو أحسن شئ عثرنا عليه . انه فريد فى نوعه وقطبت جبينها فجأة وأدنت الكوب من عينيها وحكته بظفرها فى رفق وقالت :

- عجبا ... قطعة من الشمع ! لاريب ان احدهم جاء هنا ومعه شمعة .

وأزالت آثار الشمع وأعادت الكوب مكانه .

ثم أرتنى بعد ذلك بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من التيراكواتا ، واغلبها غير متقن الصنع . وعاد بعد ذلك الى الفراندة حيث كانت مركادو جالسة تطلى ظافرها . وكانت ترفعها أمام عينيها من وقت لآخر وتتأمل لونها .. وكان لونا أحمر فاقعا لم أشعر بأى ميل اليه .

وكانت مسز ليدنر قد جاءت معها من غرفة الآثار بطبق مكسور راحت تلصق اجزاءه . وراقبتها لحظة وهى تفعل ذلك ثم عرضت عليها مساعدتى فقالت :

- بكل سرور ، فهناك أشياء كثيرة تحتاج الى اصلاح .

وذهبت فجاءت ببعض الآنية المكسورة وعلمتنى كيف أفعل ، ولم ألبث أن اتقنت

هذا العمل فهنأتنى لما أبديت من براعة . وصاحت مسز مركادو :

- ان الجميع فى هذا البيت يعملون ... أما أنا فخاملة .

قالت مسز ليدنر فى غير اكتراث : - انت وشأنك وبعد أن فرغنا من تناول الغداء فى الظهر نظف الدكتور ليدنر ومستر مركادو وبعض الأوانى الخزفية بمحلول من حمض الكلوريدريك . وكشفت احدى الغازات عن لون بنفسجى جميل وأخرى عن لون آخر أجمل . وبدا الأمر كأنه سحر فما تكاد نقطة من الكلوريدريك تقع على الطين الجاف حتى يزول ويتبخر .

وعاد مستر كاري ومستر كولمان الى الحفائر فى حين ذهب مستر ريتر الى غرفة التصوير . وقال الدكتور ليدنر مخاطبا زوجته :

- ماذا ستفعلين يا لويز ؟ ... اظن انك ستستجمين قليلا ؟

وكان من عادة مسز ليدنر ان تستريح قليلا بعد الغداء ولهذا قالت :

- نعم . سأرقد ساعة وربما أخرج بعد ذلك فى نزهة قصيرة .

- حسنا . ستذهب مس ليذيران معك ، أليس كذلك ؟

فأسرعت أقول : - بكل سرور .

- كلا . كلا . سأخرج وحدى ، فلا أريد أن تحسب الممرضة أنها مضطرة أن تتبعنى كظلى .

قلت : ولكن يسرنى أرافقك .

أجابت فى صوت لا يقبل الجدل : - كلا . اننى أفضل أن أخرج وحدى . ان الوحدة تروق لى من وقت لآخر .

ولم يسعنى الا أن اسكت . ومع ذلك وأثناء ذهابى الى غرفتى لكى استجم قليلا وجدت أن من الغرابة أن مسز ليدنر ، على الرغم من الخوف الذى تشعر به يروق لها أن تخرج وحدها دون سمير أو رفيق .

وفى نحو الساعة الثالثة والنصف خرجت من غرفتى ورأيت فى الفناء غلاما يغسل بعض الأوانى فى حوض من النحاس . وكان مستر ايموت يناوله اياها أولا بأول . وفيما انا اتقدم منهما دخلت مسز ليدنر من الباب العام ، وكانت فى حالة راضية وبادية الغبطة .

وخرج الدكتور ليدنر من غرفته ولحق بها لكى يريها طبقا منقوش فوقه قرنا ثور وقال :

– ان الحفائر القديمة تعج بثروة غريبة ... ويبدو أن الموسم سيكون مثمرا ... أن عثورنا على هذه المقبرة فى بداية الحفر كان فألا حسنا . والوحيد الذى يمكنه أن يشكو هو الأب لافينى فحتى الآن لم نجد شيئا من المحفوظات التى يهتم بها .

وقالت مسز ليدنر فى لهجة جافة : – لابل يبدو أنه أفاد كثيرا من المحفوظات التى أعطيناها له . لقد يكون خبير فى المخطوطات ولكننى أرى أنه كسول كبير فهو خبير طوال فترة بعد الظهر فى النوم .

تنهد الدكتور ليدنر وقال : اننا نفتقد بيرد ، فان هذا الأب لافينى لا خير فيه على الرغم من اننى لا أفهم شيئا فى هذا الموضوع . ولكن ترجمته لبعض النقوش ادهشتنى وأجد مشقة كبيرة فى صحة العبارات المنقوشة .

وبعد الشاى سألتنى مسز ليدنر أن كان يروق لى أن اتنزه معها حتى النهر . وأظنها كانت تخشى أن يكون رفضها لمرافقتى لها عند الظهر قد جرح كبريائى ولكى أبدد ظنونها من هذه الناحية أسرعت بالقبول .

وكانت أمسية رائعة فقد اجتزنا حقول الذرة وبعض البساتين وبلغنا نهر دجلة أخيرا . ورأينا على اليسار المكان الذى فيه الحفائر وعلى اليمين ساقية كبيرة يصدر منها صوت غريب وهى تدور أثار أعصابى فى البداية ولكننى لم ألبث أن اعتدت عليه والفته ، وكانت القرية التى يأتى منها عمال الحفر تقع خلف الساقية مباشرة .

وقالت مسز ليدنر : - ان المكان جميل حقا . أليس كذلك ؟

- نعم . وهو مكان هادئ يبدو لى وأنا فيه اننى بعيدة عن كل شئ .

ردت مسز ليدنر قائلة : - بعيدة عن كل شئ ... نعم ، فهناك يشعر المرء على الاقل انه فى أمان .

القيت اليها نظرة سريعة ولكننى أظن انها كانت تحدث نفسها أكثر مما كانت تحدثنى ولا أظن أنها ادركت ان كلماتها نمت عما يساورها من أفكار .

وأخذنا طريق العودة فى بطء .

وفجأة تشبثت مسز ليدنر بذراعى فى قوة بحيث أوشكت أن اصرخ من الألم وهتفت تقول :

- من هذا الرجل ايتها الممرضة ؟ ... وماذا يفعل فى هذا المكان ؟

كان هناك رجل يقف على مسافة منا ، فى المكان الذى ينعطف فيه الطريق الى البيت . وكان يرتدى ثيابا أوربية ، وقد شب على طرفى قدميه محاولا أن يختلس النظر من احدى النوافذ .

وفجأة التفت نحونا فرآنا واسرع الينا . وازداد ضغط أصابع مسز ليدنر بذارعى وتمتمت :

- أيتها الممرضة ! ... ايتها الممرضة ! .

فقلت اطمئنها : - لا تخافى يا عزيزتى .

وبلغ الرجل المكان الذى نقف فيه ثم تجاوزنا ، ورأيت انه رجل عراقى . وعندما رآته مسز ليدنر اطلقت ذراعى وهى تتنهد وقالت :

- أوه ... انه عراقى .

واستأنفنا السير . والقيت نظرة الى النافذة ونحن نقترب . ولم تكن مزودة بالقضبان الحديدية فحسب ولكنها كانت مرتفعة بحيث لا يمكن لاى أحد أن يرى شيئا

من الداخل لأن مستوى الأرض فى هذه الناحية كان منخفضا عنه فى الحوش . وقلت :

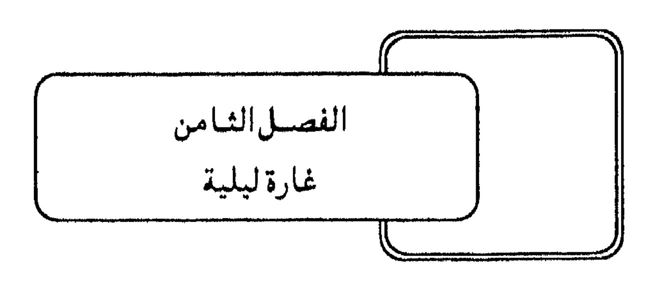
- ان هو الا مجرد رجل فضولى .

هزت مسز ليدنر رأسها وقالت : - ومع ذلك فاننى ظننت .

وأمسكت . قلت فى نفسى : - ماذا ظننت ؟ ... ليتنى أعرف ذلك ...

ولكننى تأكدت الآن من شئ على الأقل ، وهو أن مسز ليدنر كانت تخشى رجلا من لحم ودم .

***



الفصل الثامن
غارة ليلية

من العسير أن اسجل الأحداث كما وقعت تماما خلال الاسبوع الأول من اقامتى فى تل بارمجه .

واذ أعود الى الوراء ، وعلى ضوء المعلومات التى أعرفها الآن أرى أن نقاطا كثيرة قد أفلتت منى فى ذلك الوقت . ولكى تبدو قصتى واضحة تماما فاننى أظن أنه يجب أن أحاول أن أصف جو الشك والقلق والاحساس بأن شيئا ما سوف يقع .. وهو الجو الذى كان سائدا عندئذ

وقد كانت هناك نقطة مؤكده وهو أن ذلك الوتر وذلك الجزع الذى كنا نعيش فيهما لم يكونا من نسج الخيال وانما كانا حقيقة واقعة وحتى بيل كولمان نفسه ، ذلك الرجل المتبلد الشعور لم يكف عن الاشارة الى ذلك الجو فقد سمعته يقول :

- ان هذا المكان يثير أعصابى .. انه مكان كئيب مشئوم .

كان يخاطب بذلك زميله ايموت ... وقد احسست بالميل نحو هذا الأخير فلم يكن فى صمته ما يعيب ثم ان صدقه وصراحته كان لهما اثر كبير وسط جو الشك والقلق اللذين كانا سائدين حوله .

وقد رد على مستر كولمان قائلا : - لقد كان الجو مختلفا تماما فى السنة الماضية . ولكنه لم يسهب فى قوله أكثر من ذلك . وعاد مستر كولمان يقول فى لهجة حزينة : - اننى لا أستطيع أن أخمن ما يدور .

ولكن ايموت اكتفى بأن هز كتفيه .

ودار بينى وبين مس جونسون حديث له وزنه ... وقد احببت هذه السيدة كثيرا فقد

كانت نشيطة وعملية وذكية ، وكان واضحا انها تعتبر الدكتور ليدنر بطلا حقيقيا .

وقد روت لى فى ذلك الحديث قصة حياته منذ حداثته . فقد كانت تعرف كل الحفائر التى أهتم بها والنتائج التى وصل اليها وانى لعلى استعداد لأن أقسم انه كان فى مقدورها ان تذكر عن ظهر قلب صفحات كاملة من محاضراته . كانت تعتبره أعظم من اهتم بعلم الآثار حتى ذلك الوقت .

- ثم انه بسيط جدا لا يبالى بأمور الدنيا ولا يعرف معنى كلمة الغرور والرجل العظيم وحده هو الذى يمكن أن يكون بمثل هذه البساطة .

- هذا صحيح . ان الرجال الكبار هم الذين لا يحبون الظهور .

- ثم انه خلى البال ... ولا أستطيع أن اصف لك كم لهونا أنا وهو وريتشارد كارى فى السنوات . الأولى التى قضيناها هنا . وكان ريتشارد كارى قد اشترك فى العمل معه فى فلسطين ، وترجع صداقتهما الى نحو عشر سنوات اما أنا فقد عرفته منذ سبع سنوات .

قلا : - ان مستر كارى وسيم .

- نعم ... اظن انه كذلك .

- ولكنه منطو على نفسه قليلا الا ترين ذلك ؟

وأمسكت فجأة فسألتها : - منذ متى ؟

هزت مس جونسون كتفيها هزة ذات معنى وقالت حسنا ... لقد تغيرت أشياء كثيرة هذه الأيام لم اسألها المزيد على أمل ان تستمر فى الحديث وفعلا راحت تقول بعد أن ضحكت ضحكة قصيرة

- أخشى ان أكون امرأة رجعية ولكننى أرى انه اذا كانت زوجة رجل الآثار لا تهتم بعمل زوجها فان من الحكمة أن لا ترافقه فى مكان عمله ، فان ذلك يثير الخلاف دائما .

- قلت : - ولكن مسز مركادو . .

- أوه ... اننى لا أعنيها بكلامى وانما أعنى مسز ليدنر . انها امرأة ظريفة حقا وان الانسان ليدرك لماذا أغرم الدكتور بها ولكن مكانها ليس هنا ... ان وجودها يثير القلاقل .

وهكذا اتفقت مس جونسون مع مسز كيلسى فى هذه النقطة واجمعت المرأتان بقولهما هذا أن مسز ليدنر مسئولة عن جو التوتر السائد ولكن اذا صح هذا فمم تخاف مسز ليدنر ؟

واستطردت مس جونسون تقول : - انها تستأثر بكل أفكاره . وأنا اذا أردت ، أشبه بالكلب العجوز المخلص الغيور - ولا أحب أن أراه متعبا ومعذبا هكذا ، انه يجب ان يولى كل اهتمامه الى أبحاثه لا الى زوجته ومخاوفها السخيفة . واذا كانت تخاف من الاقامة فى مثل هذه البلاد النائية فلماذا لم تبق فى أمريكا . لا أبغض الى من الأشخاص الذين يهجرون وطنهم طواعية ثم يشكون ويتذمرون بعد ذلك .

ثم استطردت تقول وكأنها ادركت أنها تكلمت أكثر مما يجب : - اننى أقدرها كثيرا طبعا ،فهى امرأة فاتنة وتعرف كيف تكون ظريفة عندما تريد .

ووقف بنا الحديث عند هذه النقطة .

ورأيت بينى وبين نفسى ان القصة الخالدة تتجدد ، فعندما تضطر النساء الى المعيشة فى مكان واحد فان شيطان الغيرة يتسلل بينهن وكان واضحا أن مس جونسون لا تميل الى زوجة رئيسها وربما كان هذا أمرا طبيعيا واذا لم أخطئ فاننى استطيع أن اؤكد ان مسز مركادو هى الاخرى تمقت مسز ليدنر .

وكذلك الحال مع شيلا ريلى . لم تكن هى الأخرى تميل الى مسز ليدنر . وقد جاءت شيلا الى الحفائر بضع مرات ، مرة فى السيارة ومرتين على صهوة جواد برفقة فارس شاب . وكنت اشتبه فى قرارة نفسى فى انها تميل الى ايموت . ذلك الشاب الصموت ،

فانها عندما كانت تجده فى الحفائر كانت تبقى لتثرثر معه ، وكان واضحا انها تكن له اعجابا شديدا .

وذات يوم اشارت مسز ليدنر الى هذا الموضوع فقالت :

- مازالت تلك الفتاة ريلى تطارد دافيد . مسكين يا دافيد ! انها تطارده حتى الحفائر . ما أسخف الفتيات !

لم يجب مستر ايموت . ولكن وجهه اضطرم ورفع عينيه ونظر اليها مليا نظرة غريبة حادة فيها شئ من التحدى وابتسمت مسز ليدنر ابتسامة خفيفة واطرقت .

وسمعت الأب لافينى يتمتم ببعض الكلمات ولكننى عندما قلت له " عفوا " اكتفى بأن هز رأسه ولم ينطق .

وفى اصيل هذا اليوم خاطبنى مستر كولمان قائلا : الواقع اننى لم أشعر بأى ميل لمسز ليدنر فى البداية . فاننى كنت لا أكاد افتح فمى بالحديث حتى تنهال على بتهكماتها وسخرياتها ولكننى لم البث ان فهمتها وادركت انها أفضل امرأة التقيت بها حتى الآن . ان الانسان لا يكاد يعرفها حتى يصارحها بكل ما واجهه فى الدنيا من طيش ونزق ، واذا كانت تحقد على شيلا ريلى فذلك لأن شيلا قد اغلظت فى معاملتها قبل ذلك أكثر من مرة .

شيلا قد اغلظت فى معاملتها قبل ذلك أكثر من مرة .

وهذا لا يستغرب من شيلا فهى ليست حميدة السلوك ثم انها حادة الطباع .

ومستر كولمان صادق فى قوله هذا فان الدكتور ريلى دلل ابنته كثيرا واستطرد الشاب يقول :

- وهى تزهو طبعا لانها الفتاة الوحيدة بيننا ولكن ليس هذا عذرا يسمح لها بأن تعامل مسز ليدنر كما لو كانت عمتها الكبرى . صحيح أن مسز ليدنر ليست شابة ولكنها امرأة جميلة فاتنة تخلب الألباب وتأسر الافئدة وهذا مالا يتسنى لشيلا .

واتذكر كذلك حادثين آخرين لهما وزنهما .

نفى ذات يوم ذهبت الى العمل لكى آخذ زجاجة الاسيتون لكى ازيل آثار الصمغ والغراء عن يدى من جراء لصق الفخار ووجدت مستر مركادو جالسا فى ركن ورأسه بين ذراعيه وظننت أنه نائم فأخذت الزجاجة وخرجت .

وفى المساء ما كانت أشد دهشتى عندما خاطبتنى مسز مركادو قائلة :

هل أخذت زجاجة الاسيتون من المعمل ؟

- نعم .

- ولكنك تعرفين مع ذلك ان هناك زجاجة فى غرفة الآثار .

وكانت غاضبة جدا وأجبتها : - حقا . لم أكن أعرف .

- بل أظن انك تعرفين . انما ذهبت الى المعمل للتجسس .

حملقت فيها فى هدوء وعزة نفس : - لا أدرى ماذا تعنين يا مسز مركادو . اننى آت هنا لكى أتجسس على أى أحد .

صحيح ؟ ... اتحسبيننى غبية لا أعرف لماذا أتيت هنا ؟

مرت بى دقيقة أو دقيقتان ظننت فيها انها أفرطت فى الشراب . وتركتها دون أن انطق بكلمة أخرى ولكن بدا لى أمرها غريبا جدا .

أما الحادث الثانى فلم يكن شيئا بذى بال فقد حاولت استماله كلب صغير وقدمت اليه كسرة من الخبز . ولكن الكلب حسب اننى اضمر له شرا فابتعد عنى وتبعته الى الخارج وخرجت من الباب العمومى وجريت خلفه الى خلف البيت عندما اصطدمت بالأب لافينى وبرجل آخر يتحدث معه عرفت فيه على الفور الرجل العراقى الذى فاجأته انا ومسز ليدنر يحاول اختلاس النظر من احدى النوافذ . وتمتمت ببعض كلمات الاعتذار .

وابتسم الأب لافينى واستأذن منه فى الانصراف وعاد معى الى البيت .

- لا يمكن أن تعرفى الى أى حد أشعر بالخجل . اننى أدرس اللغات الشرقية ومع ذلك فلا يهمنى أى واحد من هؤلاء الفلاحين . وهذا مهين جدا بالنسبة لى ، وكنت أحاول أن أتحدث بالعربية مع هذا الرجل ، وهو من سكان المدينة وكنت أرجو أن يفهمنى هو الآخر ولكن النتيجة لم تكن مشجعة للأسف ، وليدنر يقول اننى أتكلم عربية فصحى لا يفهمها هؤلاء الناس .

وعلى الرغم من تبرير الأب لافينى فقد استغربت أن يحوم نفس الرجل بالبيت مرة أخرى .

وفى تلك الليلة أوشكنا أن نموت من الخوف .

ففى نحو الساعة الثانية صباحا صحوت من نومى بمجرد أن فتح باب غرفتى لأننى خفيفة النوم شأنى فى ذلك شأن كل ممرضة وسمعت صوتا يقول :

- أيتها الممرضة ... أيتها الممرضة ...

وكان صوت مسز ليدنر ، وكان خافتا وملحا فحككت عودا من الثقاب وأضأت شمعة ، واذا بى أراها واقفة بعتبة الباب فى ثوب أزرق طويل وهى ترتعد خوفا وهمست قائلة :

- هناك شخص فى الغرفة التى بجوار غرفتى ... سمعته يحك الحائط بيده

ووثبت من فراشى وأسرعت اليها وانا أقول : - لا تخافى يا عزيزتى ، فأنا هنا .

وهمست ثانية : - احضرى ايريك .

اسرعت الى غرفة زوجها وطرقت الباب . وبعد دقيقة واحدة كان معنا .

وكانت مسز ليدنر جالسة على فراشى وهى تلهث لفرط الانفعال . وقالت :

- اننى سمعته يحك الحائط بيده .

وصاح الدكتور : - غرفة الآثار .

وأسرع خارجا . ورأيت فى لمحة خاطفة كيف يمكن أن تختلف نظرة شخصين فى

وقت واحد ، فقد كانت مسز ليدنر تخاف على نفسها فى حين لم يكن الدكتور ليدنر يفكر فى غير كنوزه الثمينة .

وقالت مسز ليدنر : - غرفة الآثار ، ... طبعا ... ما أغبانى !

ونهضت والتفت فى ثوب النوم وسألتنى ان اتبعها وقد زال عنها كل اثر للخوف . وعندما بلغنا غرفة الآثار رأينا الدكتور ليدنر والأب لافينى .

وقال هذا الأخير انه سمع صوتا بدوره فنهض لكى يتحقق من الأمر وخيل له أنه يرى نورا ينبعث من غرفة الآثار وانه أضاع بعض الوقت فى البحث عن خفيه وعن مصباحه الكهربائى وأنه عندما ذهب الى الغرفة لم يجد بها أحدا وفيما كان يتحقق من انه لا ينقص أى شئ لحق الدكتور ليدنر به .

ولم نستطع أن نعرف المزيد فقد كان الباب الخارجى مغلقا بالمفتاح ، وأقسم البواب أن أحدا لم يستطع أن يدخل من الخارج . ولكن لم يكن هناك شك فى أن البواب كان يغط فى نوم عميق فلم نستطع أن نعتمد على قوله هذا ثم اننا لم نجد أثرا لأى قدم كما أنه لم يسرق أى شئ .

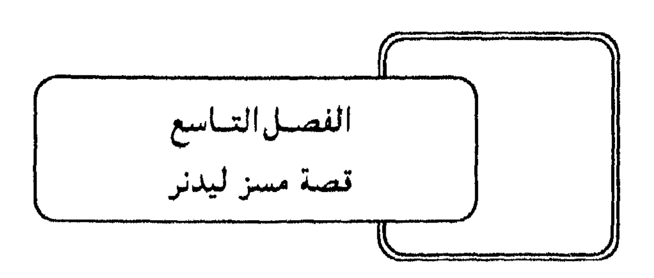
ومن الجائز ان مسز ليدنر تملكها الخوف وهى تسمع الأب لافينى وهو ينزل الصناديق من فوق الرفوف لكى يتأكد من أن كل شئ على ما يرام .

ومن ناحية أخرى كان الأب لافينى واثقا من انه سمع شخصا يمر تحت نافذته وأنه رأى بصيص نور لعله نور مصباح كهربائى ينبعث من غرفة الآثار .

ولم يسمع أحد غيره شيئا أو ير شيئا ما .

ولهذا الحادث الأخير وزنه فى قصتى لأنه حمل مسز ليدنر على الافضاء الى بذات نفسها فى اليوم التالى .

***



الفصل التاسع
قصة مسز ليدنر

بعد الغداء مباشرة ذهبت مسز ليدنر الى غرفتها لكى تستجم كعادتها ، فاستلقت فى فراشها ووضعت الوسائد خلف رأسها وأعطيتها كتابا وهممت بالانصراف عندما قالت : -

- لا تخرجى فاننى أريد أن أقول لك شيئا . اغلقى الباب .

وما أن أغلقت الباب حتى نهضت واقفة وراحت تذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا . وكان من الواضح أنها تريد أن تفكر قبل اتخاذ أي قرار فلم أشأ ان أقاطعها .

وأخيرا ، وبعد أن جمعت شجاعتها توقفت وتحولت الى وقالت فجأة : - اجلسى.

جلست بجوار المنضدة وبدأت تقول فى انفعال : - لاريب أن كل ما حدث قد اثار دهشتك ؟

اكتفيت بأن هززت رأسى ولم أنطق فعادت تقول : - لقد عقد العزم على أن أقول لك كل شئ ... كل شئ ... يجب أن أكشف لأحد عما بى والا فاننى سأفقد عقلى .

- أظن ان هذا أفضل يا سيدتى ، فليس من السهل أن يعرف الانسان ماذا يفعل اذا ماراح يتخبط فى الظلام .

توقفت عن السير ووجهتنى قائلة : - هل تعرفين ما الذى يخيفنى ؟

- أهو رجل ؟

- نعم ... ولكننى لم أقل مم أخاف وانما قلت ما الذى يخيفنى .

انتظرت . وقالت أخيرا : - اننى أخاف أن يقتلنى بعضهم .

وهكذا تكلمت أخيرا . ولم أشأ أن أبدى أى تعليق لأنها كانت على أبواب الهستريا . ولم أزد عن أن أقول :

- حقا ... الأمر كذلك اذن ،

وعندئذ راحت تضحك ... وتضحك حتى انسابت الدموع على وجنتيها وهمست :

- انك تتكلمين كما لو أن الأمر عادى .

قلت فى حدة : - كلا ... هذا لا يجدى

ودفعت بها الى أحد المقاعد وذهبت الى الحوض وعدت بقطعة مبتلة من الاسفنج ومسحت بها على جبينها فى رفق وقلت :

- كفى انفعالا : وأخبرينى بالأمر فى هدوء .

وكان لقولى هذا التأثير المطلوب ، فقد سكتت ثم تكلمت فى صوت عادى فقالت : -

- انك جوهرة أيتها الممرضة ... جعلتنى أشعر كأننى طفلة فى السادسة ... سأخبرك بكل شئ .

وراحت تتكلم فى بطء وهدوء فقالت : - تزوجت وأنا فى العشرين من عمرى برجل أمريكى ، وكان ذلك فى سنة ١٩١٨ .

قلت : - اننى أعلم هذا . أخبرتنى به مسز مركادو ، وقد قتل خلال الحرب .

ولكن مسز ليدنر هزت رأسها وقالت : - هذا هو الاعتقاد السائد ... ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك . كنت فى ذلك الوقت فتاة مثالية متحمسة الى أقصى حد ، ولكننى بعد بضعة شهور من الزواج اكتشفت عرضا ان زوجى كان جاسوسا يعمل لحساب المانيا . وعلمت أن العلومات التى قدمها تسبب فى قصف سفينة ركاب أمريكية مات فيها المئات. ولا أدرى كيف كانت أية امرأة غيرى تتصرف ازاء ذلك ولكننى كشفت الحقيقة كلها لزبى . وكان يشغل منصبا كبيرا فى وزارة الحربية ... وقد قتل فردريك خلال الحرب حقا... ولكنه مات فى امريكا .. أعدم بالرصاص بصفته جاسوسا .

- أوه ... يا الهى ... هذا فظيع .

قالت : - نعم ... فظيع ... فقد كان زوجى ، وكان يعاملنى بكل رفق وحب . وطوال ذلك الوقت ... ولكننى لم أتردد لحظة ... ولعلنى أخطأت ...

- من العسير أن ابدى رأيا فى مثل هذه الحالة فهى حالة شاذة .

- وبقيت هذه القصة فى طى الكتمان ولم يعرفها أحد فيما عدا وزارة الحربية . أن زوجى رحل الى الجبهة رسميا وقتل هناك . وابدى معارفى وأصدقائى عطفا كبيرا بصفتى أرملة حرب .

وكانت تتكلم فى صوت مرير : - وأخذت طلبات الزواج تنهال على ، ولكننى احسست بأننى لن أستطيع أن أثق بأحد بعد هذه التجربة .

- لو اننى كنت مكانك لأحسست بنفس الاحساس .

- وبعد بضع سنوات أغرمت بشاب معين ، ولكننى كنت لا أزال أتردد فى منحه يدى عندما وقع حادث غريب ، فقد جاءتنى رسالة من غير توقيع .. من فريدريك يهددنى فيها بالقتل اذا أنا تزوجت من جديد ...

- من فريدريك ؟ ... زوجك الذى مات ؟

- نعم . رميت نفسى بالجنون فى بادئ الأمر وحسبت اننى فى منام وأخيرا ذهبت لاستشارة أبى فأخبرنى بالحقيقة وقال لى ان زوجى لم يعدم رميا بالرصاص وانه هرب لم يفده بشئ لأنه بعد بضعة أسابيع من ذلك لقى حتفه فى حادث خروج قطار عن الخط . ووجدت جثته بين جثث القتلى . وأخفى أبى خبر فراره عنى . ولكنه الآن ، وقد مات لم يجد ما يمنع عن أن يكشف لى الحقائق الصحيحة . ولكن الخطاب الذى استلمته فتح آفاقا جديدة ... ربما كان من الجائز ان يكون زوجى لا يزال على قيد الحياة .

" واهتم أبى بالأمر بنفسه وأكد لى أن الجثة التى دفنت باسم فريدريك هى جثة فريدريك حقا ، بقدر ما أسفر عنه التحقيق على الأقل لأن وجهها كان مشوها ولكن من

رأيه أن فريدريك مات وان هذا الخطاب لا يعدو أن يكون مجرد مزحة " .

وتجدد نفس الشئ ... ففى كل مرة ارتبط فيها بمصادفة رجل كانت تأتينى رسالة تهديد .

- مكتوبة بخط زوجك ؟

أجابت فى بطء : - من العسير ان أرد على هذا السؤال ، لاننى لم أكن أملك أى شئ بخطه وكنت استرشد بذاكرتى فقط .

- ألم تجدى فى هذه الرسائل عبارات تستطعين منها أن تتأكدى من شكوكك ؟

- كلا . كانت هناك بعض العبارات الخاصة التى كنا نتبادلها معا وهو على قيد الحياة ، وهى عبارات لا يعرفها أحد غيرنا ، وكانت رسائله تخلو منها ولو اننى وجدت بعض هذه العبارات فيها لتبددت شكوكى .

- هذا غريب ... يبدو كأن هذه الرسائل ليست من روحك ، واذا كان الأمر كذلك فممن تكون اذن ؟

- هناك احتمال . فقد كان لفريدريك أخ صغير فى العاشرة أو الثانية عشرة من عمره عندما تزوجنا وكان يعبد فريدريك . وكان هذا الأخير يحبه كل الحب . ولا أدرى ما الذى حدث لهذا الصبى لاننى لم أره بعد ذلك . ولعل ويليام الشاب وقد اعماه حبه الاخوى يعتبرنى مسئولة عن موت أخيه الأكبر . كان دائم الغيرة منى ولعله لجأ الى هذه الوسيلة لمعاقبتى

قلت : هذا جائز ، فان الأطفال لا ينسون ما يحدث لهم أبدا .

اعرف ذلك . ، ولعل هذا الصبى قد كرس حياته لكى ينتقم منى .

- استمرى من فضلك .

أوه لم يعد هناك الكثير ، فقد تعرفت بايريك منذ ثلاث سنوات ، ولم يكن فى نيتى أن أتزوجه ولكنه تغلب على ترددى ومخاوفى . وانتظرت ان تأتينى رسالة تهديد

اخرى حتى يوم الزواج ولكن لم يأت شئ واستنتجت من ذلك ان كاتب تلك الرسالة اما أن يكون قد مات أو يكون قد تعب من هذه الرياضة القاسية ولكن جاءتنى هذه الرسالة بعد يومين من زواجى .

وأخذت حافظة جلدية فتحتها بواسطة مفتاح واخرجت منها رسالة ناولتنى اياها .

كان الحبر قد بهت قليلا . وكان الخط مائلا بعض الشئ يوحى بأن كاتبته امرأة . وهذا نصها .

" انك عصيت أمرى ومن المستحيل الافلات من المصير الذى ينتظرك الآن . يجب أن تكونى زوجة فريدريك بوسنر فقط فاستعدى للموت ... " .

- وقد تملكنى الخوف . ولكن ليس الى حد كبير فى بادئ الأمر فقد شعرت بشئ من الأمان مع ايريك .

وبعد شهر جاءتنى رسالة اخرى تقول :

" اننى لم انس . وانما أعد خطتى . ستموتين . لماذا عصيت أمرى "

- هل يعلم زوجك بأمر هذه الرسائل ؟

أجابت مسز ليدنر ببطء : - انه يعرف ان حياتى مهددة فانه عندما جاءتنى الرسالة الثانية أطلعته على الرسالتين معا . وكان يميل الى الرأى بأن الأمر مجرد دعابة سمجة . وقد خطر له أيضا أن كاتب الرسالة يهددنى لكى يبتز بعض أموالى ويحاول أن يخيفنى بأن يجعلنى أعتقد ان زوجى الأول مازال على قيد الحياة .

وسكتت لحظة ثم عادت تقول : - وبعد بضعة أيام من استلامى الرسالة الثانية كدنا نموت اختناقا فقد تسلل بعضهم الى مسكننا ونحن نيام وفتح صنبور الغاز . ولكننى صحوت فى الوقت المناسب لحسن الحظ وشممت رائحة الغاز . ولم أستطع السكوت أكثر من ذلك فرويت لايريك كل العذاب الذى احتملته طوال سنوات وادرفت أقول أن ذلك المجنون يفكر فى قتلى حقا . وقد خامرنى احساس أكيد بأن فريدريك يريد بى شرا حقا ،

فانني كنت قد لمست تحت رقته قسوة بالغة .

" اما ايريك فقد نظر الى الأمر نظرة مختلفة وأراد أن يلجأ الى البوليس "

ولكنني عارضته فى قوة وأخيرا اتفقنا على أن أرافقه فى عمله وان من دواعى الحرص بالنسبة لى ، ان أبقى فى لندن أو ان أذهب الى باريس لقضاء الصيف بدلا من أمريكا .

" ونفذنا هذا القرار وسار كل شئ على ما يرام واحسست بالثقة فى المستقبل خاصة وان نصف الكرة الأرضية اصبحت تفصل بينى وبين غريمى .

ولكن منذ ثلاثة أسابيع جاءتنى رسالة عليها طابع بريد عراقى .

وناولتنى الرسالة الثالثة وكان هذا نصها :

" خيل لك ان بامكانك الافلات منى . وأنت فى هذا مخطئة . لن أسمح لك بأن تتمتعى بالحياة بعد أن تنكرت لذكراى . ألم أنذرك بما فيه الكفاية ؟ ان الموت يقترب فى خطوات واسعة " .

- وهذه رسالة أخرى وجدتها على المنضدة منذ أسبوع وليس عليها اى طابع مما يدل على انها لم تأت عن طريق البريد .

وأخذت من يدها قصاصة من الورق عليها هاتان الكلمتان مكتوبتان بنفس الخط "انني وصلت " .

وحدقت فى وقالت : - هل تفهمين الآن ؟ ... سواء كان فريدريك أو ويليام .. فانه سيقتلنى فى النهاية .

كان صوتها مضطربا ، فأخذت يدها وقلت أحاول مواساتها : - اطمئنى ... لا تخافى... سنسهر عليك ... الديك زجاجة من الاملاح ؟

أشارت الى طاولة الزينة وأعطيتها جرعة . وقلت وانا أرى اللون يرتد اليها :

- هذا أحسن .

- نعم . اننى أشعر بأننى أحسن الآن . ولكن هل تفهمين ما أنا فيه من خوف ؟

عندما رأيت ذلك الرجل يختلس النظر من النافذة خيل لى انه هو ... بل اننى شككت فيك انت عند مجيئك ، فقد حسبتك رجلا متنكرا فى زى امرأة .

- يا لها من فكرة !

- هى فكرة سخيفة طبعا ولكن من الجائز أن تكونى شريكته ... وان لا تكونى ممرضة حقا .

- انك تهذين الآن .

- ربما . لاننى أكاد أفقد وعيى فى بعض الأحيان .

قلت فجأة وقد خطر لى خاطر : - لاريب انك تعرفين زوجك الأول اذا رأيته ؟

ولكنها أجابت فى بطء : - لست واثقة من ذلك . ولا تنسى أن هذه المأساة قد وقعت منذ أكثر من خمسة عشر عاما . ولعل شكله قد تغير .

وسرت فى بدنها رعشة واستطردت : - رأيت وجهه ذات ليلة ، ولكنه كان وجه ميت. سمعت دقا على النافذة ولم البث أن رأيت وجها مكشرا خلف الزجاج فصرخت ... وأكدوا لى بعد ذلك انه لا يوجد شئ .

تذكرت فى هذه اللحظة قصة مسز مركادو وقلت : الا يمكن أن تكونى قد رأيت ذلك الوجه فى المنام ؟

- أوه ، كلا ، واؤكد لك ذلك .

ولكننى لم أكن واثقة من قولها هذا ، ففى مثل هذه الظروف يحسب المرء أن الكوابيس التى يراها حقيقة لا خيال . ولما كان من مبادئي أن لا أخاف مريضا أبدا فقد حاولت مواساتها بقدر طاقتى وأكدت لها أنه اذا اقترب أي رجل غريب من البيت فاننا سنعرف بأمره على الفور .

وتركتها وقد أطمأنت بعض الشئ . ثم مضيت الى مستر ليدنر واطلعته على الحديث الذى دار بينى وبين زوجته فاكتفى بأن قال :

يسرنى انها أطلعتك على مخاوفها . لقد ازعجتنى هذه التهديدات كل الجزع ، وانا واثق ان هذا الوجه الذى رأته خلف رجاج النافذة والدق الذى سمته أن هو الا نتاج الوهم والخيال . ولم ادر ماذا أفعل لتهدئتها . ما رأيك فى كل هذا أيتها الممرضة ؟

بدت لى لهجته غامضة ، ومع ذلك فقد أجابته قائلة : - من الجائز ان لا تكون هذه الرسائل الا مجرد دعابة سمجة .

نعم . أن كل الظواهر تدل على ذلك . اشتبهت فى أن هناك امرأة خلف كل هذا ، فقد كان يبدو ان الرسائل قد كتبتها امرأة : وتصورت أن مسز مركادو وراء كل هذا .

لنفرض انها عرفت الظروف التى أحاطت بزواج مسز ليدنر لأول مرة . من الجائز عندئذ انها فكرت فى الانتقام منها بافزاعها وتخويفها .

ورأيت غضاضة فى الافضاء بشكوكى هذه للدكتور ليدنر فان احدا لا يدرى ماذا يكون من رد الفعل عند الناس فى مثل هذه الظروف . وقلت له فى شئ من العزاء .

ليس هناك مايدعو الى اليأس وأعتقد ان مسز ليدنر فد اطمأنت الآن بعد الحديث الذى تبادلناه فان المرء ليشعر بالارتياح اذا ما افضى لغيره بمشاكله خاصة اذا كانت هذه المشاكل من تلك التى ترهق الأعصاب .

وعاد يقول : يسرنى جدا انها أفضت اليك بذات نفسها . وهذه اشاره طيبة ففيها دليل على الود ، واعترف بأننى استنفذت كل الوسائل لتهدئتها .

وكنت على وشك ان أسأله اذا كان قد أطلع البوليس على الأمر خفية عن زوجته . وقد سررت جدا فيما بعد لأنى لم ألق عليه هذا السؤال .

ففى صباح اليوم التالى كان يجب أن يذهب مستر كولمان الى الحسينية ليأتى بهايا العمال ، وكان عليه أن يأخذ معه فى هذه المناسبه رسائلنا ليذهب بها الى الطائرة .

وكنا قد وضعنا الرسائل التى كتبناها فى صندوق موضوع على حافة النافذة بغرفة الطعام وفى تلك الليلة وقبل أن يأوى مستر كولمان الى فراشه أخرج الرسائل من

الصندوق وجمعها فى حزم صغيرة راح يضمها بأربطة من الكاوتشوك عندما صاح فجأة :-

- ما هذا ؟

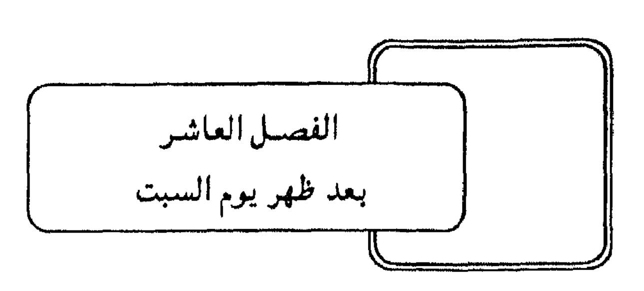
وناولنى رسالة وهو يقول متذمرا : - من المؤكد أن لويز الجميلة ليست فى كامل وعيها ، فهى ترسل هذه الرسالة الى الشارع الثانى والأربعين بباريس فى فرنسا ، وهذا خطأ . هل لك أن تذهبى اليها بهذه الرسالة لكى تصحح العنوان .. انها لجأت الى غرفتها الآن .

وأخذت المظروف وأسرعت الى غرفة مسز ليدنر لعمل اللازم . وكانت هذه أول مرة أرى فيها خط مسز ليدنر ، ومع ذلك فقد بدا لى خطها مألوفا لدى .

وفى نحو منتصف الليل خطرت لى فكرة فجأة فان هذا الخط كان يشبه بصورة كبيرة الخط الذى كتبت به رسائل التهديد فيما عدا أنه أكبر وأقل تناسقا .

واندفعت الى ذهنى افتراضات جديدة .. هل كتبت مسز ليدنر هذه الرسائل لنفسها ؟ وهل يشك زوجها فى ذلك ؟

***



الفصل العاشر
بعد ظهر يوم السبت

روت لى مسز ليدنر قصتها يوم الجمعة .

وفى صباح السبت كان يسود البيت جو من الطمأنينة والهدوء .

وعاملتنى مسز ليدنر بخشونة وتجنبت الاختلاء بى ولم يدهشنى منها ذلك فقد سبق أن تعرضت لمثل هذه المواقف مرارا مع سيدات المجتمع فهن يفتحن لك قلوبهن اذا ما تفجرت عواطفهن ثم لا يلبثن أن يبدين مللهن منك فى اليوم التالى ويأخذهن الندم لأفضائهن لك بذات أنفسهن . وهذا أمر طبيعى .

ولهذا حرصت على أن لا أشير الى ما ذكرته لى بالأمس واكتفيت بأن أحدثها عن أشياء عادية .

وكان مستر كولمان قد مضى الى الحسينية فى الصباح ليأتى بمهايا العمال وساق سيارة النقل بنفسه وأخذ رسائلنا فى كيس معه . وكان فوق ذلك قد تعهد بأن يقضى شيئا أو شيئين لبعض أعضاء البعثة .

وكان اليوم سبت كما سبق القول . وهو يوم دفع مهايا العمال ، وكان يجب أن يذهب الى المصرف وأن يأتى بالمال فى عملات صغيرة وكل هذا سيقتضيه وقتا طويلا طبعا ولهذا لم يكن من المتوقع أن يعود الا بعد الأصيل . ثم أننى أرتبت فى أنه قد يتناول الغداء مع شيلا ريلى .

ولم يكن العمال يستمرون فى الحفر بعد الظهر يوم السبت . وكان دفع المهايا يبدأ فى نحو الثالثة والنصف .

وجلس الغلام عبد الله وظيفته غسل الأوانى وازالة الأتربة من فوقها وسط الفناء

كعادته وراح يغنى أغنيته التى لا تنتهى . وتأهب الدكتور ليدنر ومستر ايموت لترتيب الغازات إلى أن يعود مستر كولمان فى حين ذهب مستر كارى إلى الحفائر .

ولجأت مسز ليدنر الى غرفتها لكى تستريح ، وساعدتها على الاستلقاء فى فراشها كالعادة . ولما لم يكن لدى ما أفعله فقد أخذت كتابا وخلوت الى غرفتى . وكانت الساعة قد بلغت نحو الواحدة الا الربع . ومرت ساعتان وأنا أقرأ رواية بوليسية تدور أحداثها فى احدى المستشفيات . وهى رواية طريفة على الرغم من أننى تحققت أنه ليست للمؤلف أية دراية عما يدور فى المستشفيات .

ونهضت وأصلحت ذات نفسى ثم خرجت الى الفناء .

وكان الغلام عبد الله لا يزال يدعك الغازات ويدندن بأغنيته المملة . وكان دافيد أيموت واقفا بجواره ينتقى الغازات النظيفة ويضع فى الصندوق القطع التى يمكن لصقها . وتقدمت نحوهما عندما رأيت الدكتور ليدنر يهبط السلم من السطح وقال فى مرح :

- هذا يوم لا بأس به ، فرغت فيه من ترتيب كل شئ وأخليت السطح . ستغتبط لويز جدا لأنها كانت تشكو فى الأيام الأخيرة من أنها لا تجد فيه مكانا تستطيع أن تمشى فيه . سأسرع لأخبارها بذلك .

ومضى الى غرفة زوجته وطرق الباب ثم دخل .

ولكنه لم يلبث أن خرج بعد دقيقة أو دقيقتين . وكنت أنظر فى هذه اللحظة بالذات الى الباب .

وخيل لى أننى أرى كابوسا مخيفا فقد دخل وهو بادى المرح والنشاط ولكنه خرج زائغ البصر يترنح كالمخمور وصاح فى صوت أجش : -

- أيتها الممرضة ... أيتها الممرضة !

أدركت على الفور أن شيئا قد حدث . وخيل لى أنه سيغمى عليه .

- زوجتى .. زوجتى ... أوه ... يا الهى !

أقصيته بحركة من يدى واندفعت الى الغرفة . ولكن المنظر الذى طالعنى كاد أن يقطع أنفاسى .

فقد كانت مسز ليدنر طريحة بجوار الفراش وقد تكومت حول نفسها تقريبا .

انحنيت فوقها . كان القضاء قد حم منذ نحو ساعة على الأقل . وكان سبب الموت واضحا ، فقد أصابتها ضربة شديدة فوق الجبين ، فوق الصدغ الأيمن تماما . كانت المرأة المسكينة قد نهضت من الفراش وقد عاجلها القاتل بالضربة القاتلة بمجرد أن وضعت قدميها على الأرض .

وحاولت أن لا ألمس الجثة بقدر الامكان .

ألقيت نظرة حولى لكى أرى اذا كان هناك أى شئ يمكن اكتشافه . ولكن بدا لى كل شئ فى مكانه ، وكانت النوافذ مغلقة . ولم يكن هناك مكان يصلح لاختباء القاتل ، وكان من الواضح أنه خرج منذ وقت طويل .

وأغلقت الباب خلفى وخرجت .

وكان الدكتور ليدنر قد فقد رشده أثناء ذلك ، ووقف دافيد ايموت بجواره ونظر الى مستقيما وقد شحب لونه . وأخبرته بما حدث فى كلمات وجيزة .

وكما قدرت ، كان رجلا هادئا يمكن الاعتماد عليه فى مثل هذه المواقف الحرجة ، فانه ظل محتفظا بهدوئه متمالكا لروعه ولم يزد عن أن اتسعت عيناه دهشة وقال بعد لحظة تفكير .

يحب اخطار البوليس من غير تأخير . سيعود بيل من لحظة لأخرى ماذا نفعل بليدنر ؟

ساعدنى فى حمله الى غرفته

هز ايموت رأسه وقال : لعل من الأوفق أن نغلق هذا الباب بالمفتاح أولا .

وأدار المفتاح فى القفل وقال : - احتفظى به معك أيتها الممرضة

وحملنا معا الدكتور ليدنر الى فراشه ثم ذهب مستر أيموت وجاء بزجاجة من البراندى ويرفقته مس جونسون .

وكان وجهها شاحبا يدل على القلق ولكنها هادئة متمالكة لجأشها وعهدت اليها بالدكتور ليدنر .

وأسرعت الى الحوش بخطوات نشطة . كانت سيارة النقل تدخل من الباب العمومى فى هذه اللحظة وصدمنا كلنا فى شعورنا ونحن نرى وجه بيل المتورد المرح فقد وثب من مقعده وهو يصيح " هالو ...ها أنذا قد عدت بالعربة . لم ألتق بلصوص أو قطاع طرق ".

وسكت فجأة وقال : - حسنا . ما الخبر ؟ ... ماذا بكم ؟ ...

- ماتت مسز ليدنر ... قتلت .

- ماذا ؟

وتغيرت سحنته فجأة وجحظت عيناه وصاح : - مسز ليدنر ماتت ؟ ... هل تسخرون منى ؟

- ماتت ؟

ارتفعت هذه الصيحة خلفى فتحولت ورأيت مسز مركادو . وقالت :

- هل تقولين أن مسز ليدنر ماتت مقتولة ؟

- نعم . مقتولة .

صاحت : - كلا ان أستطيع أن أصدق هذا أبدا لعلها انتحرت .

قلت فى حدة : - ان الناس لا ينتحرون بأن يضربوا أنفسهم من الخلف . هذه جريمة قتل يا مسز مركادو .

جلست فوق أحد الصناديق المقلوبة وقالت : هذا فظيع ... فظيع ! ..

كان ذلك فظيعا طبعا . لم نكن بحاجة الى قولها هذا لكى نعرف ذلك . وقلت فى نفسى أن المرأة المسكينة لاريب تشعر بتكبيت الضمير للأفكار السيئة التى أضمرتها نحو

الفقيدة وكل الاشاعات المغرضة التى أشاعتها عنها .

وبعد لحظة قالت لاهثة : - ماذا ستفعلين ؟

وتكفل مستر أيموت بالرد فقال : - يجب أن يعود بيل الى الحسينية بأسرع ما يمكن . لا أدرى شيئا عن الاجراءات التى تتبع فى مثل هذه الحالات ولكن حاول أن تلتقى بالكابتن ميتلاند ، رئيس البوليس . خذ رأي الدكتور ريلى أولا . سيعرف ماذا يجب أن نفعل .

أومأ كولمان موافقا . كان مرحه قد اختفى وبدا مضطربا ، خائفا وبدون أن ينطق بكلمة وثب الى سيارة النقل وانطلق بها .

وقال مستر أيموت فى غير اقتناع : - أظن أنه يجب أن نفتش المكان .

ثم رفع صوته وصاح : - ابراهيم . - نعم .

أقبل خادم البيت وهو يجرى ودار بينه وبين مستر أيموت حديث طويل باللغة العربية . كان يبدو أنه ينكر شيئا بشدة وأخيرا قال أيموت فى حيرة :

- أنه يقول أن أحدا لم يدخل هنا بعد الغداء .. لم يدخل أحد اطلاقا . لاريب أن القاتل دخل دون أن يلحظه أحد .

قال مستر مركادو : - طبعا . أنه تسلل فى وقت لم يلحظه فيه الغلام

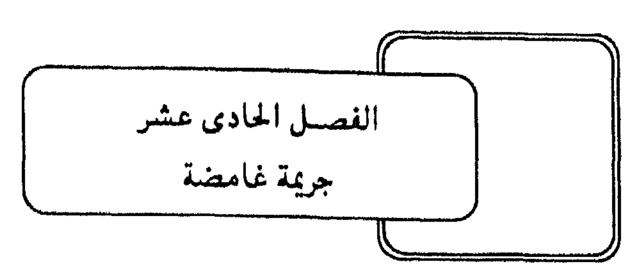
قال مستر أيموت : - هذا جائز .

ولكنه نطق بهاتين الكلمتين فى تردد فنظرت اليه متسائلة ، وتحول هو الى الغلام عبد الله وألقى عليه سؤالا وأجابه الغلام وهو يحتج بكل قواه .

وازدادت تقطيبه مستر أيموت وقال مشدوها : - اننى لا أفهم شيئا .. اننى لا أفهم شيئا على الاطلاق .

ولكنه لم يقل لى ما هو " الشئ الذى لا يفهمه "

* * *



الفصـل الحادى عشر
جريمة غامضة

انني التزم هنا بقدر المستطاع بتسجيل دورى الخاص فى هذه المأساة . لهذا السبب أمر مر الكرام على الأحداث التى تلت الساعتين التاليتين : قدوم الكابتين ميتلاند ومعه رجال البوليس ومجئ الدكتور ريلى والارتباك الذى سببه وجودهم فى البيت والأستجوابات وكل الاجراءات التى كان لابد لها فى مثل هذه الظروف .

ومن رأيى أن كل الاجراءات التمهيدية كانت قد انتهت فى نحو الساعة الخامسة عندما طلب منى الدكتور ريلى أن أرافقه الى المكتب . وأغلق الباب وجلس فى مقعد الدكتور ليدنر وأشار الى أن أجلس أمامه ثم قال على الفور :

- والآن أيتها الممرضة .. هذه جريمة غامضة والظروف التى تحيط بها مريبة .

اعتدلت فى جلستى ونظرت اليه فأخرج دفترا صغيرا من جيبه وقال :

- اشباعا لغرض خاص أريد أن أعرف فى أي وقت بالتحديد اكتشف الدكتور ليدنر جثة زوجته .

- كانت الساعة قد بلغت الثالثة الا الربع تقريبا .

- وكيف أمكنك التأكد من ذلك ؟

- ألقيت نظرة الى ساعتى وأنا أنهض . وكانت الساعة عندئذ الثالثة الا الثلث

- دعينى ألقى نظرة على ساعتك .

ولما أعطيته الساعة قال : - أنها مضبوطة تماما . أهنئك يا آنسة . انتهينا من هذه المسألة على الأقل . هل كونت لك رأيا عن المدة التى كانت قد انقضت على موتها عندما اكتشفتم جثتها ؟

- الحقيقة يا دكتور اننى لا أستطيع الرد على هذا السؤال .

- لا حاجة بك الى هذا التحفظ .. كل ما أريد معرفته هو اذا كنت تتفقين معى فى هذا الرأى

- الواقع أنها كانت قد لقيت حتفها منذ ساعة تقريبا .

- حسنا . اننى فحصت الجثة فى تمام الساعة الرابعة والنصف وأميل الى القول بأن الموت حدث فيما بين الساعة الواحدة والربع والواحدة والدقيقة الخامسة والأربعين . ولنقل أن الموت حدث فى الساعة الواحدة والنصف تماما .

وأمسك وربت بيده على المائدة فى تفكير وقال : هذه قصة غريبة ... هل تستطيعين أن تخبرينى بشئ ما ؟ ... تقولين أنك كنت تستريحين فى غرفتك ؟ هل سمعت شيئا ؟

- فى الساعة الواحدة والنصف ؟ . . يا دكتور لم أسمع فى الساعة الواحدة والنصف ولا فى أية لحظة أخرى . استلقيت فوق فراشى من الساعة الواحدة الا الربع حتى الساعة الثالثة الا الثلث ولم أسمع أى شئ فيما عدا دندنة الغلام عبد الله فى الفناء وبعض كلمات تبادلها مستر أيموت وهو فى الحوش مع الدكتور ليدر فوق السطوح .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخل الدكتور ليدنر والكابتن ويتلاند ، وكان هذا الأخير رجلا قصير القامة ذا عينين رماديتين يتقدان مكرا وخبثا

ونهض الدكتور ريلى وأجلس الدكتور ليدنر فى رفق وقال · - يسرنى انك أتيت ، فسنحتاج اليك . هناك شئ غريب جدا فى هذه القضية

أطرق الدكتور ليدنر الى الأرض ثم نظر الى وقال : انى أعلم أن زوجتى ذكرت الحقيقة للممرضة ، ليذيران وما دام هناك تحقيق فلا يجب أخفاء شئ عن العدالة ولهذا أرجو أن تتكرمى أيتها الممرضة وتذكرى للكابتن ميتلاند والدكتور ريلى ما أخبرتك به زوجتى أمس

ذكرت لهما ما دار بيننا من حديث كله تقريبا بقدر المستطاع وكان الكابتن ميتلاند يطلق صيحة من لحظة لأخرى ، وعندما فرغت من قصتى تحول الى الدكتور ليدر وقال

- هل كل هذا صحيح يا دكتور ؟

- كل ما ذكرته الممرضة ليذيران صحيح تماما .

قال الدكتور ريلى : - ما أغرب هذه القصة .. هل يمكنك أن تقدم لنا هذه الرسائل ؟

- ليس لدى أى شك فى أنك ستجدها بين أوراق زوجتى الخاصة .

قلت : - انها أخرجتها من حافظة جلدية كانت موضوعة فوق المنضدة .

- لاريب اذن أنها ما زالت مكانها .

وتحول الى الكابتن ميتلاند وقد قست ملامح وجهه وقال : - ليست هناك أية حاجة الى كتمان هذه القصة يا كابتن . كل ما يهمنا هو أن نلقى القبض على القاتل وأن يلقى جزاءه .

قلت : - هل تعتقد أنه هو الزوج الأول لمسز ليدنر ؟

سألنى الكابتن ميتلاند : - هل تعتقدين ذلك أيتها الممرضة ؟

أجبت فى تردد : - أظن أن هناك مجالا للشك .

وقال الدكتور ليدنر : - ان الرجل قاتل على كل حال وأستطيع أن أقول انه قاتل مجنون وشديد الخطر . يجب أن نعثر عليه يا كابتن ميتلاند وأظن ان هذا ليس بالشئ العسير .

وقال الدكتور ريلى فى بطء : - بل أظن أن الأمر عسيرا جدا أكثر مما تتوقع ... ما رأيك يا ميتلاند ؟

راح الكابتن ميتلاند يفتل شاربه من غير أن يرد وأجفلت فجأة وقلت :

- معذرة ... ولكن أظن أن هناك نقطة يجب أن أذكرها لكم .

ورويت لهم قصة العراقى الذى فاجأناه يحاول اختلاس النظر من النافذة والذى رأيته فى صباح اليوم التالى يتحدث مع الأب لافينى وقال الكابتن ميتلاند :

- حسنا . سآخذ مذكرة بذلك . قد يكون أثرا يبدأ به رجال البوليس تحرياتهم . ومن

الجائز أن هذا الرجل اشترك فى الجريمة .

قلت : – لعله جاسوس أرسله القاتل للاستكشاف .

هز الكابتن ميتلاند رأسه وقال أرجو أن تعيرنى كل اهتمامك يا ليدنر . سأعيد عليك الأقوال التى جمعناها حتى الآن . بعد العشاء الذى بدأ فى الثانية عشرة وانتهى فى الواحدة الا خمسا وعشرين دقيقة مضت زوجتك الى غرفتها ومعها الممرضة ليذيران لتعاونها على الاستلقاء فى فراشها وذهبت أنت نفسك الى السطح حيث قضيت الساعتين التاليتين . كل هذا صحيح ، أليس كذلك ؟

- نعم .

– هل نزلت من السطح أثناء ذلك ؟

- كلا .

– هل صعد أحد ورآك .

- نعم . صعد أيموت مرارا كثيرة . كان يتنقل جيئة وذهابا بينى وبين الغلام الذى يغسل الآنية الفخار فى الحوش .

– هل أطللت أنت نفسك من فوق السطح الى الفناء لكى ترى ما يدور فيه ؟

نعم . مرة أو مرتين لكى أسأل أيموت عن شئ .

– وهل رأيت الغلام جالسا فى الفناء فى كل من هاتين المرتين ؟

- نعم .

- ما هى أطول فترة قضاها أيموت معك وغاب فيها عن الفناء ؟

فكر الدكتور ليدنر ثم قال : – من العسير أن أتذكر . ربما نحو عشر دقائق . أنا شخصيا أميل الى القول بأن الفترة قد تكون دقيقتين أو ثلاث دقائق لأننى أفقد معنى الزمن اذا ما استغرقت فى العمل .

نظر الكابتن ميتلاند الى الدكتور ريلى . وهز هذا الأخير رأسه وقال : – من الأوفق أن

نجلو كل شئ .

أخذ الكابتن دفتر مذكراته وفتحه وهو يقول : - اسمع يا ليدنر . سأتلو لك بيانا بما كان يفعله كل عضو من أعضاء بعثتك فيما بين الساعة الواحدة والثانية من بعد ظهر اليوم .

- ولكن ...

- انتظر . ستفهم ما أقصده بعد دقيقة واحدة ... سأتكلم أولا عن مستر ومسز مركادو . كان مستر مركادو يزاول عمله فى المعمل . أما مسز مركادو فكانت تغسل شعرها فى غرفة نومها . وكانت مس جونسون تنقل بعض البصمات فى غرفة المعيشة . وكان مستر ريتر يحمض بعض الصور فى الغرفة السوداء . وكان الأب لافينى يقوم بعمله المعتاد فى غرفته . أما الرجلان الباقيان وهما كارى وكولمان فقد كان أولهما فى الحفائر والثانى فى الحسينية .. هذا فيما يتعلق برجال البعثة . ولننتقل الآن الى الخدم . كان الطاهى ، وهو شاب هندى جالسا أمام البيت يثرثر مع البواب وينظف زوجا من الدجاج . وقد لحق ابراهيم ومنصور بهما فى نحو الواحدة والربع . وظلوا يضحكون ويلهون حتى الثانية والنصف . وفى هذه الساعة كانت زوجتك قد لقيت حتفها .

رنحنى الدكتور الى الأمام وقال : - اننى لا أفهم .. انك تثير حيرتى ... ماذا تقصد أن تقول .

- هل يمكن لأي أحد أن يدخل غرفة زوجتك عن طريق الباب المؤدى الى الفناء ؟

- كلا . هناك نافذتان ، ولكنهما مزودتان بقضبان حديدية متينة ثم أنهما كانتا مغلقتين .

وألقى الى نظرة متسائلة فقلت : - كانتا مغلقتين بالرتاج من الداخل .

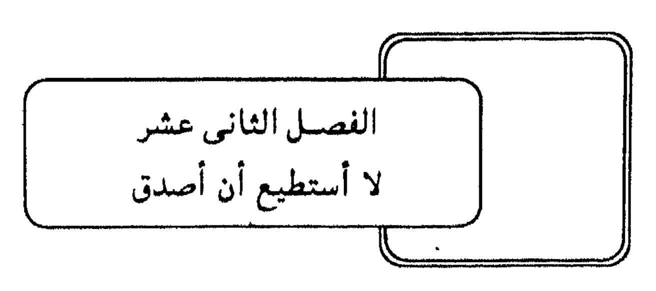
قال الكابتن ميتلاند : - مهما يكن من أمر ، حتى اذا كانتا مفتوحتين فلا يمكن لأحد أن يدخل منهما وقد تأكدت من ذلك أنا ورجالى . والأمر كذلك مع جميع النوافذ المطلة

على الفناء فكلها مزودة بقضبان حديدية متينة . وأي رجل غريب يريد أن يدخل غرفة زوجتك فلابد له من المرور من الباب العمومي وعبور الفناء . ولكن الطاهى والبواب والخدم يشهدون كلهم أنهم لم يروا أحدا .

هب الدكتور ليدنر واقفا وقال : - ماذا تعنى ؟ ... تكلم .

قال الدكتور ريلى فى هدوء : - تشجع يا صديقى انها صدمة شديدة . ولكن لابد لك من مواجهتها . ان القاتل لم يأت من الخارج وانما من الداخل . وكل الظواهر تدل على أن مسز ليدنر قتلها أحد أعضاء بعثتك .

* * *



الفصل الثانى عشر
لا أستطيع أن أصدق

- كلا ... كلا .

وراح الدكتور ليدنر يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى انفعال . - هذا مستحيل يا ريلى .. مستحيل تماما ... واحد منا ... ان كل أعضاء البعثة كانوا يحبون لويز .

مط الدكتور ريلى شفتيه ... كان من المستحيل عليه فى مثل هذه الظروف أن يبدى رأيه . ولكن اذا كان الصمت معبرا فان صمت الدكتور ريلى كان أبلغ من الكلام .

وعاد الدكتور ليدنر يقول : مستحيل تماما ... ان الجميع كانوا يعبدونها . انها كانت تتمتع بفتنة وسحر كبيرين كانا يستحوذان على أفئدة الجميع .

سعل الدكتور ريلى وقال : أرجو المعذرة يا ليدنر ، ولكنك تعبر عن رأيك الشخصى . واذا كان هناك من يكره زوجتك من أعضاء البعثة لحرص على الا تلحظ أنت ذلك

ارتسمت امارات القلق على ليدنر وقال : هذا صحيح . ومع ذلك فاننى أعتقد أنك مخطئ يا ريلى . اننى واثق أن الجميع كانوا مغرمين بلويز

وسكت لحظة ثم صاح محنقا : ان رأيك هذا شائن ... كلا ، لا أستطيع أن أصدق .

قال الكابتن ميتلاند : ولكن لا يمكن أن تنكر الوقائع .

- الوقائع ... الوقائع ... كلها أكاذيب رواها طاه هندى وخادمان . انك تعرف هؤلاء الخدم جيدا كما أعرفهم أنا يا ريلى ، وكذلك أنت يا ميتلاند . ان الحقيقة لا قيمة لها بالنسبة لهم ، وهم يقولون ما تريد منهم أن يقولوه بدافع من الأدب .

قال الدكتور ريلى فى جفاء : انهم فى هذه الحالة بالذات يقولون مالا نريد منهم قوله . انهم يتجمعون دائما أمام الباب فى مثل هذا الوقت كل يوم ويثرثرون . وأنا أعرف

عاداتهم هذه جيدا ، فأنني فى كل مرة أتيت فيها الى البيت بعد الظهر كنت أراهم مجتمعين أمام الباب يثرثرون ويتبادلون الحديث .

انك تفترض أشياء كثيرة على كل حال ... لماذا لا يكون هذا الرجل ... أو هذا الشيطان قد دخل قبل ذلك واختبأ فى مكان ما ؟

قال الدكتور ريلى فى برود : هذه نظرية جائزة لنفرض اذن أن رجلا غريبا دخل البيت دون أن يراه أحد لو صح هذا فقد كان يتعين عليه أن يختبئ حتى يرتكب جريمته ، ولا يوجد فى غرفة مسز ليدنر أى مكان يصلح لكى يحتبئ فيه طبعا ، وعليه فقد كان عليه أن يختبئ فى مكان آخر وأن يجازف بأن يراه الغلام عبد الله أو أيموت وهو داخل أو وهو خارج ، وهما لم يغادرا الفناء تقريبا .

قال الدكتور ليدنر : الغلام .. اننى نسيت أمره .. انه صبى يقظ جدا ولاريب أنه رأى القاتل وهو يدخل غرفة زوجتى .

- اننا استوضحنا هذه النقطة ... انه قضى طوال بعد الظهر فى غسل الآنية الفخارية فيما عدا فترة قصيرة ، فقد صعد أيموت الى السطح فى نحو الساعة الواحدة والنصف وقضى معك نحو عشر دقائق ، أليس كذلك ؟

- نعم .وما كان باستطاعتى أن أحدد الوقت بالدقيق ،ولكننى أظن أن الأمر كذلك .

- حسن جدا . انتهز الصبى هذه الفترة القصيرة لكى يذهب الى الباب ويثرثر مع الباقين . وعندما عاد أيموت ولم يجده ناداه وسأله لماذا ترك عمله . وطبقا للظواهر قتلت زوجتك أثناء هذه الدقائق العشر .

تأوه الدكتور ليدنر وجلس ودفن وجهه فى راحتيه فى حين استطرد ريلى يقول فى صوت هادئ :

وهذا يتفق مع ملاحظاتى ، فان مسز ليدنر كانت قد ماتت منذ نحو ثلاث ساعات عندما فحصتها . والسؤال الوحيد الذى يجب أن نجد له جوابا هو : من القاتل ؟

وساد الصمت . واعتدل الدكتور ليدنر ومر بيده على جبينه وقال :

- اننى أسلم بقوة نظريتك يا ريلى . ان الأمر يبدو كان القاتل شخص من أهل البيت ، ومع ذلك فاننى أعتقد أن هناك خطأ ما وأن نظريتك هذه لا تستند على أساس . وأنت نفسك تعتقد أن مصادفة غريبة قد وقعت .

قال الدكتور ريلى : من الغريب أن تنطق بهذه الكلمة .

ولكن الدكتور ليدنر استطرد يقول دون أن يكترث لقول الدكتور ريلى :

استلمت زوجتى رسائل تهديد وكان لديها من الأسباب ما يجعلها تخشى شخصا بالذات ثم قتلت بعد ذلك . وتريد منى أن أصدق الآن أن الذى قتلها ليس ذلك الشخص وانما شخص آخر غيره . هذا أمر مضحك .

قال ريلى فى تفكير : نعم .. يبدو أنه كذلك .

ونظر الى الكابتن ميتلاند وقال : مصادفة ؟ ... ما رأيك فى ذلك يا ميتلاند ؟ ... هل توافق ؟ ... هل توافق على أن أعرض الأمر على ليدنر ؟

أومأ الكابتن ميتلاند بالموافقة وقال فى ايجاز : تكلم .

- هل سمعت عن رجل يدعى هركيول بوارو يا ليدنر ؟

حملق الدكتور ليدنر فيه دهشا وقال : هذا الاسم ليس غريبا على . سمعت مستر فان ألدن يتحدث عن ذلك الرجل ويمتدحه . انه مخبر خاص ، أليس كذلك ؟

- هذا صحيح .

- ولكنه يقيم فى لندن ، فكيف يتسنى له مساعدتنا ؟

أجاب الدكتور ريلى : صحيح أنه يقيم فى لندن ولكن هنا تلعب المصادفة . انه ليس الآن فى لندن وانما فى سوريا وسيمر بالحسينية فى طريقه الى بغداد غدا .

- من قال لك هذا ؟

- جان بيرا ، القنصل الفرنسى . كنا نتناول العشاء معا أمس فتحدث عنه . ويبدو أن

بوارو استطاع أن يجلو أسرار فضحية عسكرية فى سوريا . وسيمر من هنا فى طريقه الى بغداد ثم يعود بعد ذلك الى لندن . ما رأيك فى هذه المصادفة ؟

تردد الدكتور ليدنر ونظر الى الكابتن ميتلاند كأنما يريد أن يعتذر وقال :

- وأنت يا كابتن ، ما رأيك ؟

أسرع الكابتن يقول : اننى أرحب بأية مساعدة ان رجالى ممتازون فى التحرى والتحقيق فى جرائم القتل والأخذ بالثأر بين العرب ، وأقول لك صراحة يا ليدنر أن مقتل زوجتك لا يدخل فى اختصاصى فكل الظواهر تدل على أنها جريمة يحيط بها الغموض ، وليس لدى أفضل من أن أرى هذا المخبر يتولى حل طلاسمها .

- بقول آخر تريد منى أن ألجأ الى هذا الرجل المدعو بوارو لكى يساعدنا . ولكن لنفرض أنه رفض .

قال الدكتور ريلى : انه لن يرفض .

- وما أدراك ؟

- لأننى أنا نفسى كطبيب اذا جاءنى زميل وعرض على أن أساعده فى حالة معقدة تستعصى عليه فاننى لا أستطيع أن أرفض . وهذه الجريمة تخرج عن المألوف يا دكتور ليدنر .

قال الدكتور ليدنر وقد توترت شفتاه من الألم : هذا صحيح . هل تتكرم اذن وتطلب من هذا الهركيول بوارو نيابة عنى ؟ ..

- سمعا وطاعة .

شكره الدكتور ليدنر بحركة من يده ثم قال فى بطء : اننى لا أستطيع . حتى فى هذه اللحظة أن أصدق أن لويز ماتت .

ولم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك فقلت : أوه ... دكتور ليدنر . لا أستطيع أن أصف لك شعورى ... اننى فشلت فشلا ذريعا فى مهمتى . كان يتعين على أن أسهر على

مسز ليدنر وأن أبعد عنها كل شر .

ولكن الدكتور ليدنر هز رأسه فى خطورة وقال " كلا ، كلا يا آنسة . لا لوم عليك اطلاقا ، وليغفر الله لى فأنا الملوم ، فلم أصدق ... لم أستطع أن أصدق ... لم يخطر لى لحظة واحدة أن هناك أي خطر عليها .

ونهض وقد توترت عضلات وجهه واستطرد : اننى تركتها لمصيرها . لم أفعل شيئا وتركتها تواجه الموت .. لم أصدق .

وخرج من الغرفة وهو يترنح .

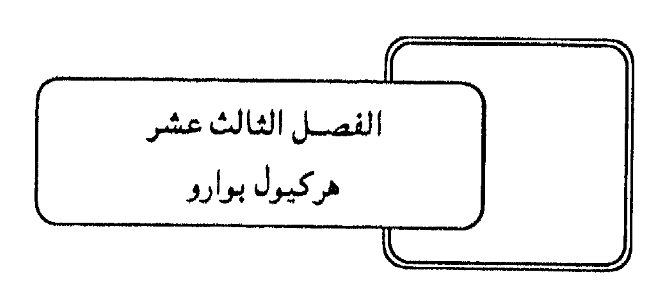
ورفع الدكتور ريلى عينيه الى وقال : أنا الآخر أشعر بالمسئولية ، فقد حسبت المرأة المسكينة تتلاعب بأعصاب زوجها .

- أنا الأخرى لم آخذ قصتها مأخذ الجد .

قال الدكتور ريلى فى صوت أجش : اننا أخطأنا نحن الثلاثة .

وقال الكابتن ميتلاند : هذا ما يبدو .

* * *



الفصـل الثالث عشر
هركيول بوارو

لن أنسى أبدا الانطباع الذى تركه هركيول بوارو فى نفسى عندما رأيته لأول مرة . اننى اعتدت على رؤيته فيما بعد طبعا ولكن هيئته أثارت دهشتى فى البداية وأظن أن الجميع قد تملكهم نفس الاحساس الذى أحسست به .

ولا أدرى ماذا كنت أتصور .. كنت أتصوره رجلا على غرار شرلوك هولمز ، طويل القامة ، وسيم الوجه شديد الذكاء . وكنت أعرف طبعا أنه رجل أجنبى ولكننى لم أكن أظن أنه يبدو أجنبيا الى هذا الحد ، فما أن تراه حتى تأخذك الرغبة فى الضحك ، فقد كان أشبه بالمثل الهزلى منه الى رجل البوليس . وأبدأ فأقول أن طوله لا يزيد عن خمسة أقدام وخمس بوصات . وهو رجل قصير له شاربان ضخمان ورأس أشبه بالبيضة . كان يبدو فى مجمله كما لو كان حلاقا فى احدى الهزليات .

هذا هو الرجل الذى سيهتدى الى قاتل مسز ليدنر ! وأظن أنه لمح خيبة الأمل التى ارتسمت على وجهى لأنه غمز لى بعينه بصورة مضحكة وقال : ان شكلى لا يروق لك يا آنسة ولكن لا تنسى أن المرء لا يعرف طعم البودنج الا عندما يأكله .

وهذا مثل انجليزى قديم أراد به أن يقول انه لا يجب أن أحكم على الشئ من مظهره ولكننى مع ذلك لم أشعر بالأطمئنان من ناحيته .

وقد جاء به الدكتور ريلى فى سيارته يوم الأحد ، بعد الغداء بقليل ، وطلب المخبر البلجيكى القصير أن نجتمع كلنا فى غرفة واحدة .

وجلسنا جميعا حول المائدة فى غرفة الطعام . وجلس بوارو فى صدر المائدة وبجواره الدكتور ليدنر من ناحية والدكتور ريلى من الناحية الأخرى .

وعندما اكتمل شملنا تولى الدكتور ليدنر الكلام فقال بصوته الهادئ المتردد :

- انكم سمعتم جميعا عن مستر هركيول بوارو طبعا . كان يمر اليوم بالحسينية وقد تكرم فقطع رحلته لكى يمد الينا يد المساعدة . ان البوليس العراقى والكابتن ميتلاند يبذلون جهدهم وأنا متأكد من ذلك ولكن ... هناك بعض الظروف فى هذه القضية ... (وارتبك ونظر الى الدكتور ريلى متوسلا) ويبدو أن هناك بعض الصعوبات ...

وتدخل الرجل القصير فقال : أوه ، طبعا ... فهناك شئ مريب فى هذه القضية .

صاحت مسز مركادو : يجب القاء القبض عليه بكل وسيلة .. ولا أستطيع احتمال فكرة افلاته من العدالة .

ألقى المخبر اليها نظرة استحسان وقال : القبض عليه ؟ ... من تعنين ياسيدتى ؟

- القاتل طبعا .

قال هركيول بوارو : آه ... القاتل

وقد تكلم كما لو أن القاتل لا يهمه اطلاقا . ورفع الجميع عيونهم اليه فردد البصر بيننا فى اهتمام وقال :

- يخيل لى أن ما من أحد منكم قد اشترك قبل اليوم فى قضية جنائية ؟

وردت عليه تمتمة اجماعية بالنفى فابتسم وقال : - غنى عن البيان أن أقول أنكم تجهلون اجراءات التحقيق .. انها اجراءات بغيضة ... بغيضة جدا ... فهناك الشك أولا ...

- الشك ؟

كانت مس جونسون هى التى تكلمت . وتأملها مستر بوارو فى تفكير . وخيل إلى أنه استحسن مقاطعتها له وأنه يقول فى نفسه " هذه امرأة ذكية عاقلة " .

- نعم يا آنسة . الشك . ولنتكلم بكل صراحة ان الشك يقع على أهل البيت كله ... الطاهى والخدم وكل أعضاء البعثة .

ونهضت مسز مركادو وقد احمر وجهها وصاحت : يا للجرأة ... كيف تجرؤ على مثل هذا القول ؟ ... هذا فظيع ... كيف تسمح يا دكتور ليدنر لهذا الرجل . هذا الرجل ...

قال الدكتور فى صوت متعب : أرجو أن تحتفظى بجأشك يا مارى .

نهض مستر مركادو بدوره . وكانت يداه ترتعشان وعيناه محتقنتان وقال :

- اننى أوافق زوجتى على قولها .. هذه اهانة .. اهانة كبيرة ...

قال بوارو : كلا . كلا . اننى لم أقصد اهانة أحد انما أطلب منكم أن تواجهوا الحقائق ففى البيت الذى ترتكب فيه جريمة قتل يخضع كل من فيه الى الشبهة والشك . اننى أسألكم ما هو الدليل الذى تستندون اليه فى أن القاتل أقبل من الخارج ؟

صاحت مسز مركادو : انه أقبلَ من الخارج طبعا هذا واضح لكل ذى عينين . لماذا ...

وأمسكت لحظة ثم قالت فى بطء : ان أى افتراض آخر غير مقبول .

قال بوارو وهو ينحنى : لاريب أنك على حق يا سيدتى . انما أردت فقط أن أبين لكم سير اجراءات التحقيق . وقبل أى شئ أريد أن أطمئن على براءة كل من فى هذه الغرفة ثم أبحث بعد ذلك عن القاتل فى مكان آخر .

وقال الأب لافينى : اننا بين يديك وأرجو أن تتحقق من براءتنا بأسرع ما يمكن .

- لك ذلك . ولكن من واجبى أن أوضح لكم الموقف حتى لاتصدم أسئلتى ، على ما فيها من وقاحة شعوركم . ولعل الأب لافينى يضرب لنا مثلا على ذلك .

قال الأب لافينى فى صوت رزين : سل ما شئت من أسئلة .

- أهذا أول موسم لك ؟

- نعم .

- ومتى وصلت ؟

- منذ ثلاثة أسابيع تقريبا ... فى ٢٧ فبراير بالذات .

- ومن أين أتيت ؟

- من دير الآباء البيض بقرطاجة .

- شكرا لك يا أبى . هل كنت تعرف مسز ليدنر قبل قدومك هنا ؟

- كلا . لم يسبق لى أن التقيت بها قبل ذلك .

- هل لك أن تقول لى ماذا كنت تفعل ساعة الجريمة ؟

- كنت أفك بعض الرموز الاشورية فى غرفتى .

ولاحظت أن كان مع بوارو رسم كروكى للبيت . وقال : أظن أن غرفتك هى الغرفة الواقعة فى الزاوية الجنوبية الغربية المواجهة لغرفة مسز ليدنر فى الناحية الأخرى ؟

- نعم .

- فى أية ساعة عدت الى غرفتك ؟

- بعد الغداء مباشرة ... فى الواحدة الا الربع .

- ومتى غادرتها ؟

- قبل الثالثة بقليل سمعت سيارة النقل تعود ثم تنطلق من جديد على الفور تقريبا . وقد استغربت لذلك فخرجت أستطلع الأمر .

- هل تغيبت عن غرفتك فيما بين الواحدة الا الربع والثالثة الا الثلث ؟

- كلا . ولا مرة واحدة .

- هل سمعت او رايت شيئا يمكن أن يلقى الضوء على هذه المأساة ؟

- كلا .

- هل لغرفتك نافذة مطلة على الفناء ؟

- كلا . ان بها نافذتين تطلان على الريف .

- هل كان فى امكانك أن تسمع شيئا مما يدور فى الفناء .

- لم يكن فى مقدورى أن أسمع الكثير . سمعت مستر أيموت يمر بغرفتى مرتين وهو فى طريقه الى السطح .

- هل تتذكر فى أى وقت حدث هذا ؟

- كلا . لا أستطيع أن اذكر فقد كنت مستغرقا فى عملى .

وساد صمت قصير قطعه بوارو أخيرا بأن قال :

- ألا يمكنك أن تذكر لنا شيئا ما يلقى أى ضوء على هذه القضية ؟ ... هل لاحظت مثلا شيئا فى الأيام التى سبقت وقوع الجريمة ؟

نظر الأب لافينى الى الدكتور ليدنر فى ارتباك واستفهام ثم قال بعد لحظة :

- هذا سؤال عسير يا سيدى . ومادمت تسألنى فسأرد عليك بصراحة ويقدر ما أعلم . كانت مسز ليدنر تخشى شيئا ما أو شخصا . كان يتملكها الانفعال والخوف اذا ما وقعت عيناها على شخص غريب وأظن أن هناك سببا لهذا الانفعال والخوف . ولكننى لا أعرف شيئا فانها لم تطلعنى على ما يخيفها .

تنحنح بوارو ونظر الى المذكرات التى فى يده وقال : أظن أننى فهمت أنه وقعت منذ ليلتين محاولة للسرقة .

أجاب الأب لافينى بالايجاب . وكرر قصة النور الذى لمحه فى غرفة الآثار والبحث الذى تلا ذلك دون نتيجة .

- هل تعتقد أن شخصا غريبا دخل البيت فى ذلك الوقت ؟

أجاب الأب لافينى : - لا أعرف ماذا أقول ؟ .. لم يسرق أو ينقص أى شئ . لعله أحد الخدم .

- أو أحد أعضاء البعثة .

- أو أحد أعضاء البعثة . ولكن اذا صح هذا فلماذا لم يعترف بذلك .

- ولكن من الجائز أن يكون ذلك الشخص رجلا غريبا عن البيت ؟

- أظن ذلك .

- لنفرض أن رجلا غريبا دخل البيت فهل كان فى استطاعته أن يختفى طوال اليوم

التالى وحتى بعد الظهر من غير أن يراه أحد .

ألقى بوارو هذا السؤال على الأب لافينى والدكتور ليدنر فى وقت واحد الرجلان لحظة ثم قال الدكتور ليدنر فى شئ من التردد .

- لا أظن ذلك فليس هناك مكان يختفى فيه . ما رأيك أيها الأب لافينى ؟

- كلا .. كلا .. ليس هناك أي مكان .

وبدا أن كلا منهما يبعد هذا الاحتمال على مضض منه . وتحول بوارو اا جونسون وسألها :

- وأنت يا آنسة ؟ ... هل تظنين أن هناك أى احتمال لذلك ؟

وبعد لحظة هزت مس جونسون رأسها قائلة : كلا . أبدا . ليس هناك أى مكا أن يختبئ فيه أحد . ان كل غرف النوم مشغولة ، ثم أنه ليس بها الا القليل من وغرفة التصوير وغرفة المعمل . وكان العمل دائرا فيهما طوال النهار وكذلك باقى اا وليس هناك دواليب أو أماكن أخرى يمكن الاختباء فيها ، هذا ما لم يكن الخدم شرك

قال بوارو : - هذا جائز ولكنه غير معقول .

ومرة أخرى قال نخاطبا الأب لافينى : - سؤال آخر . رأتك الآنسة ليذيران فى السابق تتحدث مع رجل أمام باب البيت وكانت قد رأت ذلك الرجل قبل ذلك اختلاس النظر من احدى النوافذ الخارجية ويبدو أن ذلك الرجل كان يحوم حول البيت ما .

قال الأب لافينى فى تفكير : - هذا جائز أيضا .

- أهو الذى بدأك الحديث ؟

فكر الأب لافينى ثم قال : - نعم ... يبدو ذلك آه . اننى أذكر الآن .. هو بدأنى بالحديث .

- وماذا قال لك ؟

مرت فترة خيل لى فيها أن الأب لافينى يبذل جهده لكى يتذكر ثم قال :

- أظن أنه سألنى اذا كان هذا هو بيت البعثة . ثم أشار الى كثرة العمال الذين يعملون فى الحفائر واعترف اننى لم أفقه تماما ماذا كان يريد . ولكننى حاولت أن أجاريه فى الحديث لكى أجيد معرفتى باللغة العربية . فقد خيل لى أن هذا الرجل ، بصفته الحضارية ، يمكن أن يفهمنى بسهولة أكثر من هؤلاء العمال الذين يشتغلون فى الحفائر .

- ألم تتناول موضوعا آخر ؟

- قلت له على ما أذكر أن الحسينية مدينة كبيرة ، ولكننا لم نلبث أن اتفقنا على أن بغداد أكبر ، وأظن أنه سألنى هل أنا أردنى أو سورى كاثوليكى أو ما أشبه .

أومأ بوارو وسأله : - هل يمكنك أن تذكر أوصاف هذا الرجل ؟

فكر الأب لافينى مرة أخرى ثم قال : - كان قصيرا ، ربع القوام أشقر اللون بعينيه حول ملحوظ .

هز بوارو كتفيه فى يأس وقال : - هكذا الأمر دائما ولو انك من رجال البوليس لعرفت ما أعنيه ، فلا تتفق شهادة رجلين مختلفين أبدا فى وصف شخص واحد ، فان أقوالهما تتناقض دائما .

قال الأب لافينى : - اننى متأكد من الحول . أما النقاط الأخرى فمن الجائز أن تكون الآنسة ليذيران على حق فيها . وعندما قلت أشقر اللون فانما عنيت أنه أشقر بالنسبة للعراقيين . وأظن أن الممرضة تعتبر لونه هذا أسمر .

قلت : - بل كان أسمر جدا بلون الزيتون .

رأيت الدكتور ريلى يجز على شفتيه ويبتسم . وحرك بوارو يده وقال : -

- ليكن . قد يكون لهذا الرجل أهميته وقد لا تكون له أهمية على الاطلاق . ولكن يجب أن نعثر عليه على كل حال . لنستمر فى تحرياتنا الآن .

وتردد لحظة وهو يدرس الوجوه التى
حوله ثم أشار برأسه الى مستر ريتر وقال : -
- وأنت يا صديقى . قل لنا ماذا فعلت ظهر أمس .
احمر وجه مستر ريتر وقال : - أنا ؟
- نعم . أنت . اسمك وعنوانك ؟
- كارل ريتر . ٢٨ سنة .
- أمريكى ؟ أليس كذلك ؟
- نعم . من مواليد شيكاغو .
- أهذا أول موسم لك ؟
- نعم . اننى أقوم بالتصوير .
- حسنا . ماذا فعلت بعدظهر أمس ؟
- بقيت فى الغرفة السوداء أكبر جزء من النهار .
- أكبر جزء من النهار ؟
- نعم . حمضت الصور فى بادئ الأمر ثم أعددت أشياء أخرى لتصويرها .
- فى الخارج ؟
- كلا . بل فى غرفة التصوير .
- وهل الغرفة السوداء ملحقة بغرفة التصوير ؟
- نعم .
- ولم تخرج من غرفة التصوير أبدا ؟
- أبدا /
- هل لا حظت ما يدور فى الفناء ؟
هز الشاب رأسه وقال : كلا . لم ألحظ شيئا كنت مشغولا جدا . سمعت صوت سيارة

النقل طبعا . وبمجرد أن استطعت االتخلى عن عملى خرجت لكى أرى اذا كانت هناك خطابات باسمى . . وعندئذ عرفت .

- فى آية ساعة بدأت عملك فى غرفة الاستديو ؟

- فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق .

- هل كنت تعرف مسز ليدنر قبل التحاقك بالبعثة ؟

- كلا يا سيدى . لم يسبق لى أن رأيتها قبل ذلك .

- ألا تستطيع أن تذكر شيئا ما ؟ ... أي شئ يمكن أن يلقى الضوء على هذه الجريمة .

هز كترل ريتر رأسه وقال يائسا : - اننى لا أعرف شيئا ما .

- وأنت يا مستر أيموت ؟

تكلم دافيد أيموت بصوته الواضح الرقيق فقال : - قضيت الوقت من الساعة الواحدة الا الربع حتى الثالثة الا الربع فى فحص الفخار المكسوره أنا والغلام عبد الله . وكنت أصعد من وقت لآخر الى السطح لمساعدة الدكتور ليدنر .

- كم مرة صعدت ؟

- أربع مرات على ما أعتقد .

- وكم دقيقة تغيبت فى كل مرة ؟

- لا أكثر من دقيقتين . ولكن صعدت مرة بعد نحو نصف ساعة من بدء العمل وبقيت معه نحو عشر دقائق استطلع رأيه فى القطع التى احتفظ بها والأخرى التى يحسن أن نتخلص منها .

- وأظن أنك وجدت الغلام قد غادر مكانه عندما هبطت ؟

- نعم . وقد ناديته محنقا فجاء من الباب العمومى ، وكان قد انضم الى الآخرين لكى يثرثر معهم .

أهذه هى المرة الوحيدة التى تخلى فيها عن عمله ؟

- أرسلته مرة أو مرتين الى السطح ببعض قطع الفخار .

قال بوارو فى بطء : - أظن أنه ليست هناك جدوى من أن أسألك اذا كنت قد رأيت أثناء ذلك شخصا يدخل غرفة مسز ليدنر أو يخرج منها .

أجاب مستر أيموت مسرعا فقال : - لم أر أحدا على الاطلاق . لم يدخل أحد الحوش أثناء الساعتين اللتين قضيتهما فيه .

- وتظن أن الساعة كانت الواحدة والنصف عندما تغيبت أنت والغلام وبقى الفناء خاليا .

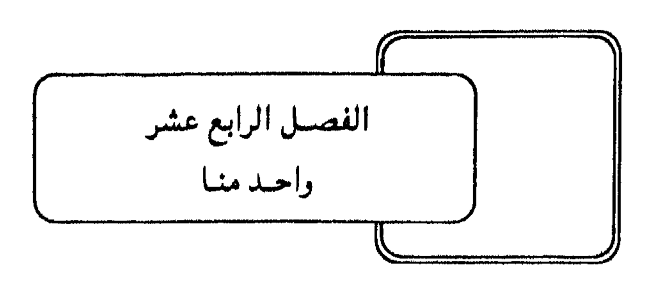
- تقريبا . لا أستطيع التحديد أكثر من ذلك طبعا .

تحول بوارو الى الدكتور ريلى وقال : - هل تتفق هذه البيانات مع الوقت الذى وقعت فيه الجريمة يا دكتور ؟

أجاب الدكتور ريلى : - نعم .

فتل بوارو شاربيه وقال : - أظن أننا نستطيع أن نقول أن مسز ليدنر لقيت حتفها أثناء هذه الدقائق العشر .

* * *



الفصــل الرابع عشر
واحــد منــا

خيم صوت قصير بدا أثناءه كان موجة من الشر قد انتشرت فى الغرفة ، ولأول مرة أيقنت من صحة نظرية الدكتور ريلى وأحسست أن القاتل واحد منا وأنه موجود معنا يصغى الى ما يدور من حديث .

ولاريب أن مسز مركادو خامرها نفس الاحساس لأنها أطلقت صرخة حادة وقالت منتحبة :

- لا حيلة لى .. أنه لأمر فظيع !

وخاطبها زوجها قائلا : - تشجعى يا مارى .

ونظر الينا كما لو كان يعتذر وقال : - أنها سريعة التأثر ولا تتمالك نفسها .

وتنهدت مسز مركادو قائلة : أننى .. كنت أحب لويز كثيرا .

ولا أدرى ان كانت مشاعرى قد خانتنى أو نمت على ملامحى لأننى رأيت مستر بوارو يتفرس فى وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة .

وواجهته فى برود فاستأنف استجوابه على الفور وقال : - هل لك أن تذكرى لنا يا سيدتى كيف قضيت بعد ظهر أمس ؟

قالت مسز مركادو فى صوت باك : - كنت أغسل رأسى ، وأنه لأمر مروع أن يقع هذا الأمر دون أن أشك فى شئ .

- هل كنت فى غرفتك ؟

- نعم .

- ألم تغادريها .

- كلا . لم أخرج قبل مجئ سيارة النقل . وعندما سمعت صوتها خرجت وعلمت

بما حدث ... ان هذا فظيع !

- وهل أدهشك ذلك ؟

كفت مسز مركادو عن التأوه واتسعت عيناها غضبا وقالت : -

- مستر بوارو ؟ ... ماذا تعنى ؟ ... ماذا تقصد ؟

- لا أقصد شيئا يا سيدتى . ولكنك قلت لى أنك كنت تحبين مسز ليدنر ولعلها أسرت اليك بشئ ما .

- أوه ... اننى أفهم ... كلا ... ان لويز الحبيبة لم تسر الى بشئ ما . ولكنها كانت عصبية جدا وشديدة القلق . ثم أنها كانت تقول أشياء غريبة ... أيد تدق على النافذة وأشياء أخرى .

لم أستطيع التزام الصمت أكثر من ذلك فقلت : - كنت تقولين أنها مجرد أوهام .

ولاحظت فى ارتياح ارتباكها الفجائى ورأيت مستر بوارو ينظر الى وهو يبتسم ابتسامته الخفيفة من جديد .

ولخص بوارو الموقف قائلا : - صفوة القول أنك كنت تغسلين رأسك وانك لم ترى أو تسمعى شيئا ما .

هل تتذكرين شيئا يمكن أن يساعدنا فى التحقيق ؟

أسرعت مسز مركادو ترد حتى من غير أن تفكر : كلا . لم أسمع ولم أر شيئا ما . كل هذا أمر غامض بالنسبة لى . ولكن هناك حقيقة ثابتة وهى أن القاتل أقبل من الخارج... هذا واضح وضوح الشمس .

تحول بوارو الى زوجها وقال : - وأنت يا سيدى ؟ ... ألديك ما تقوله ؟

أجفل مستر مركادو بعصبية وتخلل لحيته بأصابعه فى ارتباك وقال :

- بدون أى شك . ان القاتل أقبل من الخارج ، فليس فينا من يرضى أن يصيب مسز ليدنر بأى ضر ... كانت طيبة جدا وكريمة .

وأردف يقول وهو يهز رأسه : - ان الذى قتلها وحش .. نعم ، وحش .

- وكيف قضيت بعد ظهر أمس ؟

- أنا ؟

ونظر فى الفضاء فهمست زوجته تقول : - انك كنت فى المعمل يا جوزيف .

- آه . نعم . الواقع اننى كنت أقوم بعملى المعتاد .

- وفى أية ساعة ذهبت الى غرفتك ؟

ومن جديد تملكه اليأس ونظر الى زوجته متسائلا فقالت : - فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق يا جوزيف .

- آه . نعم . فى الساعة الواحدة الا عشر دقاذق .

- هل خرجت الى الفناء ؟

- كلا .. لا أظن .. (وسكت قليلا ثم) كلا ... اننى واثق أننى لم أخرج ولا مرة واحدة .

- وفى أية ساعة علمت بالنبأ ؟

- جاءتنى زوجتى وأخبرتنى به . وقد أثارنى هذا النبأ المزعج ولم أستطع تصديقه... وحتى الآن أجد مشقة فى ذلك .

وفجأة أخذ يرتعش ويقول : - هذا فظيع ... هذا فظيع .

أسرعت مسز مركادو اليه قائلة : نعم ، نعم يا جوزيف . اننا جميعا بالأسى لذلك ولكن لا يجب أن ننساق وراء الحزن حتى لا نزيد فى أحزان الدكتور ليدنر المسكين .

توفرت ملامح الدكتور ليدنر ، ولم يكن هناك شك فى أن كل هذه المشاعر كانت تشق عليه . ورمى بوارو بنظرة كما لو كان يتوسل اليه أن يستمر . وقال المخبر السرى على الفور :

وأنت يا مس جونسون ؟

- أخشى أننى لا أستطيع أن أخبرك بالشئ الكثير .

وأحسسنا بشئ من الارتياح ونحن نسمع صوتها الهادئ المتزن بعد صوت مسز مركادو الحار .

واستطردت هى تقول :

- كنت فى الغرفة المشتركة أنقل بعض البصمات باللدائن .

- ألم تسمعى شيئا ؟

- كلا يا سيدى .

نظر بوارو اليها متفرسا فقد التقطت اذنه ما التقطته اذناى ..لمسة بسيطة من التردد .

- هل أنت واثقة من ذلك يا آنسة ؟ ... الا تتذكرين حتى ولو شيئا تافها .

- كلا . يا سيدى .. كلا حقا .

- ربما تكونين قد رأيت شيئا ... شيئا عابرا .

- انك تلاحقنى فى اصرار يا مستر بوارو وأنه ليخيل الى أنك تريد منى أقول شيئا قد لا يكون له وجود الا فى مخيلتى .

- هناك شئ اذن ... لنقل أنك تخيلت شيئا .

أجابت مس جونسون فى بطء وهى تزن كلماتها : -توهمت ... لمجرد لحظة بعد ظهر أمس أننى سمعت صيحة خافتة ... بل أننى أجرؤ فأقول أننى سمعت صرخة حقا ، فقد كانت كل نوافذ غرفة المعيشة مفتوحة وكنت أسمع من خلالها كل الأصوات التى تصدر عن القرويين الذين يعملون فى حقول الذرة ولكن خيل لى أننى سمعت مسز ليدنر تصيح وأننى لألوم نفسى الآن فلو أننى أسرعت بالذهاب الى غرفتها فمن الجائز اننى كنت أصل فى الوقت المناسب ...

تدخل الدكتور ليدنر فقال فى لهجة لا تقبل الجدل : لا تضعى مثل هذه الأفكار ،

فى رأسك فليس هناك أى شك فى أن القاتل ضرب مسز ليدنر ضربة قاتلة بمجرد دخوله ، ولاريب أنها لقيت حتفها على الفور والا لكانت قد صرخت واستغاثت

قالت مس جونسون فى اصرار : - مازلت أعتقد أنه كان فى استطاعتى الامساك بالقاتل

سألها بوارو : - فى أية ساعة حدث هذا يا آنسة ؟ .. هل كان ذلك فى نحو الساعة الواحدة والنصف ؟

فكرت لحظة ثم قالت : - نعم . تقريبا .

قال بوراو فى تفكير : - هذا يتفق تماما . ألم تسمعى شيئا آخر ؟ ... صوت باب يفتح أو يقفل مثلا ؟

هزت مس جونسون رأسها بالنفى وقالت : - كلا . لا أذكر أننى سمعت أى شئ من هذا القبيل .

- لاشك انك كنت تجلسين أمام المنضدة .. فهل كان وجهك نحو الحوص أو نحو غرفة الآثار أو نحو الشرفة .

- كان وجهى نحو الحوش .

- هل كنت ترين من مكانك الغلام عبد الله وهو يغسل الآنية ؟

- نعم كنت أراه اذا ما رفعت عينى غير أن اهتمامى كله كان منصبا على عملى .

لو أن أحدا مر من تحت النافذة فهل كنت ترينه ؟

نعم . واننى واثقة من ذلك

- ألم ترى أحدا ؟

- كلا .

- ولكن اذا كان بعضهم قد اجتاز الحوش من منتصفه فهل كنت ترينه ؟

لا أدرى ... لا أظن ذلك . الا اذا كنت أنظر من النافذة بالذات عندئذ

- هل لاحظت أن الصبى عبد الله ترك عمله لحظة لينضم الى الخدم الآخرين ؟

- كلا .

تنهد بوارو وقال : - عشر دقائق ... الدقائق العشر الحاسمة .

وخيم صمت قصير .

وفجأة رفعت مس جونسون رأسها وقالت : - أخشى أن أكون قد خدعتك دون قصد يا مستر بوارو . ولكننى بعد الروية والتفكير أظن أنه كان يتعذر على وأنا جالسة مكانى أو أسمع أية صيحة صادرة من غرفة مسز ليدنر فان غرفة الآثار تقع بين هاتين الغرفتين ثم ان نوافذها كانت مغلقة كما تعرف .

قال بوارو فى رفق : - مهما يكن يا آنسة فاننى أرجو أن تطمئنى ... ليس لهذه النقطة أهمية كبيرة .

- كلا بالطبع . اننى أعرف ذلك . ولكننى شخصيا أعلق عليها أهمية كبيرة لأنه كان فى مقدورى أن أفعل شيئا .

قال الدكتور ليدنر فى رفق : - أرجو ألا تزعجى نفسك يا عزيزتى آن . لاريب أنك سمعت أحد القرويين يدعو زميلا له فى الحقول .

اصطبغ لون مس جونسون ازاء رقة الدكتور ليدنر ورفعت عينيها اليه ثم حولت رأسها وقالت فى صوت أشد خشونة :

- نعم . لاريب فى ذلك . فبعد مثل هذه المأساة يتصور الانسان أشياء لم تقع إطلاقا .

ومرة أخرى نظر بوارو الى دفتر مذكراته وقال : - اننا نقترب من النهاية يا مستر كارى ؟

- أخشى اننى لا أستطيع أن أضيف شيئا له أهمية . فقد كنت أعمل فى الحفائر . وجاءنى البنأ وأنا هناك .

- ألم يحدث شئ أثناء الأيام التى سبقت الجريمة ؟

- أبدا .

- وأنت يا مستر كولمان ؟

قال مستر كولمان وفى صوته رنة من الأسف : - اننى بعيد عن هذه القضية تماما فقد ذهبت فى الصباح الى الحسينية لكى آتى بهايا العمال ، وعند عودتى أخبرنى مستر أيموت بما حدث وعدت بسيارة النقل لاخطار البوليس والدكتور ريلى .

- وقبل ذلك ؟

- كان الجو مضطربا بعض الشئ كما تعلم ، فقد وقعت أولا حادثة غرفة الآثار ثم تلك الرؤوس والوجوه التى كانت تظهر فى النافذة .

ونظر الى الدكتور ليدنر فهز هذا الأخير رأسه واستطرد كولمان : - وأرى أننا لن نلبث أن نكتشف أن القاتل أقبل من الخارج .

تفرس مستر بوارو فيه بضع لحظات فى صمت ثم سأله أخيرا : - هل أنت انجليزى يا مستر كولمان ؟

نعم . مائة فى المائة .

- أهذا أول موسم لك ؟

- نعم .

- هل تهتم بالآثار ؟

بدا كأن هذا السؤال قد سبب ضيقا لمستر كولمان فقد اصطبغ وجهه ونظر الى الدكتور ليدنر كالتلميذ المخطئ وتمتم :

- طبعا ... أنه علم ممتع ولكننى لست مولعا به وأمسك . وراح بوارو ينقر بقلمه على المائدة ثم قال : - نستطيع أن نتوقف عند هذا الحد فى الوقت الحاضر ، واذا تذكرت فيما بعد شيئا قد يفيدنا فى التحقيق فأرجو أن تأتينى دون تردد ... والآن

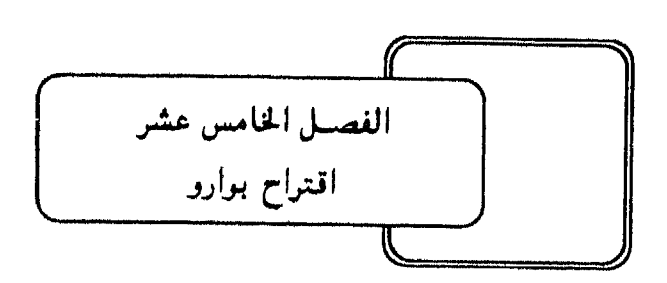
أريد أن أتحدث مع الدكتور ليدنر والدكتور ريلى على انفراد .

وكأن قوله هذا ايذانا بانتهاء الجلسة فنهضنا ومضينا نحو الباب ، أحدنا خلف الآخر وكنت قد بلغت الباب عندما احتجزنى بوارو قائلا :

- مس ليذيران .. هل تتكرمين بالبقاء معنا ...ان وجودك يمكن أن يكون مفيدا لنا

ورجعت مكانى وجلست أمام المائدة .

***



الفصـل الخامس عشر
اقتراح بوارو

نهض الدكتور ريلى من مقعده وعندما خرج الجميع أغلق الباب فى حرص كبير . وبعد ان ألقى نظرة متسائلة الى بوارو مضى فأغلق النافذة المطلة على الفناء ، وكانت النوافذ الأخرى مغلقة ، ثم عاد فجلس مكانه . وقال بوارو : -

- حسبنا . اننا أصبحنا وحدنا الآن ويمكننا أن نتكلم بكل حرية . اننا سمعنا أقوال أعضاء البعثة . ولكن فيم تفكرين يا مس ليذيران ؟

واضطرم وجهى ، ولم أستطع أن افكر أن هذا الرجل القصير كان حاد الذكاء ثابت النظر وانه رأى الخاطر يمر بذهنى ، ولاريب أن وجهى نم عنه فى وضوح وقلت مترددة :

- أوه ... لاشئ ...

قال الدكتور ريلى : - تكلمى أيتها الممرضة ولا تتركى الخبير ينتظر .

أسرعت أقول : - انه لاشئ حقا . ولكن مر بخاطرى أنه اذا كان هناك من يعرف شيئا حقا أو يشتبه فى شئ فلن يكون من اليسير عليه أن يتكلم أمام الدكتور ليدنر .

هز مستر بوارو رأسه موافقا الأمر الذى أثار دهشتى وقال : -

- هذا صحيح . ولكننى سأوضح لك الأمر . كان لهذا الاجتماع الصغير غرض معين... فى لندن قبل السباق ، يستعرضون الجياد ، أليس كذلك ؟ ... انها تمر أمام المنصة الكبيرة لكى يتمكن الجميع من رؤيتها وتقديرها . كان هذا هو الغرض من اجتماعى الصغير ، فبلغة السباق كنت استعرض المتسابقين المشتركين .

صاح الدكتور ليدنر فى عنف : - اننى لا أصدق دقيقة واحدة ان عضوا من أعضاء

بعثتي متورط فى هذه الجريمة .

ثم تحول الى وقال فى لهجة آمرة : - أكون شاكرا لك أيتها الممرضة اذا تكرمت وذكرت لمستر بوارو ما حدث بينك وبين زوجتى منذ يومين .

رويت قصتى على الفور محاولة بقدر الامكان أن اذكر الكلمات التى استخدمتها مسز ليدنر بالذات وعندما فرغت قال بوارو : -

- حسن ... حسن جدا ... اننى اهنئك على صفاء ذهنك ودقتك . ستكونين عونا كبيرا لى هنا .

ثم تحول الى الدكتور ليدنر وقال : - هل هذه الرسائل معك ؟ .

- نعم . ها هى . ظننت انك ستريد ان تراها قبل أى شئ آخر .

أخذها بوارو منه وقرأها فى عناية كبيرة ، وقد شعرت بخيبة أمل كبيرة عندما رأيت انه لم يرش عليها مسحوقا وأدركت عندئذ أن هذا الرجل لم يكن شابا وان وسائله عتيقة .

وبعد أن قرأ الرسائل وضعها جانبا وقال : - لنحاول الآن ان نرتب معلوماتنا . جاءت أول هذه الرسائل لمسز ليدنر بعد زواجها بك بقليل فى أمريكا . وكان قد جاءتها رسائل أخرى قبل ذلك أعدمتها . ثم جاءتها رسالة ثانية نجوتما بعدها بقليل من الموت اختناقا بالغاز ثم غادرتما أمريكا بعد ذلك . ومر عامان لم يصلها فيهما أية رسالة ، ولكن بدأت الرسائل تأتى مع بدء هذا العام ، أى منذ ثلاثة أسابيع هل هذا صحيح .

- تماما .

- واستولى الذعر على زوجتك ، وبعد ان استشرت الدكتور ريلى ألحقت الممرضة ليذيران بخدمتك لكى تعنى بزوجتك وتهدئ مخاوفها .

- نعم .

- ووقعت بعض الأحداث : - ايد تدق على زجاج النافذة من الخارج ووجه ميت يظهر من خلفها وضجيج فى غرفة الآثار ، وانت نفسك لم تشهد أى شئ من ذلك .

- كلا .

- والحقيقة أن أحدا لم يرها أو يسمعها فيما عدا زوجتك .

- ولكن الأب لافينى رأى نورا فى غرفة الآثار .

- نعم . اننى لم أنس ذلك .

وبعد دقيقة صمت قال : - هل تركت زوجتك وصية ؟

- لا أظن ذلك .

-- لماذا ؟

- لانها كانت تعتقد أن لا فائدة لها .

أليست امرأة ثرية ؟

نعم ، فقد ترك لها أبوها ثروة طائلة أوقفها عليها طوال حياتها ولم يكن مسموحا لها بأن تلمس رأس المال وقد أوصى بأن تنتقل بعد موتها الى أولادها أما اذا ماتت من غير أن تنجب أولادا فان الثروة تؤول عندئذ الى متحف بتستون .

نقر بوارو بأصابعه على المائدة فى تفكير وقال : - يمكننا اذن استبعاد هذا الدافع من القضية . اننى اسأل نفسى عند بدء التحقيق " من الذى يستفيد من الجريمة ... والمستفيد هذه المرة متحف " . ولو ان الأمر اختلف وماتت مسز ليدنر دون ان تترك وصية مخلفة وراءها ثروة كبيرة لسألتك من الذى يرثها ؟ ... أنت أو زوجها الأول . ولكن لكى يطالب هذا الأخير بحقه فى التركة فلابد له أن يعود الى الحياة . غير انه سيواجه عندئذ خطر القاء القبض عليه على الرغم من اننى أعتقد أن حكم الاعدام الصادر عليه لن يكون له تأثيرا يذكر بعد ان انتهت الحرب ، ومهما يكن فلا حاجة بنا الآن لمواجهة هذا الاحتمال وكما سبق القول فاننى أبدأ فأسأل من المستفيد ثم أشك بعد

ذلك فى الزوج . وهناك ثلاثة أشياء فى صالحك أنه ثبت انك لم تقترب من غرفة زوجتك بعد ظهر أمس وثانيها انك تخسر بومتها بدلا من زن تستفيد وثالثا ...

وأمسك فاستحثه الدكتور ليدنر قائلا : - نعم ؟

- وثالثا هو اننى أقدر الحب الشديد عندما أراه وأعتقد يادكتور ليدنر أن حبك لزوجتك كان كل شئ فى حياتك ، اليس كذلك ؟

أجابه الدكتور فى بساطة : - نعم .

قال بوارو : - علينا أن نستمر اذن .

وقال الدكتور ريلى فى صبر نافذ :- نعم . نعم لنفرغ من هذه المسألة بأسرع ما يمكن .

ألقى بوارو اليه نظرة حافلة باللوم وقال : - تذرع بالصبر يا صديقى ، ففى قضية كهذه يجب ان ندرس كل شئ بترتيب ونظام . والواقع ان مبدئى الأول فى كل قضية اضطلع بها هو الا أشذ عن هذه القاعدة . وبعد أن أقصينا كل هذه الاحتمالات نصل الآن الى نقطة شديدة الآهمية ، وهى انه يجب مصارحتى بكل شئ ، وعدم اخفاء أى شئ عنى .

قال الدكتور ريلى : - هذا قول سليم .

وقال بوارو : - ولهذا أطالبكم بالحقيقة كلها

نظر الدكتور ليدنر اليه فى دهشة وقال : - وهو كذلك اننى لم أخف شيئا عنك . قلت لك كل ما أعرفه دون تحفظ .

- ومع ذلك فأنت لم تقل لى كل شئ

- بل قلت لك كل شئ ، ولم أخف شيئا ما .

واتسمت الدهشة والحيرة على ملامحه فهز بوارو رأسه وقال : - كلا ، فانك لم تقل لى مثلا لماذا ألحقت الممرضة ليذيران بخدمتك ؟

اشتدت دهشة الدكتور ليدنر وقال : - ولكننى شرحت لك السبب ... اضطراب زوجتى وانفعالها ... ومخاوفها .

انحنى بوارو الى الامام ، وفى بطء رفع اصبعا الى أعلى ثم خفضه وقال : -

- كلا ، كلا ، كلا . هناك شئ غير واضح . ان زوجتك فى خطر ... نعم ... انها تواجه الموت قتلا ولكنك لا تستنجد بالبوليس ، ولا حتى بمخبر خاص وانما بممرضة . ان هذا غير معقول .

انني ... انني ...

وسكت الدكتور وارتفع الدم الى وجنتيه وقال : - اننى خشيت ...

وشجعه بوارو قائلا : - هانحن قد بلغنا بيت القصيدة ... ماذا خشيت ؟

ولكن الدكتور لزم الصمت وتملكه الارتباك وعاد بوارو يقول : -

ان كل شئ يتفق مع ما قلته لى فيما عدا هذه النقطة بالذات .. لماذا ممرضة ؟ ... هناك رد واحد معقول وهو انك أنت نفسك لم تكن تعتقد ان زوجتك فى خطر .

انهار الدكتور ليدنر عندئذ وقال :- ليغفر الله لى . لم أعتقد ذلك ..لم أعتقد ذلك

نظر بوارو اليه بنفس الاهتمام الذى ينظر فيه القط الى جحر فأر وهو على أتم الأهبة لكى ينقض عليه بمجرد أن يخرج من الجحر .

- ماذا اعتقدت اذن ؟ ...

لا أعرف ... لا أعرف ...

- بل تعرف .. وتعرف تماما ، ولعلنى أستطيع مساعدتك بشئ من التخمين .

هل اشتبهت يا دكتور ليدنر فى ان هذه الرسائل كتبتها زوجتك بنفسها .

ولم تكن به أية حاجة لأن يرد ، فان الحقيقة التى خمنها بوارو كانت واضحة جدا ، واليد التى رفعها الدكتور ليدنر كما لو كان يطلب الرحمة كانت خير دليل على ذلك .

وندت عن صدرى تنهيدة . كنت على حق اذن فى افتراضى السابق . وتذكرت لهجة الدكتور ليدنر الغريبة وهو يسألنى رأيى فى كل ذلك . وهززت رأسى فى بطء وفى تفكير. وانتبهت فجأة على صوت مستر بوارو وهو يقول لى : -

- هل خطر لك نفس هذا الخاطر أيتها الممرضة ؟

أجبت بكل صراحة : - نعم .

- ولأى سبب ؟

شرحت له التشابه بين الخط الذى كتبت به رسائل التهديد ، وخط المظروف الذى أعطانيه مستر كولمان . وتحول بوارو عندئذ الى الدكتور ليدنر وقال : -

- هل لاحظت هذا التشابه أنت أيضا ؟

أطرق الدكتور ليدنر برأسه الى الأرض وقال : - نعم . كان الخط صغيرا وضيقا وليس كبيرا وواسعا كخط لويز . ولكن أكثر الحروف كانت مكتوبة بنفس الطريقة ، وسأريك ذلك .

وأخرج بعض الرسائل من جيب داخلى اختار منها واحدة ناولها لبوارو . وكانت عبارة عن جزء من رسالة أرسلتها اليه زوجته قارنها بوارو برسائل التهديد فى عناية كبيرة ثم قال : -

- نعم . هناك تشابه كبير . وانا لست خبيرا فى الخطوط ولا أستطيع أن أجزم . وبهذه المناسبة لم أعثر أبدا على خبيرين اثنين يتفقان على رأى واحد ولكننى مع ذلك أستطيع أن أقول ان التشابه بين الخطين كبير جدا ويبدو من المحتمل أن شخصا واحدا هو الذى كتبها ، ولكن ليس هذا مؤكدا ويجب أن نواجه كل الاحتمالات .

وضطجع فى مقعده الى الوراء وقال فى تفكير : - هناك ثلاثة احتمالات وأولها أن يكون تشابه الخط مجرد مصادفة ، والثانى أن تكون مسز ليدنر قد كتبت لنفسها هذه الرسائل لسبب غامض والثالث ان يكون قد كتبها شخص قلد خطها عامدا . وأحد

هذه الاحتمالات لابد ان يكون الصحيح .

وفكر دقيقة أو دقيقتين ثم تحول الى الدكتور ليدنر وسأله : - ماذا فعلت عندما خطر لك أن مسز ليدنر هى التى كتبت لنفسها هذه الرسائل ؟

هز الدكتور رأسه وأجاب : - أبعدت هذا الخاطر عن ذهنى بأسرع ما يمكن ، فقد كان أمرا فظيعا .

- ألم تحاول ان تعرف السبب ؟

أجاب فى تردد : - تساءلت اذا كانت أحداث الماضى البشع والتفكير قد أثرت على عقلها .

وأردف يقول وهو يتحول الى الدكتور ريلى : - وقد حسبت أنها كتبت لنفسها هذه الرسائل على غير وعى منها . فان هذا جائز . أليس كذلك ؟

مط الدكتور ريلى شفتيه وأجاب فى ابهام : - ان العقل البشرى ليقدم على اى شئ .

ثم القى الى بوارو نظرة ذات معنى فقال هذا الأخير : - ان للرسائل أهمية كبرى ولكن يجب ان نركز على القضية كلها . وهناك كما أرى ثلاثة حلول ممكنة .

- ثلاثة ؟

- نعم . وأولها وهو الزبسط أن الزوج الأول لزوجتك مازال على قيد الحياة وانه أرسل اليها هذه الرسائل ثم عمل على تهديده . واذا قبلنا هذا الحل فان مهمتنا تقتصر على معرفة كيف استطاع الدخول والخروج من غير ان يراه أحد .

" والحل الثانى هو ان مسز ليدنر كتبت لنفسها تلك الرسائل لأسباب خاصة . وهى أسباب يمكن للطبيب ان يفهمها أكثر من أي شخص عادى آخر ، وتكون هى التى بدرت مسألة الاختناق ولعلك لم تنس أنها هى التى نبهتك من النوم لأنها اشتمت رائحة الغاز . ولكن اذا كانت قد كتبت هذه الرسائل فانها لم تكن تواجه أي خطر من

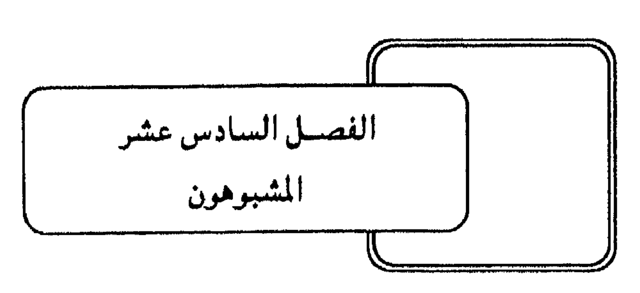
كاتب هذه الرسائل المزعوم ، وعلينا عندئذ أن نبحث عن القاتل فى مكان آخر ... يجب أن نبحث عنه بين أعضاء بعثتك .

وأردف يقول ردا على احتجاج الدكتور ليدنر : - نعم . هذا هو الحل المنطقى الوحيد . واحد منهم قتلها اشباعا لحقد شخصى . وهذا القاتل عرف بأمر الرسائل أو على الأقل ان مسز ليدنر تخشى على حياتها . وهذه الواقعة فى حد ذاتها تكون ، على رأي القاتل قد جعلت جريمة القتل آمنة بالنسبة له لأنه أدرك عندئذ أن الجريمة سوف تنسب الى شخص غامض أقبل من الخارج وان هذا الشخص هو كاتب رسائل التهديد .

" وهناك صيغة أخرى لهذا الحل وهو أن القاتل كتب تلك الرسائل بنفسه وهو يعرف ماضى مسز ليدنر ، ولكن فى هذه الحالة لا يتضح لنا لماذا قلد خط مسز ليدنر لأن من مصلحته ومصلحتها ان يبدو الأمر كما لو ان شخصا غريبا هو الذى كتبها " .

" والحل الثالث ، هو أكثر هذه الحلول أهمية ، فى ذهنى ، هو ان هذه الرسائل حقيقية وان زوجها الأول أو اخاه هو الذى كتبها وانه واحد من أعضاء البعثة .

***



الفصـل السادس عشر
المشبوهون

هب الدكتور ليدنر واقفا وقال : - هذا مستحيل ... مستحيل تماما ... هذه النظرية سخيفة .

تأمله مستر بوارو في هدوء ولم يقل شيئا . وعاد الدكتور يقول : -

- هل تقصد ان تقول ان الزوج الأول لزوجتي واحد من أعضاء البعثة وانها لم تعرفعه ؟

تماما . فكر في الامر قليلا . منذ خمس عشرة سنة قضت زوجتك بضعة شهور فقط مع ذلك الرجل ، فهل كان من الممكن ان تعرفه لو أنها التقت به بعد كل هذه المدة الطويلة .. انني لا أظن ذلك فان وجهه قد تغير بدون شك ، ومن الجائز الا يكون صوته قد تغير كثيرا ولكن هذه نقطة في مقدوره أن يتلافاها . وتذكر أنها لا تبحث عنه بين أهل البيت وانما تعتقد انه سيأتي من الخارج . كلا . لا أظن أنها تعرفه لو انها رأته . ثم ان هناك احتمالا ثانيا وهو ان الاخ الأصغر ، ذلك الغلام الذي كان وفيا جدا لذكرى أخيه ... انه أصبح الآن رجلا . فهل كانت تعرف في رجل في الثلاثين من عمره تقريبا ذلك الغلام الذي كان في العاشرة أو الثانية عشرة في ذلك الوقت . نعم يجب ان تعمل حسابا لويليام بوسنر فان أخاه في نظره لم يكن خائنا أبدا وانما كان بطلا شهيدا في سبيل وطنه المانيا ومسز ليدنر في نظره هي الخائنة ... فهي الوحش الذي بعث بأخيه المحبوب الى الموت . والطفل الحساس خليق بتمجيد البطولة كما يمكن ان تستبد به فكرة معينة حتى سن النضوج .

قال الدكتور ريلي : - هذا صحيح . ان الاعتقاد السائد بأن الأطفال سريعو النسيان اعتقاد كاذب فان أشخاصا كثيرين يقضون حياتهم تسيطر عليهم فكرة

رسخت فى ذهنهم وهم فى سن الطفولة - حسنا . أمامنا اذن هذان الاحتمالان . فريدريك بوسنمر وقد أصبح عمره الآن نحو الخمسين عاما وويليام بوسنمر وقد بلغ الآن نحو الثلاثين . ولندرس الآن حقيقة كل شخص من أعضاء البعثة من وجهة النظر هذه .

غمغم الدكتور ليدنر : - هذا غير معقول ... أعضاء بعثتى أنا ؟

قال بوارو فى خشونة : - وانت تعتبرهم طبعا فوق الشبهات ، وهذا رأى له تقديره . ولنبدأ الآن . من منهم لا يمكن ان يكون فريدريك بوسنمر ؟

- النساء .

- طبعا ، ولهذا سنستبعد مس جونسون ومسز مركادو . ومن غيرهما ؟

كارى ، فقد عملنا معا سنوات عديدة قبل ان التقى بلويز .

ثم ان عمره لا يتفق فهو فى الثانية والثلاثين وعلى هذا فهو بهذه الصفة أصغر من فريدريك وأكبر من ويليام ... والباقون ؟ ... هناك الأب لافينى ومستر مركادو . وأى واحد منهما يمكن ان يكون فريدريك بوسنمر .

صاح الدكتور ليدنر فى لهجة يشوبها الحنق والطرب : - ولكن يا سيدى العزيز ، ان الأب لافينى معروف فى العالم أجمع بخبرته فى النقوش الاشورية وعمل مركادو سنوات عديدة فى متحف معروف بنيويورك ومحال ان يكون احدهما الرجل الذى تفكر فيه .

هز بوارو رأسه وقال : - محال ... محال ... هذه الكلمة لا وجود لها بالنسبة لى... والشئ المحال هو الذى يثير اهتمامى أكثر من أى شئ آخر ولكننا سنتجاوز عن ذلك فى الوقت الحالى ... من لدينا غير هؤلاء ؟ ... كارل ريتر . وهو شاب له اسم المانى وثم دافيد أيموت ...

- تذكر انه عمل معى موسمين متتاليين .

- انه شاب يتمتع بصبر كبير واذا خطر له ان يرتكب جريمة قتل فلن يرتكبها عفو

الخاطر وانما سيقضى مدة طويلة فى الاعداد لها .

اتى الدكتور ليدنر بحركة تدل على اليأس فى حين استطرد بوارو :

ولدينا أخيرا ويليام كولمان .

- انه انجليزى .

- ولم لا ؟ الم تقل مسز ليدنر ان الغلام غادر امريكا وانهم فقدوا أثره . لم لا يكون قد انتقل الى انجلترا ؟

قال الدكتور ليدنر : - ان لديك ردا على كل شئ .

اما انا فقد استغرقت فى تفكير عميق . بدا لى مستر كولمان منذ أول الأمر كبطل من أبطال روايات وودهاوس فهل تراه يتصنع ويتكلف بدور ما منذ البداية .

وكتب بوارو شيئا ما فى دفتر مذكراته وقال : - لنعمل بترتيب ونظام . لدينا اثنان : الأب لافينى ومستر مركادو من ناحية وكولمان وأيموت وريتر من ناحية أخرى ولننظر الآن الى أوضاع وظروف كل شخص منهم .. ومن منهم تهيأت له الظروف لارتكاب جريمة القتل ؟ ... كان كارى فى الحفائر وكولمان فى الحسينية وانت نفسك كنت فوق السطح . وبهذا بقى لدينا لافينى ومستر مركلدو ومسز مركادو ودافيد أيموت وكارل ريتر ومس جونسون والممرضة ليذيران .

صحت وانا اهب واقفة : - أوه .

نظر بوارو الى بعينيه البراقتين وقال : - نعم ايتها الممرضة . يجب أن أضمك أنت أيضا الى القائمة فقد كان من اليسير عليك ان تذهبى الى غرفة مسز ليدنر وان تقتليها فى الوقت الذى خلا فيه الفناء من الغلام من مستر أيموت . انك قوية بما فيه الكفاية وكانت المسكينة لاتتشك فى أى شئ حتى اللحظة التى أصابتها فيها الضربة القاتلة .

بلغ بى الغضب الى حد اننى لم استطع النطق ولحظ الدكتور ريلى ذلك وبدا ان

الامر يطربه وقال : - " ممرضة تقتل مرضاها الواحد اثر الآخر " .

وياللنظرة التى رميته بها !

ولكن الدكتور ليدنر كان يفكر فى أمر آخر لأنه قال : - يجب استبعاد أيموت يا مستر بوارو فقد كان معى على السطح اثناء ادقائق العشر المذكورة .

- لا أستطيع استبعاده على الرغم من ذلك فقد كان فى مقدوره أثناء هبوطه ان يمضى الى غرفة مسز ليدنر فيقتلها ثم ينادى الغلام بعد ذلك .

هز الدكتور ليدنر رأسه وهو يقول : - ياله من كابوس !

وأثار بوارو دهشتى اذ وافقه على ذلك قائلا : نعم : هذا صحيح أنه لكذلك . ونادرا ما نجد جريمة قتل بمثل هذا الغموض . ان جريمة القتل فى العادة تكون سهلة واضحة . ولكن هذه جريمة غير عادية وأظن يا دكتور ليدنر ان زوجتك كانت امرأة غبر عادية .

قال الدكتور ليدنر فى صوت هادئ : - أيتها الممرضة ، قولى له كيف كانت لويز، فانت غير متحيزة .

قلت فى صراحة : - كانت امرأة ظريفة لا يسع كل من يراها الا الاعجاب بها والحظوة باهتمامها . ام التق بامرأة مثلها قبل ذلك .

قال الدكتور وهو يبتسم · - اشكرك

وقال بوارو فى لهجة مهذبة : - هذه شهادة لها قدرها من شخص غريب عن البيت . حسنا . لنستمر قلنا ان سبعة أشخاص . الممرضة ليذيران ومسز مركادو ومستر ريتر ومستر أيموت والأب لافينى .

وتنحنح مرة أخرى واستطرد : - لنفرض الآن ان النظرية الثالثة هى الصحيحة ، وهى أن القاتل هو فريدريك أو ويليام بوسنمر وانه أحد أعضاء البعثة . وبهذا يمكننا أن نقلل عدد المشبوهين الى أربعة هم الأب لافينى ومستر مركادو وكارل ريتر ودافيد

أيموت . تدخل الدكتور ليدنر وقال : - يجب اخراج الأب لافيني من هذه القضية فهو ينتمى الى الآباء البيض بقرطاجة .

وقلت : - ثم ان لحيته حقيقية .

قال بوارو : - ان قاتلا من الدرجة الأولى لا يضع لحية زائفة أبدا ايتها الممرضة .

قلت فى احتجاج : - وكيف تعلم ان القاتل من الدرجة الأولى ؟

لانه لو لم يكن كذلك لقفزت الحقيقة الى ذهنى من الوهلة الأولى .

قلت فى نفسى : - ياغرور هذا الرجل !

ثم قلت فى صوت مسموع : - مهما يكن فلاريب انه انتظر مدة طويلة حتى تنمو .

فقال : - هذه ملاحظة حصيفة .

وقال الدكتور ليدنر محنقا : ولكن هذا هراء . ان الأب لافينى ومستر مركادو رجلان معروفان .. يعرفهما العالم منذ سنوات

تحول بوارو اليه وقال : غاب عن ذهنك شئ له أهميه كبيره .. اذا لم يكن فريدريك بوسنمر قد مات فماذا فعل طوال هذه السنوات لاريب انه اتخذ له اسما آخر وبنى لنفسه مركزا فى الحياة .

قال الدكتور متشككا : - كأحد الآباء البيض .

الواقع ان هذا يبدو غريبا ولا يستطيع البت فيه الآن . ثم ان أمامنا الاحتمالات الأخرى .

قال ريلى :- الشبان ! ..اذا أردت رأيى فهناك شخص واحد تتوافر فيه كل الشروط .

- ومن هو ؟

كارل ريتر . ليس لدينا شئ معين ضده ، ولكن اذا نحن درسنا حالته وجدنا له كل الصفات المطلوبة فله اسم المانى ثم انه جديد فى البعثة وقد كان فى مقدوره أن

يغادر غرفة التصوير وان يعبر الفناء ويرتكب جريمته ثم يعود قبل الغلام . واذا حدث ودخل غرفة التصوير أثناء ذلك فان فى وسعه ان يقول انه كان موجودا فى الغرفة السوداء . لا أقول انه هو القاتل ولكن اذا كنت تريد أن تشتبه فى شخص ما فان كل الشروط تتوافر فيه .

بدا ان بوارو لا يتقبل هذا الرأى فقد هز رأسه فى هدوء وقال :

- نعم . ان الشروط تتوافر فيه ولكن ليس الأمر بمثل هذه البساطة ثم أردف :

- لنكتفى الآن بذلك . أرجو أن تسمحوا لى بالقاء نظرة على غرفة الجريمة .

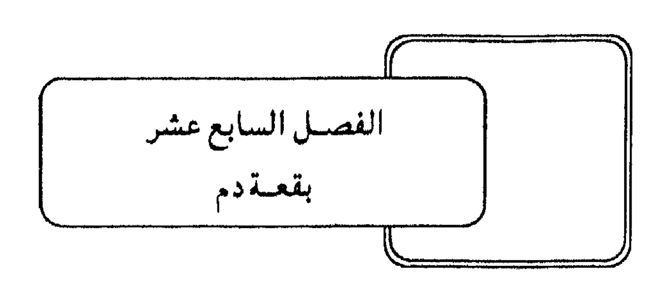
- طبعا .

وبحث الدكتور ليدنر فى جيبه ثم نظر الى الدكتور ريلى قائلا : - لقد أخذه الكابتن ميتلاند . قال ريلى : وقد اعطانى اياه قبل أن ينصرف لمعالجة قضية أخرى .

وأخرج المفتاح من جيبه . وقال الدكتور ليدنر فى تردد . - هل ... هل هناك ضرورة فى أن احضر أيتها الممرضة وقال بوارو : - كلا طبعا . اننى أفهم .. لا أريد أن أسبب لك الما لا ضرورة له . اذا تكرمت بمرافقتى يا آنسة

قلت . - سمعا وطاعة

* * *



الفصـل السابع عشر
بقعـة دم

نقلت جثة مسز ليدنر الى الحسينية للتشريح ولكن غرفتها بقيت كما هى لم يتغير فيها شئ . ولم يكن بها أثاث كثير ولهذا فرغ رجال البوليس من فحصها فى وقت قصير.

فعلى يمين الباب وأنت داخل يوجد الفراش وأمام الباب نافذتان لهما قضبان حديدية وتطلان على الريف تقوم بينهما منضدة صغيرة ذات درجين صفت فوقها أدوات الزينة والتجميل . ولصق الحائط من الناحية الشرقية طاولة وبعض المشاجب ، وعلى يسار الباب مباشرة منضدة كبيرة عليها محبرة وحافظة من الجلد كانت مسز ليدنر تحتفظ فيها برسائل التهديد والنوافذ مزودة بستائر بيضاء ، وتزينها شرائط برتقالية اللون . وهناك أربعة جلود من فراء الماعز موضوعة فوق أرضية الغرفة ثلاثة منها بنية اللون ، اثنتان أمام النافذتين والثالثة أمام منضدة الزينة أما الرابعة فبيضاء اللون بها شعيرات بنية موضوعة بين الفراش والمنضدة الكبيرة .

ولم يكن بالغرفة أية دواليب أو ستائر أو أى شئ آخر يسمح لأحد بالاختباء . أما السرير فحديدى ، بسيط تغطيه ملاءة من الكريتون وفوقه وسائد من الريش كانت هى العلامة الوحيدة للبذخ فلم يكن بالبيت كله وسائد أخرى من هذا النوع .

وفى كلمات وجيزة وضح الدكتور ريلى الوضع الذى لقى فيه جثة مسز ليدنر . كانت مكومة فوق الفراء الذى أمام السرير .. ولكى يوضح وصفه أكثر التفت الى وقال : أرجوك يا آنسة ..

وأنا لست من الذين تتملكهم الوساوس فاستلقيت على الأرض وحاولت بقدر المسطاع أن أتخذ الوضع الذى كانت عليه الجثة

وقال الطبيب : - عندما عثر الدكتور ليدنر على زوجته فى ذلك الوضع الغريب رفع رأسها ولكنه أجاب على استفسار منى فيما بعد بأنه لم ينقل الجثة .

قال بوارو : - يبدو الآن كل شئ واضحا جدا ... تمددت مسز ليدنر فوق الفراش لكى تستريح وفتح بعضهم الباب فنهضت ووقفت على قدميها .

وأكمل الطبيب قائلا : - وضربها القاتل ففقدت رشدها ، ولم تلبث روحها ان فاضت بعد ذلك بقليل وتكلم عن الاصابة بلغة الطب فسأله بوارو :- لم يسل كثير من الدم اذن؟

- كلا . ان الدم انبثق من الداخل الى المخ .

- هذا تفسير معقول فيما عدا شيئا واحدا وهو أنه اذا كان القاتل غير معروف لمسز ليدنر فلماذا لم تطلب النجدة ؟ اذا كانت قد صرخت لسمعها البعض وخصوصا الآنسة ليذيران أو أيموت والغلام .

قال الدكتور ريلى فى صوت خافت : هذا أمر من السهل الرد عليه فان القاتل لم يكن غريبا .

هز بوارو رأسه موافقا وقال فى تفكير : - نعم ربما فوجئت برؤية الرجل ولكنها لم تخف منه ثم لاريب انها اطلقت صيحة خافته عندما ضربها فجأة .

- اتعنى الصيحة التى سمعتها مس جونسون ؟

- نعم . اذا كانت قد سمعتها حقا . ولكننى اشك فى ذلك فان الجدران سميكة والنوافذ كانت مغلقة .

ومضى الى الفراش وسألنى قائلا : - هل كانت قد استلقت فوق السرير عندما غادرتها ؟

شرحت له كل ما فعلت فقال :

- هل كان فى نيتها أن تنام أو أن تقرأ فحسب .

- أعطيتها كتابين ... رواية وكتابا أدبيا . وكان من عادتها أن تقضى فترة فى القراء قبل أن تنام .

- هل كانت ... ماذ أقول ؟ ... فى حالة عادية ؟

فكرت لحظة ثم قلت : - نعم . كانت مرحة وعادية .. ربما كانت غريبة بعض الشئ ولكننى عزوت ذلك ، الى أنها ربما كانت تشعر ببعض الحرج لانها كانت قد أفضت الى بذات نفسها فى اليوم السابق .

طرفت عينا بوارو وقال : - آه أفهم هذا الاحساس وردد البصر حوله فى الغرفة ثم قال: - عندما دخلت بعد الجريمة ، هل كل شئ فى مكانه السابق ؟

رددت البصر حولى بدورى ثم قلت : - هذا ما يبدو لى فكل شئ باق كما هو .

ألم ترى أى أثر للسلاح الذى استخدم فى ارتكاب الجريمة ؟

كلا .

تحول بوارو بعد ذلك الى الدكتور ريلى وسأله : - ما رأيك فى نوع السلاح .

أجاب الدكتور مسرعا : - هو اداة ثقيلة كبيرة الحجم ليست لها زوايا حادة ... كقاعدة مستديرة لتمثال مثلا .لا أقصد أن أقول أنها قاعدة تمثال بالذات ولكنها شئ من هذا القبيل . وقد سددت الضربة اليها فى قوة كبيرة

اتعنى ان يدا قوية قد وجهت اليها الضربة ؟ ... يد رجل مثلا ؟

نعم ... مالم ..

مالم ؟ ..

من الجائز ان مسز ليدنر كانت جاثية على ركبتيها عندما ضربها القاتل . ولو صح هذا يكون قد ضربها من أعلى بأداة ثقيلة ولن يحتاج عندئذ الى قوة كبيرة

تمتم بوارو قاذلا : - جاثية على ركبتيها .. هذه فكرة .

ولكن هذا جائز .

- نعم . ولا غرابة في هذا نظرا للظروف . ربما حملها الخوف على أن تصرخ طالبة النجدة بعد أن رأت بغريزتها أن الوقت لن يسعفها لكى ينجدها أحد .

قال بوارو فى تفكير : - نعم . هذه فكرة .

رأيت انها فكرة تافهة فاننى لم أتصور مسز ليدنر تجثو عند قدمى أى أحد مهما كانت الظروف .

ودار بوارو بالغرفة فى بطء وفتح النوافذ وجرب متانة القضبان ومرر رأسه من خلالها وتأكد من أن المسافة بين القضبان لا تسمح بأن يخرج أي شخص كتفيه منها وقال :

- كانت النوافذ مغلقة عندما عثرت عليها فهل كانت مغلقة عندما غادرتها فى الساعة الواحدة الا الربع .

- نعم كانت تغلق دائما بعد الظهر لكى لا يدخل منها الذباب

قال بوارو : - لا يستطيع أحد الدخول منها على كل حال والجدران مبنية من الطوب الجاف المتين وليس بها أية ثغرة أو كوة . لا يمكن دخول هذه الغرفة الا عن طريق الباب ، ولا يمكن الوصول الى الباب الا عن طريق الفناء وأمام الباب العمومى المؤدى الى الفناء كان الخدم يجلسون ويثرثرون ، ويرددون كلهم نفس القصة ولا أظن أنهم كاذبون ... كلا ، انهم لا يكذبون ولم يحرضهم احد على الكذب كان القاتل هنا .

لم أقل شيئا فقد خامرنى نفس الاحساس ونحن جلوس حول المائدة .

ودار بالغرفة فى بطء والتقط صورة من فوق المكتب وكانت لرجل له لحية بيضاء ونظر الى متسائلا فقلت :

- انه والد مسز ليدنر ... وهى نفسها التى قالت لى ذلك .

أعاد بوارو الصورة مكانها ونظر الى الأشياء الموضوعة فوق منضدة الزينة وكانت كلها من الصدف .

بسيطة ولكن أنيقة ووقعت عيناه بعد ذلك على صف من الكتب قرأ عناوينها قائلا :

- تاريخ الاغريق . مقدمة الى نظرية النسبية . حياة الليدى هستر ستانهوب . قطار كرو ، العودة الى مبتوشالح - ليندا كوندون ... ان هذه الكتب تدل على ان مسز ليدنر ليست غبية وانها على درجة كبيرة من الثقافة ..

ووقفت بضع لحظات أمام الحوض وكانت فوقه بعض أدوات الزينة ، وفجأة جثا على ركبتيه وفحص الفراء فى عناية كبيرة .

ولحقت به انا والدكتور ريلى . ورأيناه ينظر الى بقعة صغيرة داكنة لا تكاد تظهر على الوبر البنى والواقع أنه لولا أنها كانت تمتد حتى الوبر الأبيض لما لحظها أحد .

وقال : - مارأيك فى هذه البقعة يادكتور ؟ أهى بقعة دم ؟

جثا الدكتور ريلى بدوره ثم قال : - ربما . استطيع أن اتأكد من ذلك اذا اردت .

- أكون شاكرا لك .

وفحص بوارو الابريق والطست . وكان الابريق موضوعا على حافة الحوض اما الطست فكان فارغا ولكن كانت بجانب الحوض صفيحة بها ماء قذر .

وتحول الى وقال : - هل تذكرين اذا كان هذا الابريق موجودا خارج الطست أو بداخله عندما غادرت الغرفة فى الساعة الواحدة الا الربع أيها الممرضة .

وقلت بعد دقيقة أو دقيقتين : - لا أذكر تماما . ولكن أظن أنه كان داخل الطست

- آه .

وأسرعت أقول : - أظن انه كان بالداخل لاننى اعتدت ان أراه كذلك دائما فان الغلام يتركه هكذا بعد الغداء واعتقد أنه لو لم يكن بداخله للاحظت ذلك .

أومأ بوارو فى استحسان وقال : - نعم اننى أفهم الموقف انك محبة للنظام ولو أنه

لم يكن بداخل الطست لاسرعت بوضعه مكانه دون وعى منك .. ولكن هل كان فى ذلك الوضع بعد الجريمة ؟

هززت رأسى وقلت : - لم الحظ ذلك . كل ما اهتممت به هو اذا كان القاتل مختبأ فى مكان ما أو اذا كان قد خلف وراءه أي شئ .

وقال الدكتور ليدنر وهو ينهض : - هى بقعة من الدم . ولكن هل لهذا أهمية ؟

قطب بوارو حاجبيه فى شئ من الدهشة وهز كتفيه فى قوة وقال :

- لا أدرى قد لا يكون لها أية أهمية . ولكن كل ما استطيع ان أقول ، هو أنه اذا كان القاتل قد لمسها فلابد ان الدم علق بيده ... وهو دم ليس بالكثير ولكنه مع ذلك أتى الى الحوض وغسل يده . نعم قد يكون الأمر كذلك . ولكننى لا اريد ان اقفز الى النتائج وان اقول ان هذا ما حدث فقد لا تكون لهذه البقعة أية أهمية .

قال الدكتور ريلى : - لم ينبثق دم كثير ولكن لعله نضح حول الجرح قليلا ، واذا كان القاتل قد لمسه طبعا ...

سرت الرعشة فى بدنى وتصورت شخصا ما لعله ذلك المصور الشاب الوسيم يضرب تلك المرأة الجميلة ضربة قوية أفضت بها الى الموت ثم ينحنى فوقها ويلمس الجرح بيده وقد تغيرت سحنته وأصبح أقرب الى الوحش المفترس .

وتحول بوارو وقال : - اننى أعرف ما تحتاجين اليه . عندما نفرغ من هنا وأعود أنا مع الدكتور الى الحسينية سنصطحبك معنا . ستقدم فنجانا من الشاى الى الآنسة ليذيران يا دكتور ريلى ، أليس كذلك ؟

- يسرنى ذلك .

قلت فى احتجاج : - أوه كلا يا دكتور . لاداعى لذلك .

ربت بوارو بيده على كتفى وقال :- افعلى كما نقول لك يا آنسة ثم انك ستقدمين خدمة كبيرة لى فهناك أمور كثيرة أريد أن أناقشك فيها ولا أستطيع مناقشتها هنا

احتراما للاصول . ان الدكتور ليدنر كان يعبد زوجته ويعتقد ان الجميع كانوا يعبدونها مثله ... وأريد ان أتحدث معك عن مسز ليدنر حديثا صريحا وسنصطحبك معنا الى الحسينية لهذا الغرض .

قلت فى شئ من الشك : - أظن انه لابد لى من مغادرة البيت على كل حال ، فلم يعد لوجودى هنا أي سبب .

ضحك الدكتور ريلى وقال : - بل عليك بالبقاء يوما أو يومين . لا حاجة بك للرحيل الا بعد الانتهاء من الجنازة .

- حسن جدا . ولكن لنفرض أن يقتلنى القاتل بدورى

قلت ذلك فى شئ من المزاح . وتقبل الدكتور ريلى قولى مازحا هو الآخر ولكن بوارو توقف فجأة وسط الغرفة وضرب جبينه براحة يده وقال :

- هذا جائز ... وهناك خطر ... خطر كبير ... كيف يمكن أن نعالج ذلك ؟

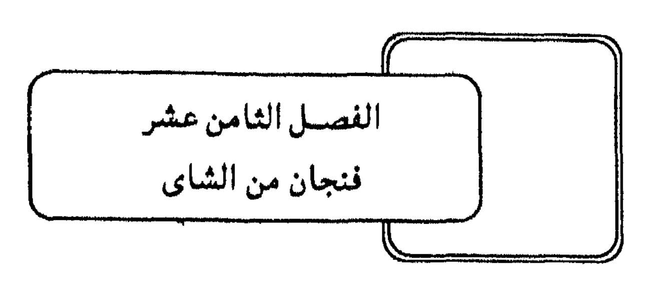
- ولكننى كنت أمزح يا مستر بوارو ... من يريد أن يقتلنى ... اننى لأعجب ...

- انت أو غيرك .

ولم ترق لى لهجته وهتفت : - ولكن لماذا ؟

حدق بوارو فى وهو يقوول : - اننى أمزح يا آنسة وأضحك ... ولكن فى الحياة أشياء أخرى غير المزاح ... هناك أشياء كثيرة تعلمتها فى مهنتى ، واحدى هذه الأشياء هى تلك الحقيقة الرهيبة وهى أن جريمة القتل تصبح عادة عند القاتل .

***



الفصل الثامن عشر
فنجان من الشاى

تفقد بوارو البيت وملحقاته قبل مغادرته له . وألقى بضعة أسئلة على الخدم . وقام الدكتور ريلى بدور المترجم ينقل الأسئلة والأجوبة من الانجليزية الى العربية والعكس بالعكس .

وكانت هذه الأسئلة تدور كلها حول أوصاف الرجل الغريب الذى رأيته أنا ومسز ليدنر يحاول اختلاس النظر من احدى النوافذ والذى رأيته يتحدث مع الأب لافينى فى اليوم التالى .

وقال الدكتور ريلى والسيارة تنطلق بنا الى الحسينية : - هل تظن حقا ان ذلك الرجل له دخل فى القضية ؟

أجاب بوارو : - اننى أحب أن أجمع كل ما أستطيع من معلومات .

وكانت هذه اللمسة أصدق تصوير لطريقة ذلك المخبر فى تحرياته وتحقيقاته واكتشفت فيما بعد انه ليست هناك أقل اشاعة الا ويهتم بها كل الاهتمام .

واعترف اننى اغتبطت بفنجان الشاى الذى تناولته فى بيت الدكتور ريلى ، وقد وضع بوارو خمس قطع من السكر فى فنجانه وراح يقلبها بالملعقة فى عناية ثم قال :

- يمكننا أن نتكلم بكل حرية الآن وأن نحاول أن نعرف من الذى قتل مسز ليدنر .

وسأله الدكتور ليدنر : - لافينى أو مركادو أو أيموت أو ريتر .

- كلا ، كلا . تلك هى النظرية الثالثة وأحب أن أركز الآن على النظرية رقم ٢ وان ندع جانبا كل ماله علاقة بالزوج الغامض وأخيه الذى ظهر فجأة من الماضى . لنر الآن بكل بساطة أى عضو من أعضاء البعثة والفرصة والوسيلة لكى يقتل مسز ليدنر ومن

هو الشخص الجدير بأن يفعل ذلك .

- ظننتك غير مهتم بهذه النظرية .

قال بوارو بلهجة العتاب : - أبدا . ولكننى لم أجد من الكياسة أو الذوق أن أناقش فى حضور الدكتور ليدنر الأسباب التى حملت أحد أعضاء البعثة الى قتل زوجته . كان على أن أؤيد القصة القائلة بأن الجميع يحبونها ويعبدونها .

، لكن الأمر لم يكن كذلك بالطبع ويمكننا الآن أن نقسو وألا نتحيز لأحد أو أن نراعى شعور أي شخص . وهذا ماستساعدنا المرضة ليذيران فيه ، فهى تملك موهبة ممتازة فى الملاحظة .

قلت : - أوه . لست واثقة من ذلك .

ناولنى الدكتور ليدنر طبقا من البسكويت قائلا : - لكى تستمدى من الشجاعة ما يكفى .

وكان البسكويت لذيذا جدا . وقال بوارو فى رفق : - عليك الان أن تصارحينى بكل شئ أيتها الممرضة وأن تذكرى لى مشاعر كل شخص من أعضاء البعثة نحو مسز ليدنر .

ولكننى لم أقض معهم غير أسبوع واحد يامستر بوارو

هذه مدة كافية جدا لمن كان فى مثل ذكائك . ان الممرضة تصدر حكمها على مرضاها فى أقصر وقت .

هيا وابدئى بالحديث عن الأل لافينى .

- الحق اننى لا أدرى ... بدا لى انه هو ومسز ليدنر كان يطيب لهما أن يتحدثا معا . ولكنهما كانا يتحدثان بالفرنسية عادة . وأنا نفسى لا أجيد هذه الغة على الرغم من اننى تعلمتها فى المدرسة

كان يبدو لى انهما يتحدثان عن الكتب والأدب .

- ويقول آخر كانت تطيب لهما صحبتهما أليس كذلك ؟

- نعم يمكن أن نقول ذلك ولكننى أظن أن الأب لافينى كان يشعر بشئ من الحيرة بسببه .

وأعدت عليه الحديث الذى دار بينى وبين الأب لافينى فى أول زيارة لى للحفائر فقد نعت الأب لافينى مسز ليدنر فى ذلك اليوم بأنها امرأة خطرة .

وقال بوارو : - هذا شئ هام جدا ... وهى ؟ ... ماذا كان رأيها فيه ؟

- يتعذر على أن أقول ذلك فلم يكن من السهل أن أعرف رأيها فى الناس . أظن أنه كان يثير حيرتها فى بعض الأحيان واتذكر انها قالت للدكتور ليدنر ذات مرة أنه لايشبه الرهبان الذين التقيت بهم .

قال الدكتور ريلى مازحا : - ياللأب لافينى المسكين !

وقال بوارو عندئذ : - ألا يجب أن تعود بعض المرضى الآن يا صديقى العزيز ؟... اننى لا أريد أن احتجزك عن عملك لأى سبب من الأسباب .

ضحك الطبيب وقال وهو يضحك : - ان المرضى كثيرون .

ثم غمز لى بعينيه وخرج . وقال بوارو : - هذا أفضل . سنتحدث الآن حديثا خاصا ولكن افرغى من تناول الشاى أولا .

وناولنى ببقايا من الشطائر وفنجانا آخر من الشاى . وكان رقيقا حقا فى معاملته لى وقال :

- لنتبادل أحساسيسنا الآن . من فى رأيك لم يكن يحب مسز ليدنر ؟

قلت : - حسنا . انه رأيى أنا . ولا أريد أن يعرف أحد أنه صادر منى .

- طبعا .

- من رأيى أن مسز مركادو كانت تكرهها جدا .

- آه . ومستر مركادو ؟

- كان مفتونا بها . ولا أظن أن هناك من النساء من اهتم به فيما عدا زوجته . ولكن مسز ليدنر كانت تعامل الجميع فى رفق . وكانت لها طريقة خاصة فى التحدث اليهم وأظن أن هذه الطريقة أدارت رأس الرجل المسكين .

- وطبعا لم يرق هذا لمسز مركادو .

- الواقع أنها كانت تغار عليه جدا وقد رأيتها ترمى مسز ليدنر بنظرة كما لو كانت تريد أن تقتلها ... أوه يا الهى

واستدركت أقول على الفور : - الحق يا مستر بوارو اننى لم أكن أريد أن أقول ... لم أكن أعنى أبدا ..

كلا ، كلا اننى أفهم أن الكلمة أفلتت منك ، وهى كلمة جاءت فى مناسبتها الحقة... ومسز ليدنر ؟ .

هل انزعجت لعداء مسز مركادو .

قلت فى تفكير : حسنا . لا أظن انها أحست بأى انزعاج . وانصافا للحق لا أظن انها لاحظت ذلك . خيل لى لمجرد لحظة انه يجب أن أحذرها ولكننى لم البث أن عدلت عن ذلك فغالبا ما يندم المرء على انه تكلم .

هذا عين العقل والحكمة هل يمكنك أن تذكرى لى كيف أظهرت مسز مركادو مشاعرها ؟

حدثته عن الحديث الذى دار بيننا فوق السطح فقال فى تفكير : - اذن فهى قد حدثتك عن زواجها الأول . هل بدا عليها وهى تذكر لك ذلك اذا كانت تتساءل ان كنت قد سمعت قصة اخرى تختلف عن قصتها

هل تظن أنها عرفت حقيقة هذا الزواج .

هذا جائز . ومن الممكن انها كتبت تلك الرسائل وابتدعت اليد التى تدق على النافذة وكل الأشياء الأخرى .

- أنا نفسى فكرت فى هذا الاحتمال وبدا لى انه نوع من الانتقام الذى يمكن أن تفكر فيه .

- نعم . واعترف بأنه انتقام قاس . ولكننى لا أعتقد انها تقدم على جريمة بشعة كهذه مالم ...

وأمسك ثم قال : - غريب أن تقول لك : - " اننى أعرف لماذا أتيت هنا .. " ماذا كانت تعنى بذلك ؟

قلت فى صراحة : - لا أعرف .

- انها حسبت انك أتيت لسبب آخر غير الذى تقولين انك أتيت من أجله .. فما هو هذا السبب ؟ .

وغريب انها تفرست فيك أثناء تناولك الشاى يوم قدومك لأول مرة .

أسرعت أقول : - انها ليست سيدة مهذبة يا مستر بوارو .

- هذا عذر يا آنسة ولكنه ليس تفسيرا .

لم أفهم ما تعنيه عندئذ ولكنه أسرع يقول : - وأعضاء البعثة الآخرون ؟

أجبت : - لا أظن أن مس جونسون كانت تشعر بأى ود نحو مسز ليدنر . على انها لم تكن تخفى مشاعرها نحوها . وكانت متحاملة جدا عليها وتخلص كل الاخلاص للدكتور ليدنر وقد عملت معه لمدة سنوات طويلة . وقد غير الزواج أشياء كثيرة ولا يمكن انكار ذلك .

قال بوارو : - نعم ولم يكن ذلك الزواج مناسبا من وجهة نظر مس جونسون . بل كان الأنسب أن يتزوجها هى .

قلت موافقة : - نعم . ولكن الرجل رجل دائما وليس هناك واحد فى المائة يستشير عقله فى هذه الناحية . ولا يمكن لأحد أن يلوم الدكتور ليدنر حقا . ومس جونسون المسكينة لا تتمتع بأية جاذبية فى حين أن مسز ليدنر كانت جميلة حقا . لم

تكن شابة طبعا ولكنها كانت ... أوه .. ليتك عرفتها . انها كانت تتمتع بفتنة وسحر كبيرين ، واذكر ان مستر كولمان قال انها أشبه بحورية من الحوريات

- والآخرون ؟

- لا أعرف شيئا عن مستر أيموت فيما عدا انه شاب هادئ متحفظ وكانت مسز ليدنر تترفق في معاملته جدا وكانت تدعوه باسمه المجرد ويحلو لها أن تداعبه بخصوص مس ريلى .

آه . وهل كانت تروقه مداعباتها هذه ؟

لا أدرى . كان يكتفى بأن ينظر اليها بطريقة غريبة ولم يكن من اليسير قراءة أفكاره

ومستر ريتر ؟

لم تكن تترفق في معاملته دائما . . وأظن انه كان يثير اعصابها وكانت تسخر منه دائما

وهل كان يغضبه ذلك ؟

كان وجهه يصطبغ .

وفجأة وأنا أشعر بالرثاء للفتى المسكين خطر لى انه يمكن أن يرتكب جريمة قتل بشعة كهذه وانه ربما يتظاهر بهذا المظهر منذ البداية

وصحت : مستر بوارو . ... ماذا تظن قد حدث حقا ؟

هز رأسه فى بطء وفى تفكير وقال هل تخافين العودة هناك الليلة ؟

أوه كلا اننى أتذكر ما قلت لى طبعا ولكن من الذى يريد قتلى ؟

أجاب فى بطء : لا أظن أن أحدا يستطيع ذلك وانما قلته فقط لاننى أردت أن أسمع انطباعاتك عنهم جميعا ... كلا . اننى واثق انك فى أمان تام

بدأت أقول : لو أن أحدا قال لى وانا فى بغداد

وسكت فقال :- هل سمعت بعض الشائعات عن آل ليدنر وأعضاء البعثة قبل أن تذهبى هناك ؟

أخبرته بما ذكرته لى مسز كلسى وما كدت أفرغ حتى فتح الباب ودخلت مس ريلى . وكانت عائدة بعد أن فرغت من لعب التنس . وكان المضرب لايزال فى يدها .

وكنت أعلم ان أباها قدم لها مستر بوارو عند مجيئه الى الحسينية وحيتنى هى بدون اكتراث وأخذت شطيرة وهى تقول :

- حسنا يا مستر بوارو ... هل تقدمت فى تحقيقك ؟

- هذا عذر يا آنسة ولكنه ليس تفسيرا .

لم أفهم ما يعنيه عندئذ ولكنه أسرع يقول : - وأعضاء البعثة الآخرون ؟

أجبت : - لا أظن أن مس جونسون كانت تشعر بأى ود نحو مسز ليدنر . على انها لم تكن تخفى مشاعرها نحوها . وكانت متحاملة جدا عليها وتخلص كل الاخلاص للدكتور ليدنر . وقد عملت معه لمدة سنوات طويلة . وقد غير الزواج أشياء كثيرة ولا يمكن انكار ذلك

قال بوارو : - نعم ولم يكن ذلك الزواج مناسبا من وجهة نظر مس جونسون . بل كان الأنسب أن يتزوجها هى .

قلت موافقة : - نعم . ولكن الرجل رجل دائما . وليس هناك واحد فى المائة يستشير عقله فى هذه الناحية . ولا يمكن لأحد أن يلوم الدكتور ليدنر حقا . ومس جونسون المسكينة لا تتمتع بأية جاذبية فى حين أن مسز ليدنر كانت جميلة حقا . لم تكن شابة طبعا ولكنها كانت ... أوه . . ليتك عرفتها . انها كانت تتمتع بفتنة وسحر كبيرين ، وأذكر أن مستر كولمان قال انها أشبه بحورية من الحوريات ؟

- والآخران ؟

- لا أعرف شيئا عن مستر أيموت فيما عدا انه شاب هادئ متخفظ . وكانت مسز ليدنر تترفق فى معاملته جدا وكانت تدعوه باسمه المجرد ويحلو لها أن تداعبه بخصوص مس ريلى .

- آه . وهل كانت تروقه مداعباتها هذه ؟

لا أدرى . كان يكتفى بأن ينظر اليها بطريقة غريبة ولم يكن من اليسير قراءة أفكاره .

ومستر ريتر ؟

لم تكن تترفق فى معاملته دائما .. وأظن انه كان يثير اعصابها وكانت تسخر منه دائما .

وهل كان يغضبه ذلك ؟

كان وجهه يصطبغ .

وفجأة وأنا أشعر بالرثاء للفتى المسكين خطر لى انه يمكن أن يرتكب جريمة قتل بشعة كهذه وانه ربما يتظاهر بهذا المظهر منذ البداية

وصحت : - مستر بوارو : ... ماذا تظن قد حدث حقا ؟

هز رأسه فى بطء وفى تفكير وقال : - هل تخافين العودة هناك الليلة ؟

أوه كلا انني أتذكر ما قلت لى طبعا ولكن من الذى يريد قتلى ؟

أجاب فى بطء : - لا أظن أن أحدا يستطيع ذلك . وانما قلته فقط لانني أردت أن أسمع انطباعاتك عنهم جميعا ....كلا .. انني واثق انك فى أمان تام

بدأت زقول : - لو أن أحدا قال لى وانا فى بغداد .

وسكت فقال : - هل سمعت بعض الشائعات عن آل ليدنر وأعضاء البعثة قبل أن تذهبى هناك ؟

أخبرته بما ذكرته لى مسز كلسى وما كدت أفرغ حتى فتح الباب ودخلت مس ريلى

. وكانت عائدة بعد ان فرغت من لعب التنس . وكان المضرب لا يزال فى يدها .

وكنت أعلم ان أباها قدم لها مستر بوارو عند مجيئه الى الحسينية وحيتنى هى بدون اكتراث وأخذت شطير وهى تقول :

- حسنا يا مستر بوارو ... هل تقدمت فى تحقيقك ؟

- ليس كثيرا يا آنسة .

- أرى انك أنقذت مس ليذيران من الغرق .

- انها قدمت لى معلومات ثمينة عن جميع أعضاء البعثة . وعرفت منها أشياء كثيرة تتعلق بمسز ليدنر وآمل أن أصل الى مفتاح الجريمة قريبا جدا .

- تهانئى لذكائك الخارق يا مستر بوارو . والحق ان مسز ليدنر لقيت مصيرها الحق فانها كانت تستحق القتل .

صحت أقول مشدوهة : - مس ريلى !

ولكنها ضحكت ضحكة خبيثة وقالت : - شككت فى انك لم تعرف الحقيقة يا مستر بوارو فان الآنسة ليذيران قد وقعت فى حبائل هؤلاء القوم ... هل تعرف اننى أتمنى أن تفشل فى تحقيق هذه القضية وان يفلت قاتل مسز ليدنر من العقاب . اننى أتعاطف جدا معه لأننى أنا نفسى ما كنت لأأحجم عن قتل هذه المرأة لو أن الظروف قد تهيأت لى .

نظرت الى تلك الفتاة الشريرة فى ذعر كبير ولكن بوارو اصغى اليها فى غير اكتراث وقال فى رفق :

- أرجو اذن يا آنسة أن يكون لديك مايثبت وجودك فى مكان آخر غير مسرح الجريمة أمس

سادت لحظة صمت . وأفلت المضرب من يد مس ريلى ولم تفكر فى التقاطه . وقالت وهى تلهث :

- كنت فى النادى ألعب التنس . ولكننى أتساءل حقا يا مستر بوارو اذا كنت تعرف أى نوع من النساء كانت مسز ليدنر .

- هلا أخبرتنى أنت بذلك يا آنسة ؟

ترددت دقيقة قبل أن تقول فى برود وخبث بغيضين : - يقال انه لايجب أن نتكلم بسوء عن الموتى ولكن الحقيقة هى الحقيقة دائما والأفضل ألا نتكلم بسوء عن الأحياء لأن ذلك قد يلحق بهم ضررا فى حين أن الموتى قد أصبحوا فى مأمن من ذلك ، غير أن السوء الذى تسببوا فيه فى حياتهم يبقى بعد مماتهم . هل حدثتك الممرضة عن الجو الغريب الذى كان يسود تل بارمجا ؟ وهل حدثتك عن اضطرابهم وارتباكهم وكيف أن كلا منهم كان يحملق فى الآخر كالأعداء . كان هذا من عمل لويز ليدنر منذ ثلاث سنوات كان الجميع يعيشون فى سعادة تامة ، وحتى فى السنة الماضية كان كل شئ على ما يرام ولكن ظللت على الجميع غمامة وكان هذا من عملها هى . كانت من ذلك النوع من النساء التى لا تحب السعادة لأحد . كانت تريد أن تحطم وان تبذر الشقاق حبا فى اللهو أو حبا فى السيطرة أو ربما لأن هذه كانت طبيعتها . كانت من هؤلاء النساء اللاتى تحب احتكار كل رجل تجده تحت يدها .

صحت : مس ريلى ... ليس هذا صحيحا .

ولكنها استطردت دون أن تعيرنى أى اهتمام لم يكن يكفيها أن يعبدها زوجها فأدارت رأس مركادو المسكين ثم ألقت شباكها على بيل ، ومع أن هذا الأخير شاب عاقل الا انها أفلحت فى اثارته وارباكه . وكان يروق لها أن تعذب كارل ريتر ، وكان امرا يسيرا فهو شاب حساس ، وحاولت أن تفتن دافيد أيموت ولكن الشاب قاوم سحرها وفتنتها وعرف كيف يتغلب عليها لانه أدرك انها مجردة من كل احساس وانها لاتهدف الى أية مغامرة غرامية . انها تلهو بقلوب الرجال ولم تتشاجر أبدا مع أى أحد ولكنها تسببت فى كثير من المشاجرات ، وكان يحلو لها أن تثير مشاعر مس

جونسون المسكينة وكذلك مسز مركادو وكانت تجرحنى فى الصميم كلما سنحت لها الفرصة لذلك . وكانت تحب التنقيب عن أسرار الناس ، ولم يكن ذلك بقصد التهديد وابتزاز المال ولكن للتنكيل بهم .

سألها بوارو : - وزوجها ؟

أجابت فى بطء : - لم تشأ أبدا أن تجرح احساسه فكانت تعامله بكل رفق ورقة وأظن انها كانت تحبه كل الحب . وهو رجل ظريف يعيش دائما فى عالمه ...عالم الحفائر والآثار. وكان يعبدها هو الآخر ويهيم بها .

وتحولت الى فجأة وقالت : - ماذا قلت له عن ريتشارد كارى ؟

سألتها مشدوهة : - عن مستر كارى ؟

- عنه وعن مسز ليدنر ؟

- حسنا . قلت انهما غير متفقين .

- ولكن ما كانت أشد دهشتى عندما قهقهت ضاحكة وقالت :

- غير متفقين . ما أغباك ! انه كان غارقا فى حبها حتى اذنيه . وقد عذبه حبه هذا كل العذاب لانه يحب ليدنر كذلك . انه صديق حميم لليدنر منذ سنوات ، ولم يرق لها ذلك وأرادت أن توقع بينهما .

وأظن انها تمادت هذه المرة والواقع ان كارى جذاب جدا . وهى باردة جدا ولكننى أظن أن برودها هذا ذاب أمامه .

صحت : - هذا افتراء مشين . ان احدهما كان لا يكاد يخاطب الآخر .

تحولت الى وقالت : - حقا ؟ انك لا تفهمين شيئا . كانا يتظاهران فى البيت بأنهما لا يتفقان ولكنهما كانا يلتقيان فى الخارج . انها كانت تذهب للنزهة حتى النهر ويغادر هو الحفائر فى نفس الوقت ويغيب ساعة فى كل مرة . وقد اعتادا على اللقاء بين الأشجار والنخيل .

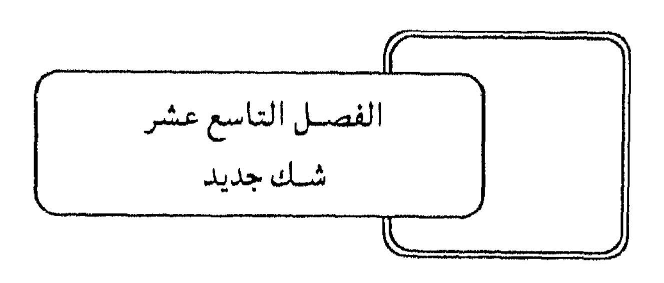
وقد رأيته مرة يغادرها ويعود الى الحفائر ووقفت هى تشيعه بنظراتها وكنت على مسافة بعيدة منهما ولكن كان معى منظار مكبر ونظرت الى وجهها فى تلك الساعة وما رأيته عليه لاكبر دليل على حبها له

ونظرت الى بوارو وقالت : - التمس المعذرة اذا كنت قد تدخلت فى عملك ، ولكن خيل لى انك قد تحب أن تعرف اللون المحلى .

وغادرت الغرفة . وصحت أقول : - مستر بوارو . اننى لا أصدق كلمة واحدة من كل هذا .

نظر الى وابتسم وقال : - لا يمكنك الانكار يا آنسة أن مس ريلى قد ألقت بعض الضوء على القضية .

* * *



الفصـل التاسع عشر
شـك جديد

لم نسطع أن نقول المزيد ، فقد أقبل الدكتور ريلى فى هذه اللحظة .

واشترك الطبيب والمخبر السرى فى حديث طبى عن الحالة النفسية التى يشعر بها كاتب رسائل للتهديد . وذكر الدكتور ريلى بضع حالات عرضت ـ فى حياته الطبية كما روى بوارو بعض القضايا التى من هذا النوع والتى تمكن من جلاء غوامضها .

واختتم كلامه قائلا : - هذا أبسط مما نعتقده عادة فان الجانى يتصرف حبا فى السيطرة أو مدفوعا بمركب النقص .

قال الدكتور ريلى موافقا : - ولهذا السبب يكون كاتب رسائل التهديد هو آخر شخص نشتبه فيه عادة ... مثال ذلك فتاة سالمة وادعة لا تفكر فى ايذاء ذبابة ... فتاة تقطر رقة فى الظاهر ولكنها تغلى بنار الحقد فى الداخل .

- هل تعنى أن تقول ان مسز ليدنر كانت تعانى من مركب النقص ؟

أفرغ الدكتور ليدنر غليونه ثم قال - انها آخر امرأة على الأرض أعزو اليها هذا الضعف ، فهى لا تعرف معنى الكبح أو الكبت وكل ماتتوق اليه هو أن تنعم بالحياة .

- نفسيا ، هل كان بمقدورها أن تكتب هذه الخطابات لنفسها ؟

- أظن ذلك . ولكن اذا كانت قد فعلت فعلى غرض أن تجعل من نفسها بطلة مأساوية . كانت مسز ليدنر تعتبر نفسها كما لو كانت نجمه سينما ... وكان لابد لها أن تكون دائما فى الصف الأول ، تحت أضواء الكشافات ... وتبعا لقانون المتناقضات فقد تزوجت الدكتور ليدنر ، أهدأ الرجال وأكثرهم تواضعا كما أعلم ..وكان يعبدها . ولكن العبادة الصامتة لم تكن تكفى زوجته ... أرادت قبل كل شئ أن تقوم بدور

البطلة المضطهدة .

قال بوارو وهو يبتسم : - ويقول آخر فأنت تستبعد نظرية الزوج القائمة على أن زوجته كتبت لنفسها هذه الرسائل على غير وعى منها .

- آه . كلا . ولكننى لم أشأ ان أذكرها أمامه فليس من اللياقة أن تقول لرجل فقد زوجته العزيزة لتوه ان هذه الزوجة بالذات كانت كاذبة وقحة وأنها أوشكت أن تورده موارد الجنون ارضاء لغريزتها الدرامية .

- أرجو أن تصارحنى يا دكتور ريلى عن رأيك فى مسز ليدنر .

اضطجع الطبيب فى مقعده الى الخلف وأخذ نفسا من غليونه وقال : -

- اذا أردت الصراحة فانّ سؤالك يحرجنى ، فاننى لم أعرف هذه المرأة كثيرا ، كانت ذات سحر لا يقاوم وتتمتع بذكاء كبير وبصيرة عجيبة . لم تكن شهوانية ولا خاملة ولا مغرورة ، ولكننى كنت أعتبرها دائما كذابة كبيرة على الرغم من اننى لم أكن أملك الدليل على ذلك . واننى لأتساءل هل كانت تكذب على نفسها أيضا أو أنها كانت تكتفى بالكذب على الغير ، وأنا نفسى أميل الى الكاذبات فان المرأة التى لا تكذب لا تعرف الخيال ولا الحب . ولا أعتقد حقا انها كانت صائدة رجال ولكنها كانت تستمتع كثيرا بأن تراهم يركعون عند قدميها . واذا أنت تكلمت مع ابنتى فى هذا الأمر ...

قاطعه بوارو وهو يبتسم : - كان لى هذا الشرف

قال الدكتور ريلى : آه ... انها لم تضيع الوقت . وأظن أنها قد رمتها بكل النقائص . أن شباب اليوم لا يكنون أى احترام للموتى ومن مبادئة إدانة الكبار ومط القانون ولو أنه كان لمسز ليدنر أكثر من علاقة لحبذتها شيلا ولقالت أنه يجب أن تحيا حياتها أو أن تطيع غرائزها . والشئ الذى لم تره ابنتى هو أن مسز ليدنر كانت تتصرف التصرف الصحيح ككل امرأة فى مكانها . ان القطة تطيع غريزتها عندما

تلعب مع الفار فهكذا الحياة . والرجال ليسوا أطفالا لكى نحميهم من دهاء النساء ومكرهن فان عاجلا وأن آجلا سوف يلتقون بنساء ماجنات أو مستبدات لا يتركن لهم لحظة واحدة من الأمن والراحة . أن الحياة ميدان نضال وليست ساحة لهو ولعب . واننى لأحب أن أرى شيلا تهبط من عليائها وتعترف بكل صراحة بأنها كانت تكره مسز ليدنر لأسباب خاصة . فان شيلا هى الفتاة الوحيدة فى هذا المكان . وهى تتصور طبعا أن كل الشباب يجب أن يتهافت عليها وان يركع عند قدميها .

وأنه ليغبضها طبعا أن ترى امرأة فى منتصف العمر تزوجت مرتين تنازلها وتقهرها فى ميدانها هى بالذات . وشيلا فتاة جميلة تتدفق صحة وحيوية وتتمتع بالفتنة والجاذبية التى تأسر الشبان ولكن مسز ليدنر كانت تملك ذلك الجمال الطاغى الذى يستحوذ على القلوب .

أجفلت فى مقعدى ... من الصدف الغريبة أن يقول ذلك . وقال بوارو :

- هل تشعر ابنتك ... اذا لم أكن متطفلا ... بشئ من الحب لأحد شبان البعثة .

- أوه . لا أظن ذلك . لقد راقصها كولمان وأيموت طبعا . ولا أدرى الى أى منهما تميل أكثر . ثم أن هناك اثنين من الطيارين ، وطلاب الزواج كثيرون وما عليها الا الاختيار ، ولكننى أعتقد أن الذى يغضبها هو أن ترى امرأة فى خريف عمرها تهزمها مع أنها فى ريعان الصبا ... انها لم تعرك الحياة بعد كما عركتها أنا ، فان الرجل حين يبلغ سنى يروق له أن يرى بشرة طالبة وعينا مشرقة وجسما بضا ولكن المرأة التى تتجاوز الثلاثين تعرف كيف تصغى فى اهتمام تلقى بكلمة هنا وكلمة هناك بحيث تجعل من تتحدث اليه يشعر بقيمته . ورجال قلائل هم الذين يقاومون ذلك وشيلا فتاة جميلة ولكن لويز ليدنر جميلة جدا ذات عينين واسعتين وشعر ذهبى .. نعم ، كانت امرأة جميلة جدا .

قلت فى نفسى : - نعم ، انه على حق . ان الجمال شئ جميل وقد كانت مسز

ليدنر جميلة جدا ... ليس من ذلك الجمال الذى يغار المرء منه ولكنه من ذلك النوع الذى يروق للانسان أن يتأمله وقد شعرت بذلك فى أول يوم أقبلت فيه وأحسست بأننى لن أتردد فى أن أبذل كل ما أستطيع فى سبيل هذه المرأة .

ومع ذلك فاننى فى تلك الليلة ، وأنا فى طريقى الى تل يارمجا ، وكان الدكتور قد استبقانى لتناول العشاء عاد الى ذهنى شئ أو شيئان جعلان أشعر بالاستياء ، فاننى لم أعبأ بأقوال شيلا الجارحة وهى تتدفق من فمها واعتبرت أنها نطقت بها بدافع الحقد والخبث .

ولكننى تذكرت الآن أن مسز ليدنر قد أصرت على أن تخرج وحدها بعد ظهر أحد الأيام وأنها رفضت صحبتى لها . وعلى الرغم منى تساءلت اذا لم تكن قد ذهبت فى ذلك اليوم لملاقاة مستر كارى فان الأدب المفرط الذى كانا يتظاهران به كان شيئا غريبا حقا خاصة وأن أغلب الموجودين كانوا يتحدثون فى الفة ومودة ويخاطب بعضهم البعض بأسمائهم المجردة .

وتذكرت أنه كان يتجنب النظر اليها دائما وقد يكون ذلك لأنه لا يميل اليها وقد يكون العكس .

حاولت أن أقصى هذه الأفكار عن ذهنى .. ها أنذا الآن أحشو رأسى بكل شئ... كل هذا بسبب غضبة فتاة . وأدركت كم من المآسى والأضرار يمكن أن تقع بسبب مثل هذه الاشاعات الكاذبة .

لم نكن مسز ليدنر من هذا النوع أبدا .

لم تشعر طبعا بأى ميل نحو شيلا ريلى . بل أنها فى ذلك اليوم ألمحت بتلك اللمحات لمستر أيموت أثناء الغداء .

وقد نظر الشاب اليها نظرة غريبة لا يمكن أن يدرك المرء معناها أو مغزاها . لم أدر أبدا ماذا يدور بخاطره فقد كان بادى الهدوء والأدب .

أما مستر كولمان فكان شابا طائشا حقا .

بلغت هذا الحد من أفكارى عندما وصلنا الى تل يارمجا ، وكانت الساعة التاسعة تماما . وكان الباب العمومى مغلقا بالمفتاح وأسرع ابراهيم وفى يده مفتاح ضخم ليفتح لى .

وكان الجميع يأوون الى مخادعهم مبكرين فى تل يارمجا . ولم يكن هناك أى نور فى غرفة المعيشة ولكن النور كان يسطع فى غرفة المهندسين وفى مكتب الدكتور ليدنر . وفيما عدا الغرفتين كانت جميع النوافذ تسبح فى ظلام تام .

وأثناء مرورى بغرفة الرسم فى طريقى الى غرفتى القيت نظرة الى داخلها فرأيت مستر كارى جالسا يدرس رسما كروكيا وقد خلع جاكتته .

وبدا أنه مريض جدا ومتعب ومتوتر . وأحسست بغصة . كان من المستحيل تحليل مشاعر كارى ... لم يكن من الممكن الحكم عليه من كلماته لأنه كان نادرا ما يتكلم . ومع ذلك فقد كان يفرض نفسه بمجرد الاحساس بوجوده .

وأدار رأسه ورآنى فأخرج غليونه من فمه وقال : - حسنا أيتها الممرضة ؟ ... هل عدت من الحسينية .

- نعم يا مستر كارى . انك تعمل الى وقت متأخر . يبدو أن الجميع أووا الى مخادعهم .

قال : - ظننت أنه يجب أن أستمر فى عملى خاصة واننى تأخرت فيه قليلا . سنستأنف الحفر غدا .

صحت أقول وقد صدمت فى شعورى : - هكذا سريعا !

نظر الى نظرة غريبة وقال : - هذا أحسن ما يمكن عمله . وقد تكلمت فى ذلك مع ليدنر . أنه سيذهب غدا الى الحسينية لبعض الاجراءات .

أما نحن فسنستأنف حياتنا العادية فما الجدوى من البقاء لكى ينظر كل منا الى

الآخر .

كان هذا رأيا حكيما حقا ، اذا أخذنا فى الاعتبار انفعال الجميع .

قلت : - انك على حق من ناحية ، فان العمل سيجعلكم تنسون كل شئ .

وكنت أعرف أن الجنازة بعد غد .

وغرق فى عمله من جديد ، ولا أدرى كيف أفسر الأمر ولكننى أحسست بانقباض وأنا أنظر الى هذا الرجل ، فقد كنت واثقة أنه لن يغمض له جفن فى تلك الليلة .

وقلت مترددة : - اذا أردت أن آتيك بأقراص منومة يا مستر كارى ...

ولكنه هز رأسه وقال وهو يبتسم : - شكرا لك يا آنسة . أننى أستطيع الاستغناء عنها . ان الحبوب المنومة عادة قبيحة .

- حسنا . طابت لبلتك يا مستر كارى ... اذا كان هناك ما أستطيع أن أؤديه لك؟ ..

أوه ، شكرا لك يا آنسة ... طابت ليلتك .

قلت فى شئ من التهور تقريبا : آسفة حدا ..

نظر الى مشدوها وقال : آسفة ؟

- نعم . اننى آسفة من أحل الجميع انه لأمر فظيع ولا سيما لك أنت

لى أنا ؟ . ولماذا ؟

أوه .. لأنك صديق حميم لمسر لبدنر وزوجته

اننى صديق حميم لمستر لبدنر ، ولم أكن كذلك لمسز ليدنر على الخصوص .

وكانت لهجته تنم الى أنه لم يكن يشعر بأى ميل اليها وتمنيت فى تلك اللحظة لو أن شيلا ريلى قد سمعته .

وقلت ثانية : - طابت ليلتك .

ثم أسرعت الى غرفتى .

وقبل أن أنضو عنى ثيابى قمت بأعمال كثيرة فغسلت بعض مناديلى وقفازى ثم عكفت على تدوين يومياتى وعندما قررت أن أنام ألقيت نظرة من خلال الباب الى الفناء . كانت الأنوار لا تزال تسطع فى غرفة المهندسين وفى الجناح الجنوبى .

لم يكن هناك ريب فى أن الدكتور ليدنر لا يزال عاكفا على العمل فى مكتبه .

وترددت فى أن أذهب اليه وأتمنى له ليلة طيبة فاننى لم أكن أريد أن أبدو كما ولو كنت فضولية . لعله مشغول ولا يريد أن يزعجه أحد وأخيرا قادتنى قدماى رغما عنى... ليس فى ذهابى أى ضرر على كل حال . سأتمنى له ليلة طيبة وأسأله ان كنت أستطيع أن أقدم اليه آية خدمة .

ولكن الدكتور ليدنر لم يكن فى مكتبه . كانت الغرفة مضاءة ولم يكن بها أحد غير مس جونسون ، وكانت تضع رأسها فوق المنضدة وكانت تبكى أمر بكاء .

ازعجنى منظرها ، فقد كانت امرأة هادئة متزنة وقد رثيت لها عندئذ وسألتها وأنا ألقى بيدى على كتفها :

- ما الخبر ؟ ان البكاء لا يجدى أبدا لا يجب أن تجلسى وتبكى هكذا .

لم ترد على ولكن نحيبها ازداد بصورة غريبة فتوسلت اليها قائلة :

- لا تبكى . تشجعى . سأعد لك فنجانا من الشاى الساخن .

رفعت رأسها وقالت : - كلا . كلا . اننى على ما يرام أيتها الممرضة اننى أتصرف تصرف الحمقى .

- ما الذى يزعجك هكذا ؟

لم تجبنى على الفور ثم قالت : - كلا هذا فظيع

قلت : - لا تفكرى فى ذلك الأمر بعد . ان ما حدث قد حدث ولا يمكن اصلاحه ، لا جدوى من البكاء .

اعتدلت فى جلستها وساوت شعرها وقالت : - اعرف اننى تصرفت تصرفا أحمق .

كنت أقوم بترتيب المكتب وتنظيفه لأشغل نفسي واذا بنوبة من البكاء تأخذني فجأة .

أسرعت أقول : - نعم .. نعم . انني أفهم . اذهبي الى فراشك وسأتيك بكوب من الشاي وزجاجة من الماء الساخن .

وقالت وهي في فراشها ومعها كوب الشاي : -

أشكرك أيتها الممرضة . انك امرأة رقيقة رقيقة . النادر جدا أن انهار هكذا .

أوه . ان هذا ليحدث لكل امرئ في مثل هذه الظروف ... الانفعال والتعب ورجال البوليس هنا وهناك وفي كل مكان . انني أشعر أنا نفسي انني لست في حالتي العادية .

قالت في بطء وبلهجة عادية : - ان ما حدث قد حدث ولا يمكن اصلاحه كما قلت أنت منذ لحظة .

وسكتت دقيقة أو دقيقتين ثم قالت : - انها لم تكن امرأة طيبة أبدا .

ولم أناقشها في هذه النقطة ، فقد كنت أعرف العداء الذي كان بينهما .

ولعل مس جونسون كانت مغتبطة في قرارة نفسها لموت مسز ليدنر ، ولعلها أحست بالخجل لشعورها هذا .

وقلت : يمكنك أن تنامي الآن وأن تطرحي عن ذهنك كل شئ .

والتقطت بعض الأشياء وأعدت النظام الى الغرفه وألقيت جوربها على مسند أحد المقاعد وعلقت ثيابها على المشجب . ولم ألبث أن رأيت قصاصة صغيرة من الورق على الأرض وكانت مجعدة وظننت أنها وقعت من جيبها .

والتقطتها وهممت بأن أبسطها لكي أرى ان كان من الأوفق ان ألقي بها عندما سمعتها تقول فجأة :

- اعطيني هذه .

واجفلت ازاء لهجتها وأعطيتها الورقة وأخذتها مني في لهفة وعرضتها لنار

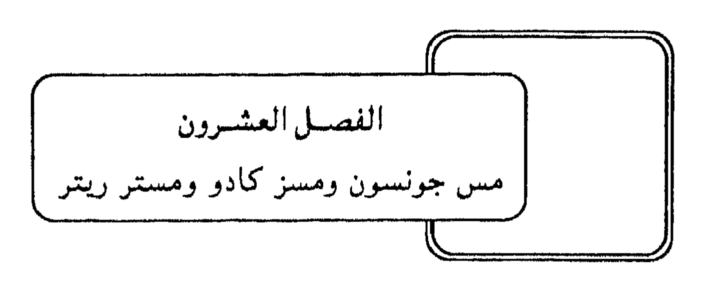
الشمعة لكى تحرقها .

ونظرت اليها فى شئ من الحيرة . كانت قد فاجأتنى بلهجتها الآمرة فلم أجد الوقت الكافى لكى أقرأ ما بها ولكن الورقة توارت تحت تأثير النار واستطعت أن أرى بعض الكلمات المكتوبة بالحبر .

وعندما استلقيت فوق فراشى أدركت لماذا بدا لى خطها مألوفا فقد كان يشبه بصورة غريبة خط رسائل التهديد .

فهل كتبت مس جونسون رسائل التهديد ؟

* * *



الفصل العشرون
مس جونسون ومسز كادو ومستر ريتر

صدمتنى هذه الفكرة صدمة شديدة فلم أكن قد ربطت فى ذهنى ابدا بين رسائل التهديد وبين مس جونسون . لعلنى ربطت بينها وبين مسز مركادو . أما مس جونسون فقد كانت سيدة مهذبة ورزينة لا يمكن أن تقدم على عمل كهذا .

ولكننى لم ألبث أن تذكرت الحديث الذى دار أمامى فى تلك الليلة بالذات بين الدكتور ريلى ومستر بوارو وتفتحت أمامى آفاق جديدة .

فلو أن مس جونسون هى التى كتبت هذه الرسائل فان أشياء كثيرة تتضح عندئذ ويصبح لها معنى .

ولم يخطر ببالى ، ولو لمجرد لحظة أن لمس جونسون دخلا فى جريمة القتل ولكننى أدركت أن كراهيتها لمسز ليدنر ربما دفعتها الى مثل هذا العمل لافزاعها وابعادها عن الحفائر .

ولكن مسز ليدنر قتلت وأحست مس جونسون عندئذ بتكبيت الضمير خاصة عندما رأت ان القاتل اتخذ تلك الرسائل ستارا له ، ولا عجب فى انهيارها هذا ، ورحت أتقلب فى فراشى وأنا اتساءل عما يجب أن أفعل وأخيرا عقدت النية على أن اطلع مستر بوارو على الأمر فى أول فرصة .

وأقبل فى اليوم التالى ولكننى لم أجد الفرصة لكى أتحدث معه على انفراد .

وعندما سنحت لى الفرصة أخيرا همس فى اذنى قبل أن استطيع النطق بكلمة واحدة :

سأتحدث مع مس جونسون فى غرفة المعيشة ... هل معك مفتاح غرفة مسز

ليدنر ؟

- نعم .

- حسن جدا . اذهبى اليها واغلقى الباب خلفك ثم اطلقى صيحة . لا أعني صرخة حادة وانما مجرد صيحة خافتة بعيدة عن الفزع والذعر .. واذا حدث وسمعك أحد فاعتذرى بأنك .. تعثرت فى شئ ما .

وفى هذه اللحظة بالذات جاءت مس جونسون الى الفناء فلم أجد متسعا من الوقت لكى أروى له قصتى .

وعرفت على الفور ماذا يدور فى ذهن بوارو . وما أن مضى الى غرفة المعيشة وبرفقته مس جونسون حتى ذهبت الى غرفة مسز ليدنر وأغلقت الباب على .

وقد استسخفت نفسى بعض الشئ عندما وجدت نفسى وحدى فى تلك الغرفه أطلق صيحة لا يبررها أي شئ . زد على ذلك أننى لم أدر كيف أحدد فوه هذه الصيحة، ومهما يكن فاننى أطلقت صيحة خافتة ثم أتبعتها بأخرى مرتفعه ثم بثالثة أكثر خفوتا ثم خرجت .

ولكن لحسن الحظ لم يكن هناك أي داع لمثل هذا التفسير ، ووجدت بوارو ومس جونسون منهمكين فى حديث حاد يبدو أن أحدا لم يقطعه عليهما . وسمعت بوارو يقول:

- ان الموقف دقيق جدا ... من الواضح أن الدكتور ليدنر كان يحب زوجته .

أجابت مس حونسون : - أنه كان يعبدها .

- وهو يؤكد أن كل أعضاء البعثة كانوا يعبدونها هم الآخرون . وهم أنفسهم يقولون ذلك طبعا ولكن بدافع الأدب واللياقة .. ومن الجائز أن تكون هذه هى الحقيقة ومن الجائز الا تكون كذلك . وأنا على يقين يا آنسة أن مفتاح الجريمة يكمن فى فهمنا لطباع مسز ليدنر ، ولو استطعت أن أعرف رأى كل فرد من أفراد البعثة عنها فقد

استطيع أن أبنى لها صورة فى مخيلتى والواقع أننى أتيت اليوم لهذا الغرض فاننى علمت أن الدكتور ليدنر قد ذهب الى الحسينية واننى سأستطيع عندئذ أن أتحدث الى كل منكم وأنشد مساعدتكم .

قالت مس جونسون : - ان فكرتك لا بأس بها ولكن ...

قاطعها بوارو قائلا : - دعك من هذه الكليشهات الانجليزية ولا تتذرعى بهذه الحجة التى تقول أنه لا ينبغى أن نتحدث بسوء عن الموتى . تكلمى بكل صراحة واعلمى أننا ازاء جريمة قتل وأن الوفاء لذكرى القتيل يضر بالحقيقة كل الضرر .

قالت مس جونسون فى جفاء : - لا شئ يرغمنى على الوفاء لذكرى مس ليدنر ولكن الدكتور ليدنر شئ آخر ومهما يكن من أمر فانها كانت زوجته .

- هذا صحيح . اننى أفهم أنك لا تريدين التحدث بسوء عن زوجة رئيسك ولكن الأمر يتعلق بجريمة قتل غامضة واذا حاول أحد اقناعى بأن القتيل كانت ملاكا فان ذلك لن يزيد تحرياتى الا تعقيدا .

قالت مس جونسون فى لهجة مريرة : - اننى لن أدعوها على كل حال ملاكا .

- صارحينى برأيك فى مسز ليدنر كامرأة .

- دعنى أقل لك يا مستر بوارو قبل كل شئ اننى امرأة متحيزة فاننى ... بل اننا جميعا شديدو الاخلاص للدكتور ليدنر ، وأظن أننا أحسسنا بالغيرة عندما أقبلت مسز ليدنر ، وساءنا أن تستأثر بوقته واهتمامه واحنقنا حبه لها ، اننى امرأة صريحة يا مستر بوارو ويشق على أن أقول ذلك . ساءنى وجودها بيننا ولكننى أخفيت شعورى . ان وجودها قد أحدث شقاقا بيننا .

- بيننا ؟ ... من تعنين ؟

- أعنى مستر كارى . فأنا وهو من أقدم أعضاء البعثة وكنا نعيش سعداء قبل أن تأتى . كنا نلهو ونضحك ونتبادل النكات .وكان الدكتور ليدنر شديد المرح كالأطفال .

- وعندما جاءت مسز ليدنر تغير كل هذا ؟

- حسنا . اننى لا ألقى عليها أية مسئولية وأرجو أن تعلم يا مستر بوارو أنها لم ترتكب ذنبا . كانت ظريفة ورقيقة دائما معى والحق اننى أشعر بالخجل فى بعض الأحيان ، وليس الخطأ خطأها اذا كانت كلماتها أو أعمالها قد أغضبتنى فالواقع أننى لم أجد فى حياتى من هى أظرف منها .

- ومع ذلك فان وجودها هذه السنة أحدث تغييرا كبيرا .

- كل التغيير . وبدون سبب واضح . فان كل شئ يسير من سئ الى أسوأ ... لا أعنى العمل . وانما علاقاتنا بعضنا ببعض وقد تملكنا الانفعال وأصبحنا نحس كما لو أننا نعيش فى خوف من هبوب العاصفة .

- وعزوتم كل هذا الى نفوذ مسز ليدنر ؟

- حسنا . لم يكن الأمر كذلك قبل قدومها .. أوه ، اننى امرأة سيئة الطباع متذمرة محافظة أحب أن يظل كل شئ على حاله فأرجو ألا تعير أقوالى أى اهتمام يا مستر بوارو .

- هل لك أن تحدثينى عن أخلاق وطباع مسز ليدنر ؟

ترددت مس جونسون قليلا ثم قالت فى بطء : - كانت امرأة غريبة الأطوار طبعا متقلبة تعاملك برقة ورفق فى يوم ثم تتغير معاملتها لك فى اليوم التالى ولكنها كانت فى قرارة نفسها طيبة ودودة ومجاملة للآخرين . ولكن كان من الواضح أنها عاشت حياتها مدللة . وبدا لها اهتمام الدكتور ليدنر أمرا طبيعيا ولا أعتقد أنها قدرت زوجها حق قدره فى يوم من الأيام . وقد أحزننى ذلك كل الحزن . ثم أنها كانت عصبية جدا تتصور وتتوهم أشياء لا وجود لها . وقد شعرت بالارتياح عندما أتى الدكتور ليدنر بالممرضة ليذيران فلم يكن بمقدوره أن يهتم فى الوقت واحد بعمله وتهدئة روع زوجته .

- ما رأيك فى رسائل التهديد التى جاءتها ؟

ولم أستطع مقاومة الفضول فانحنيت الى الامام لكى أتبين ملامح مس جونسون وهى ترد على بوارو . وأجابت تقول فى هدوء تام :

- أظن أن شخصا فى أمريكا كان يحقد عليها ويحاول اخافتها وافزاعها ، فقد كانت امرأة جميلة ومن السهل أن يكون لها بعض الأعداء. وأظن أن رسائل التهديد كتبتها غريمة لها ولما كانت مسز ليدنر عصبية الطباع فقد أخذت هذه الرسائل مأخذ الجد .

- هذا جائز ولكن لا تنسى أن الرسالة الأخيرة لم تأت عن طريق البريد .

- هذا أمر من اليسير تنفيذه فان المرأة التى تدفعها الغيرة لا تقف امامها اية عقبة.

- لعلك على حق يا آنسة . كانت مسز ليدنر جميلة كما تقولين ، وبهذه المناسبة هل تعرفين مس ريلى ، ابنة الدكتور ؟

- شيلا ريلى ؟ ... نعم طبعا .

قال بوارو بلهجة من يكتشف سرا : - سمعت ان هناك مودة بينها وبين أحد أعضاء البعثة . وانا لا أريد أن أسأل الدكتور طبعا فهل هذا حقيقى ؟

أجابت مس جونسون ضاحكة : - أوه ... راقصها كولمان ودافيد إيموت مرارا . وهما يتنافسان ويحاول كل منهما أن يسبق الآخر ليظفر براقصتها كل ليلة سبت فى نادى الحسينية . ولا أظن أنها تهتم بأى منهما فهى الفتاة الوحيدة فى المكان ، ثم ضباط معسكر الطيران يتنافساون للحظوة براقصتها .

- اذن فهذه الشائعات لا أساس لها .

قالت مس جونسون فى تفكير : - لا أدرى . صحيح انها تأتى الى الحفائر فى بعض الأحيان . وقد داعبت مسز ليدنر دافيد أيموت منذ أيام وقالت ان الفتاة تطارده

. وهى دعابة سمجة ترق للشاب المسكين نعم ، انها تأتى الى الحفائر كثيرا وقد رأيتها على صهوة جوادها فى اليوم الذى وقعت فيه الجريمة ولكن لم يكن دافيد ولا كولمان يعملان فى الحفائر فى دلك اليوم فقد كان ريتشارد كارى يشرف على العمال ... نعم لعلها تميل الى أحد الشابين ولكنها فتاة فى مقتبل العمر لا يمكن أن يعرف أحد حقيقة مشاعرها ولا أدرى الى أى منهما تميل أكثر ولكن بيل شاب ممتاز وغير غبى كما يتظاهر ودافيد أيموت وسيم وشهم ورزين .

ونظرت الى بوارو فى فضول واستطردت : - ولكن ما علاقة كل هذا بجريمة القتل يا مستر بوارو ؟

ورفع مستر بوارو يديه فى الفضاء بطريقة فرنسية وقال : - اننى أشعر بالخجل يا آنسة فأنت تظنين اننى ثرثار ولكننى أحب أن أسمع دائما قصص غرام الشباب .

أطلقت مس جونسون تنهيدة خفيفة وقالت : - أن قصص الغرام جميلة خاصة اذا لم يعكره شئ .

أجابها بوارو بتنهيدة أخرى وتساءلت اذا لم تكن مس جونسون تجتر فى ذهنها ذكرياتها عن حب غير سعيد واذا لم يكن لمستر بوارو.زوجة وعشيقة كما يشاع عن الأجانب . لكن منظره بدأ الى مضحكا بحيث استبعدت ذلك .

ونهض واقفا وقال : - هل بالبيت أحد آخر من أعضاء البعثة ؟

- ان مارى مركادو موجودة اما الرجال فقد ذهبوا الى الحفائر اليوم .

وأظن انهم أرادوا الابتعاد عن البيت ولا ألومهم على ذلك واذا أردت أن تذهب الى الحفائر ...

وجاءت الى الشرفة وخاطبتنى مبتسمة : - فان مس ليذيران لن تمانع فى اصطحابك الى هناك .

قلت : - أوه . طبعا يا آنسة .

- ثم تعود بعد ذلك لتناول طعام الغداء معنا ؟ اليس كذلك ؟
- شكرا يا آنسة .
وعادت مس جونسون الى غرفة المعيشة لاستئناف عملها . وقلت أخاطب بوارو :-
- ان مسز مركادو على السطح فهل تحب أن تتحدث اليها قبل أن تخرج ؟
- ولم لا . هلمى بنا اليها .
وقلت ونحن نصعد السلم : - انني نفذت تعليماتك ، فهل سمعت شيئا ؟
- أبدا .
- هذا يخفف ضمير مس جونسون المسكينة . فقد خشيت ألا تكون قد قامت بما يجب عندما سمعت تلك الصيحة .
كانت مسز مركادو فوق السطح ورأسها مائل الى الامام وقد استغرقت فى لجة عميقة من الأحلام وعندما وقف بوارو امامها وحياها رفعت رأسها اليه فى ذعر وقد لاحظت انها كانت متغيرة السحنة ، وحول عينيها هالتان داكنتان . وقال بوارو :
- أتيتك اليوم فى أمر خاص .
وذكر لها نفس الحديث الذى ذكره لمس جونسون مبينا لها ان من الضرورى أن تصارحه برأيها لكى يرسم فى ذهنه صورة صحيحة لمسز ليدنر . ولكن مسز مركادو لم تكن نتحلى بصراحة مس جونسون فراحت تطرى مسز ليدنر وتسهب فى مدحها وهو أمر لم أكن أتوقعه منها فقد قالت :
- هذه العزيزة لويزا .. من العسير وصفها لشخص لم يعرفها ... كانت امرأة .. غريبة الأطوار جدا .. لا مثيل لها . ولاريب انك أحسست بهذا الاحساس انت أيضا أيتها الممرضة . كانت عبدة لأعصابها ونزواتها ولكننا كنا نحتملها عن طيب قلب ونغفر لها كل شئ . كانت ظريفة معنا جميعا . أليس كذلك أيتها الممرضة ؟ ومتواضعة .. تساعد زوجى ومس جونسون فى أعمالها أوه ... كنا نحبها جميعا .

- ليس صحيحا اذن ما سمعته ياسيدتى من انه كأن يسود البيت جو من التوتر والضيق ؟

اتسعت عينا مسز مركادو وهتفت : - أوه ... من قال لك هذا ؟ ... اهى أنت أيتها الممرضة ؟ ... أو لعله الدكتور ليدنر ؟ ... اننى واثقة ان ذلك الرجل المسكين لم يكن ليلحظ أى شئ .

ورمتنى بنظرة شذراء ولكن بوارو ابتسم وقال : - ان لى جواسيس يا سيدتى .

وقلت أخاطب بوارو بعد أن خرجنا من البيت ومضينا فى طريقنا الى الحفائر :

- ان هذه المرأة أكبر كذابة التقيت بها فى حياتى . اننى واثقة انها كانت تكره مسز ليدنر كل الكراهية .

- هذه امرأة لا يمكن الركون الى شهادتها .

- انك فقدت وقتك فى استجوابها .

- أبدا ... أبدا ... اذا كذبت شفتا امرأة فغالبا ما تقول عيناها الحقيقة . من أى شئ تخاف مسز مركادو ؟ ... اننى رأيت الذعر فى عينيها مما يدل على انها تخشى شيئا ما . وان هذه المرأة تهمنى كثيرا .

- لدى ما أريد أن أخبرك به يا مستر بوارو .

وذكرت له الأحداث الذى تلت عودتى مساء أمس وقلت له اننى أشك كثيرا فى أن مس جونسون هى كاتبة رسائل التهديد . وعقبت أقول :

- وهذه امرأة اخرى كذابة وقد ردت على أسئلتك بخصوص هذه الرسائل بكل جرأة.

قال بوارو : - نعم وكانت أقوالها ممتعة ، لأننى تبينت منها انها كانت تعرف كل شئ عن هذه الرسائل مع أن أحدا من أعضاء البعثة لم يكن يعرف عنها شيئا . صحيح انه يجوز أن يكون الدكتور ليدنر قد حدثها عنها أمس فهما صديقان حميمان ولكن اذا

لم يكن قد حدثها عن هذه الرسائل ... فان الأمر يكون شديد الغرابة عندئذ ، أليس كذلك ؟

زاد تقديرى لهذا الرجل العجيب ، فقد كان من الذكاء بحيث حملها على أن تحدثه عن الرسائل وسألته قائلة :

- هل ستسألها فى هذا الصدد ؟

ولكنه هز رأسه وأجاب : - كلا . ليس من الحكمة أن يكشف أحد عن أوراقه . اننى احتفظ بكل شئ هنا حتى آخر لحظة .

وضرب بيده على جبينه ثم استطرد : - وفى اللحظة المناسبة هجم كالفهد وأشيع الفزع حولى .

ولم يسعنى الا أن أضحك بينى وبين نفسى فلم أستطع أن أتصور مستر بوارو فى دور الفهد وكنا قد بلغنا الحفائر فى هذه اللحظة . ووقع نظرنا على مستر ريتر وكان منهمكا فى تصوير بعض الجدران المتداعية . وبعد أن فرغ من التقاط ما يريد من صور تقدم بوارو اليه وألقى عليه بضعة أسئلة فنية عن التصوير أسرع الشاب يرد عليها فى سرور وحماس وقد أسعده أن يجد أن هناك من يهتم بعمله .

وعندما هم أن يعتذر لكى يغادرنا تكلم بوارو عن الموضوع الذى جاء من أجله وقد جاءت أسئلته ارتجالا ولكنها كانت تدل كلها على ذكاء كبير ولا أرى أى داع لنقلها حرفيا . وقال مستر ريتر يرد على أحد أسئلته :

- نعم . نعم . اننى أفهم ما تعنيه . ولكننى لا أرى حتى كيف أستطيع مساعدتك هذا أول موسم لى هنا ولم أتحدث كثيرا مع مسز ليدنر .

وتبينت فى لهجته شيئا من الحياء . وقال بوارو وهو يبتسم :

- يمكنك أن تقول لى على الأقل هل كنت تميل اليها أو تكرهها ؟

اصطبغ وجه مستر ريتر وتمتم : - كانت امرأة ظريفة وذكية جدا كانت حاضرة

الذهن دائما .

- حسنا . كنت تميل اليها اذن ؟ ... وهى ... هل كانت تميل اليك ؟

ازداد احمرار لون مستر ريتر وقال : - أوه ... لا أظن انها اهتمت بى أقل . أردت أن أؤدى لها خدمة مرة أو مرتين ولكننى أخفقت . وأخشى أن أكون قد ضايقتها بحماقتى ، ومع ذلك فلم أكن أقصد الا مجاملتها .

رثى بوارو لتخبط الشاب وقال : - حسنا . حسنا . لننتقل الى شئ آخر ... هل كان جو البيت سعيدا ؟

- عفوا ؟ ...

- هل كنتم سعداء . جميعا ؟ هل كنتم تضحكون وتتحدثون ؟

- كلا . ليس تماما ... كان هناك شئ من التوتر :

وأمسك وبدا أنه يقاوم نفسه وأخيرا قال : - انا خجول وارتبك سريعا ولا تروق لى حياة المجتمعات . وكان الدكتور ليدنر ظريفا معى دائما ولكننى لم أستطع التغلب على خجلى وكنت أنطق دائما بما لا يجب النطق به ... اننى سئ الحظ .

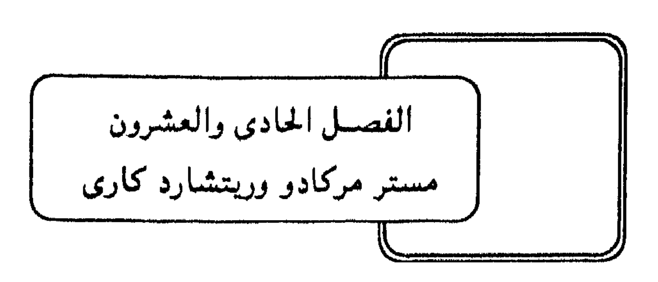
وبدا مرتبكا حقا . وقال بوارو : - كان هذا شأننا جميعا ونحن شباب . أما الاتزان واللباقة الاجتماعية فيأتيان فيما بعد .

ثم حياه وغادرناه . وقال بوارو ونحن فى الطريق :

هذا الشاب اما أنه ساذج جدا أو أنه ممثل من الدرجة الأولى .

لم اجبه فقد غرقت فى لجة من الافكار . وقد خطر لى أن واحدا من افراد البعثة قاتل جرئ وبدا لى أن مثل هذا الامر فى مثل هذا اليوم الجميل مستحيل .

***



الفصـل الحادى والعشرون
مستر مركادو وريتشارد كارى

قال بوارو وهو يتوقف :- أرى أنهم يحفرون فى مكانين مختلفين .

كان مستر ريتر قد التقط صورة فى آخر الحفريات العمومية وعلى بعد مسافة منا كانت هناك جماعة أخرى من الرجال يأتون ويذهبون حاملين سلالهم وقلت :-

- هذه هى الحفريات الرئيسية ولايستخرجون منها شيئا يذكر فيما عدا أجزاء من الفخار لاتصلح الا للرمى ولكن الدكتور ليدنر يؤكد أن لها قيمة كبيرة . ولاريب أنه على حق .

- هلمى بنا اليها اذن .

ورحنا نتقدم فى بطء لأن أشعة الشمس كانت حادة . كان مستر مركادو يشرف على العمل . ورأيناه وهو يتحدث مع رئيس العمال . وهو رجل مسن له بشرة مجعدة كجلد السلحفاة ويلبس معطفا من الجوخ فوق جلباب من القطن المخطط .

وسألنى بوارو ونحن نمضى اليه :- هل مستر مركادو أيمن أم أعسر ؟

ويالة من سؤال غريب ، .. وفكرت لحظة ثم أجبت :- أيمن .

ولم يتنازل بوارو ويوضح لى قصده من هذا السؤال واستمر فى طريقه .

وبدا أن مستر مركادو اغتبط برؤيتنا فقد انبسطت أساريره وتظاهر مستر بوارو بأنه يهتم بالآثار فراح الشاب يحدثه عن الحفائر بيده الى أجزاء الفخار . وكانت يده تهتز حتى خيل لى أنه مصاب بالملاريا . وفجأة وفيما هو ينحنى لكى يلتقط سكينا من الصوان من بين بعض أجزاء الفخار قفز صارخا وتحول فرآنى أنظر اليه أنا وبوارو مشدوهين فقال :

- شئ شكنى .... كما لو كان ابرة ساخنة .

وعلى الفور اشتعل بوارو حماسا وقال :- اسرع ياسيدى العزيز .. أرنى أين هذا.. آنسة ليذيران .

وأسرعت إليه . وأمسك بوارو بذراع مستر مركادو ورفع كم القميص الكاكى حتى كتفه . وقبل الكتف بنحو ثلاث بوصات كانت هناك نقطة دم . وقال بوارو وهو يفحص كم القميص المرفوع :-

- هذا غريب . اننى لاأرى شيئا . لاريب أنها نملة .

- من الاوفق أن أضع قليلا من اليود عليها .

وأنا أحمل معى دائما اصبعا من اليود فأخرجته من حقيبتى ووضعته على مكان اللسعة ولكننى كنت شاردة الذهن وأنا أقوم بذلك فقد رأيت شيئا أثار اهتمامى . كان بذراع مستر مركادو ابتداء من الساعد حتى المرفق علامات صغيرة ، وعرفت فى هذه العلامات آثار حقن تحت الجلد .

خفض مستر مركادو كمه واستأنفت توضيحاته . وأصغى مستر بوارو اليه ولكنه لم يحاول ادارة دفة الحديث حول آل ليدنر بل أنه لم يلق أى سؤال على مستر مركادو .

ولم نلبث أن ودعناه من حيث أتينا . وسألنى صديقى :

- كان عملا بارعا .. أليس كذلك ؟

سألته :- بارعا ؟

أخذ مستر بوارو شيئا من طية چاكتته ونظر اليه فى شغف . ولدهشتى رأيت فى يده ابرة للرفو ثبتت فى آخرها قطعة من الشمع الأحمر كأنها دبوس فصحت :

- مستر بوارو ... هل أنت الذى شككته ؟

- نعم . وكنت جد حريص فلم يلحظ ذلك . بل أنك أنت نفسك لم ترى شيئا .

وكان هذا صحيحا فلم أره وكذلك لم يشك مركادو فيه ، ولاريب أنه كان أسرع من

البرق فى حركته .

وقلت :- ولكن لماذا يامستر بوارو ؟

- ألم تلحظى شيئا ؟

- بلى . آثار حقن تحت الجلد .

- اننا نعرف اذن شيئا بخصوص مستر مركادو . كنت اشتبه فيه .. ولكن من غير أن أعرف ومن الخير دائما أن يعرف الانسان ...

وضرب جبينه بيده وقال :- آه .. أن منديلى وقع منى هناك . وقد أخفيت فيه الدبوس .

قلت وأنا أستدير :- سأذهب لأبحث لك عنه .

وغلبنى طبعى ونظرت الى بوارو كما لو كان هو الطبيب وكما لو كنت أنا ممرضته أشرف على عملية جراحية خطيرة . والواقع أننا كنا إزاء عملية ، وكان بوارو هو الجراح وأظن أنه لايجب أن أبوح بذلك ولكن الأمر بدأ يروق لى .

وعندما عثرت على المنديل وعدت إليه لم أره فى بداية الأمر ولكننى لم ألبث أن لمحته واقفا على مسافة يتحدث مع مستر كارى وشعرت بشئ من التردد لأننى لم أدر اذا كان بوارو يريدنى بجواره أو اذا كان قد أرسلنى لآتيه بمنديله على غرض اقصائى عنه لبضع دقائق :

ولم أتصور طبعا ان مستر بوارو قد أرسلنى للبحث عن منديله لكى يمنعنى من الاصغاء الى حديثه مع مستر كارى . ولعله حسب أن هذا الأخير سيتكلم بحرية أكثر بعيدا عنى . ولهذا انعطفت الى طريق مختصر يؤدى الى ربوة عالية على بعد خطوات منهما اخفتنى عن نظريهما . وسمعت بوارو يقول :

- أعرف أن الدكتور ليدنر كان يحب زوجته الى حد العبادة ، ولكن يحدث أحيانا أن نعلم عن الشخص من أعدائه أكثر مما نعلمه عنه من أصدقائه .

قال كارى فى سخرية :- أنت تهتم اذن بعيوب الشخص أكثر من اهتمامك بفضائله ؟

- هو ذلك ، عندما يكون فى الأمر جريمة قتل ، فبقدر ماأعلم لم يسبق أن لقى أحد مصرعه قتلا لأنه فاضل .

قال مستر كارى :- أخشى أننى لاأستطيع أن أفيدك . وبكل صراحة لم أكن أميل لمسز ليدنر ولم تكن هى تميل الىّ وليس معنى هذا أننا كنا عدوين ولكننا لم نكن صديقين حميمين . وربما كانت مسز ليدنر تغار منى للصداقة الوطيدة التى تربطنى بزوجها . وأنا نفسى ، على الرغم من اعجابى بجمالها كنت أحقد عليهاالتأثيرها على ليدنر . وكانت النتيجة أن راح كل منا يعامل الآخر بكل أدب ولكن بدون ود .

قال بوارو :- ياله من تفسير رائع .

ولم أكن أرى منهما غير رأسيهما وقد لاحظت أن مستر كارى أدار رأسه نحو بوارو فجأة كما لو كانت لهجته قد ساءته . واستطرد بوارو يقول :

- ألم تؤثر هذه الجفوة التى كانت بينك وبين مسز ليدنر فى علاقتك بزوجها ؟

تردد كارى لحظة طويله قبل أن يجيب :- الواقع اننى لست واثقا . لم يقل الدكتور شيئا أبدا وظننت أنه لم يلحظ أى شئ . لم يكن يشغله شئ آخر غير عمله .

- معنى هذا أنك لم تكن تحب مسز ليدنر حقا ؟

هز كارى كتفيه وقال :- لعلنى كنت أحبها أكثر لو أنها لم تكن زوجة ليدنر .

وضحك كما لو أن كلماته هذه أطربته وقال بوارو فى لهجة حالمة :

- أننى استجوبت مس جونسون صباح اليوم ، وقد اعترفت لى أنها متحيزة ضد مسز ليدنر وأنها لم تكن تحبها كثيرا وأن كانت قد أسرعت تقول أن مسز ليدنر كانت ظريفة معها .

قال كارى :- هذا صحيح .

- وقد صدقتها . ثم تكلمت بعد ذلك مع مسز مركادو فقالت أنها كانت تحب مسز ليدنر كثيرا وأن هذه الأخيرة كانت تبادلها هذا الحب .

لم يجب كارى . وبعد دقيقة أو دقيقتين من الصمت عاد بوارو يقول :-

- ولم أصدقها . ثم جئت إليك .. وماقلته لى أنت الآن ... حسنا . أننى لاأصدق كلمة واحدة منه .

تورط كارى . وتبينت نبرة الغضب فى صوته وهو يقول :- لاحيلة لى فيما تصدقه أو لاتصدقه يامستر بوارو . اننى ذكرت لك الحقيقة فصدقها أو لاتصدقها فان الأمر سيان .

لم يغضب بوارو وتكلم فى اكتئاب وخضوع فقال : ليست غلطتى اذا كنت أصدقك ولكن لى اذنا حساسة جدا ، ثم أن هناك بعض الشائعات التى تدور ولايسع المرء الا أن يصغى إليها وأن يتوهم أشياء ... نعم ، هناك شائعات ....

قفز كارى على قدميه ، ورأيت من مكانى الدم يصعد الى وجنتيه . وكان وسيما حقا ببشرته الملوحة وفكه المربع الذى يدل على مدى مايتمتع به من ارادة وعزيمة . ليس من العجيب أن يغزو قلب النساء .

صاح يقول محنقا :- اية شائعات ؟

رماه بوارو بنظرة جانبية وقال :- ولكنك تعرف تماما .. الشائعات العادية بخصوصك أنت ومسز ليدنر .

- حقا أن للناس نفوسا سوداء .

- اليس كذلك ؟ .. أنهم كالكلاب ينبشون كل الاقذار لكى يقتاتوا منها .

- وهل تصدق هذه الشائعات ؟

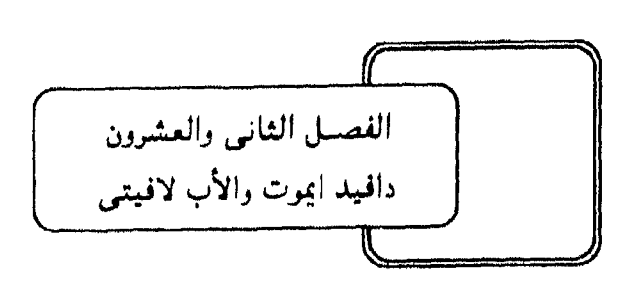
قال بوارو :- لا أريد الا التأكيد .. من الحقيقة .

ضحك كارى فى قحه وقال :- لاأظنك تتبين الحقيقة اذا سمعتها ...

قال بوارو وهو يراقبه :- يمكنك أن تجربنى .

- سأفعل . سأذكر لك الحقيقة .. أننى كنت أمقت لويز .. هذه هى الحقيقة التى تبحث عنها .. كنت أمقتها كل المقت .

***



الفصل الثانى والعشرون
دافيد ايموت والأب لافيتى

تحول كارى فجأة وابتعد فى خطوات كبيرة . وتابعه بوارو بعينيه وهو يتمتم : -

- نعم ... اننى أفهم .

وبدون أن يلتفت قال وهو يرفع صوته قليلا : - انتظرى لحظة قبل أن تخرجى من مخبئك يا مس ليذيران ، فقد يلتفت ... فات الخطر الآن . هل معك منديلى ؟ شكرا لك .

ولم يقل شيئا بخصوص اصغائى الى حديثهما ، ولا أدرى كيف عرف أننى كنت أصغى اليهما فلم ينظر الى ناحيتى أبدا . وقد أحسست بالارتياح لأنه لم يتكلم وسألته أقول : -

هل تظن انه كان يمقتها حقا يا مستر بوارو ؟

أومأ برأسه فى بطء وقد ارتسمت فى عينيه نظرة غريبة وقال : - نعم ... أظن ذلك .

ثم نهض فجأة ومضى الى حيث يعمل الحفارون . وتبعته . ولم نر فى بادئ الأمر الا بعض الأعراب ثم اكتشفنا مستر أيموت ، وكان منحنيا فوق هيكل عظمى استخرج لتوه من باطن الأرض وقد راح يزيل عنه الأتربة التى تغطيه .

واستقبلنا بابتسامته الحلوة الهادئة وقال : - هل أتيتما لزيارة الحفائر ؟ ... لحظة واحدة وأخلو لكما .

واعتدل وأخذ سكينا وبدا يحك التراب الملتصق بالعظام وينفخه بعيدا من وقت لآخر . ورأيت أن هذه الطريقة غير صحيحة فقلت له :

- مستر أيموت ... انك ستبتلع كثيرا من التراب العفن بهذه الطريقة .

فأجابنى : - ان التراب العفن جزء من غذائى اليومى . ان الجراثيم لاتأثير لها على المشتغلين بالآثار .

ونظف عضم الفخذ قليلا ثم أصدر تعليماته لرئيس العمال وقال :

- فى مقدور ريتر أن يلتقط صورة لهذه السيدة بعد الغداء . انها اصطحبت معها ذكريات جميلة فى مقبرتها .

وأرانى قدحا من النحاس تغطية طبقة من الصدأ ، وبعض الدبابيس وبقايا ذهب وأحجار زرقاء كانت فيما مضى عقدا ، وبعد أن أزيلت عنها ما يعلوها من أقذار وضعت فى مكان استعداد لتصويرها وقال بوارو :

- من كانت هذه ؟

- انها تنتمى الى القرون العشرة الاولى ، ولاريب انها كانت من طبقة سامية . وشكل الجمجمة غريب يدل على انها لقيت مصرعها بضربة عنيفة . سأطلب الى مركادو أن يفحصها .

- نسخة أخرى من مسز ليدنر منذ ألفى سنة ؟

- من يدرى ؟

كان بيل كولمان يهوى بفأس فى يده على أحد الجدران فخاطبه دافيد أيموت ببضع كلمات لم أفهمها ثم رافق مستر بوارو الى الحفائر .

وبعد أن انتهت هذه الزيارة نظر أيموت الى ساعته وقال : - اننا سنغادر الحفائر بعد عشر دقائق فهل تريد أن نعود الى البيت الآن ؟

وأجابه بوارو : كما تشاء .

وأخذنا نسير فى خطوات بطيئة وقال بوارو : - لاريب انكم سعداء باستئنافكم العمل .

أجابه بوقاره المصطنع : - نعم . كان هذا أفضل شئ لو أننا بقينا فى البيت لتملكنا الضجر ولضاقت بنا سبل الحديث .

- خاصة وانكم تعلمون أن بينكم قاتلا ؟

ولم يضطرب أيموت وأدركت عندئذ انه اشتبه فى هذه الحقيقة منذ البداية ، وبعد لحظات قال فى صوت هادئ :

- هل تتقدم فى تحرياتك يا مستر بوارو ؟

فأجابه بوارو : - هل يمكنك أن تساعدنى فى أبحاثى ؟

- بكل سرور .

- ان مسز ليدنر هى محور القضية ... أريد أن أستعلم عنها .

قال دافيد أيموت فى بطء : - ما الذى تريد أن تعرفه عنها ؟

- لا يهمنى أين ولدت ولا اسمها قبل أن تتزوج ولا شكل وجهها أو لون عينيها . اننى أريد أن أرسم صورة لها بالذات فى ذهنى .

- هل تظن ان لهذا أهمية فى تحقيقاتك ؟

- بكل تأكيد .

لزم أيموت الصمت لحظة ثم قال : - لعلك على حق .

وهز رأسه واستطرد يقول : - لا أدرى اذا كنت قد عرفتها على حقيقتها ... كانت غريبة الأطوار ... كانت تقدم على عمل خسيس ذات يوم ثم تقوم فى اليوم التالى بعمل كريم . وأظنك على حق وأنت تقول أنها محور القضية . وهذا ما أرادته دائما... كانت تريد أن تكون محور كل شئ . كان لابد لها من أن يهتم بها الجميع لا لكى يقدموا لها المحمرات والمشويات والزبدة فحسب ولكن لكى يقدموا لها عقولهم وقلوبهم على المكشوف أمامها .

سأله بوارو : واذا حدث ورفض أحد أن ينقاد لنزواتها .

- كانت تقدم على أشياء فظيعة وخبيثة عندئذ .

وضغط على شفتيه فقال بوارو : - مستر أيموت ... هل تقبل أن تقول لى بصفة سرية من الذى ارتكب الجريمة فى رأيك ؟

- لا أدرى ... وليست لدى أية فكرة . لو اننى كنت مكان كارل ... كارل ريتر لكنت قد تخلصت منها منذ وقت طويل ، فقد أساءت معاملته كثيرا . ولكن فيما بيننا لم يجد غير مايستحق فاننى لم ألتق حتى الآن برجل فى مثل سذاجته .

وكنا قد بلغنا البيت وعرض مستر أيموت على بوارو أن يمضى به الى غرفته لكى يغتسل .

أما أنا فقد أسرعت الى غرفتى .

وخرجت فى نفس الوقت الذى خرج فيه الرجلان تقريبا . وكنا نحن الثلاثة فى طريقنا الى غرفة الطعام عندما فتح الأب لافينى باب غرفته ودعا مستر بوارو الى الدخول .

وذهبت مع مستر أيموت الى غرفة الطعام ووجدنا بها مس جونسون ومسز مركادو ، وأقبل مستر مركادو بعد بعض دقائق ولم يلبث أن انضم الينا مستر ريتر ومستر كولمان.

وكنا قد جلسنا وأرسل مستر مركادو غلاما لكى يقول للأب لافينى أن الغداء قد أعد عندما صدرت صيحة خافتة حملتنا على أن نلتفت الى مصدرها .

ولاريب اننا كنا جميعا نعيش على أعصابنا لاننا اندفعنا واقفين وصاحت مس جونسون وقد اصفر لونها : - ما هذا ؟ ... ماذا حدث ثانية ؟

وحدقت مسز مركادو فيها وقالت : - ماذا دهاك يا عزيزتى ؟ انها ضوضاء فى الحقول .

ودخل بوارو والأب لافينى فى هذه اللحظة فقالت مس جونسون : - حسبنا ان أحدا

قد أصيب .

- معذرة يا آنسة انا المذنب كان الأب لافيني يوضح لي بعض النقوشات وأخذت واحدة ومضيت الى النافذة لكي أراها في وضوح عندما التوت قدمي . وكان الألم شديدا بحيث اطلقت صيحة .

قالت مسز مركادو : - حسبنا أن جريمة قتل أخرى قد ارتكبت في البيت .

أنبها زوجها قائلا : - ماري !

وأمام هذا التقريع اصطبغ لون مسز مركادو وجزت على شفتها السفلى وأسرعت مس جونسون فغيرت مجرى الحديث فتحدثت عن الحفائر وعن الأشياء العجيبة التي عثروا عليها .

وبعد أن فرغ الجميع من الغداء عاد الرجال الى الحفائر فيما عدا الأب لافيني الذي مضى ببوارو الى غرفة الآثار حيث تبعتهما . وكنت قد بدأت أعتاد على الأشياء الثمينة القيمة التي تمتلئ بها . وأحسست بشئ من الكبرياء عندما أخذ الأب لافيني كوب الذهب من فوق الرف وكأنه شئ من ممتلكاته الخاصة . وسمعت بوارو يقول :

- بالله ما أجمله ! ... يالروعة الفن !

وتدفقت الكلمات من بين شفتي الأب لافيني وراح يصف جمال الكوب . وقلت :-

- عجبا . لايوجد عليه أثر للشمع اليوم .

كرر الأب لافيني مشدوها : - شمع !

شرحت لهما سبب ملاحظتي فقال الأب لافيني : - آه . انني أفهم . كانت قطرة سالت من شمعة وانتقلنا من قطرة الشمع الى الزائر الليلي . وراح الرجلان يتكلمان باللغة الفرنسية واذ رأيت ذلك تركتهما وحدهما ومضيت الى غرفة المعيشة . كانت مسز مركادو ترفو بعض جوارب زوجها في حين راحت مسز جونسون تقرأ في كتاب .

وبعد لحظة خرج الأب لافيني وبوارو واعتذر الأول بأن لديه عملا ضروريا اما بوارو

فجلس على مقربة منا وقال :

- انه رجل يثير الاهتمام جدا .

ثم سأل اذا كان الأب لافينى قد قام بعمل كثير حتى الآن . وأجابته مس جونسون بأن المنقوشات التى اكتشفت حتى الآن قليلة ، وان الأب لافينى يقوم بنصيبه فى العمل فى الحفائر وانه يحرز تقدما كبيرا فى دراسة اللغة العربية .

وتحول الحديث بعد ذلك الى رقائق الشمع المضغوط ومضت مس جونسون الى دولاب وأتت بورقة مطبوعة بواسطة رقائق الشمع وبعض اللدائن .

ولاحظت أن بوارو كان طوال هذا الحديث يدير بين أصابعه كرة من اللدائن وسألها يقول :

- هل تستعملون كمية كبيرة من اللدائن يا آنسة ؟

- اننا نستعمل منها كمية لا بأس بها . ويخيل لى اننا استخدمنا كمية كبيرة منها فى هذه السنة ولكننى لا أعرف فى أى شئ . اننا استخدمنا نصف المخزون منها على كل حال .

- وأين هى ؟

- هنا فى هذا الدولاب .

وأعادت الورقة المطبوعة وأشارت الى رف فوقه لفافات من اللدائن والدوروفكس والعجائن الفوتوغرافية ومواد اخرى من هذا النوع . وانحنى بوارو وهو يقول :

- ما هذا ؟

وبسط يده نحو قاع الدولاب وتناول شيئا غريبا كان عبارة عن قناع رسمت عيناه وفمه بالحبر الأسود بصورة غير متقنة ودهن كله بمادة من البلاستيك . وصاحت مس جونسون :

- آه . هذه أول مرة أرى فيها هذا . كيف جاء هذا القناع الى هنا ؟ وما معناه ؟

- أن هذا الدولاب خير مكان لاخفائه يا آنسة . ولاريب ان الذى أخفاه لم يكن يتوقع أن نعثر عليه قبل وقت طويل . أما معناه فمن السهل أن نعرف ذلك أن هذا القناع هو الوجه الذى لا جسد له والذى رأته مسز ليدنر من خلال النافذة عندما بدأ الظلام يرخى سدوله .

أطلقت مسز مركادو صيحة ، وتمتمت مس جونسون وقد شحب لونها :

- لم يكن الأمر وهما اذن وانما دعابة فظيعة ... من الذى فعل ذلك ؟

مضى بوارو عابس الأسارير الى الغرفة المجاورة من غير أن يرد وأخذ صندوقا من الكرتون ووضع فيه القناع وهو يقول :

- سأريه الى البوليس .

وتمتمت مس جونسون : - هذا فظيع .

وصاحت مسز مركادو : - ألا يمكن أن يكون الباقى مخبوءا هنا ... ؟ لعل سلاح الجريمة ... الهراوة التى قتلوها بها ... ما تزال ملوثة بالدم ... أوه ... اننى خائفة... خائفة ...

امسكتها مس جونسون من كتفها وقالت : - هدئى من نفسك ... ها هو الدكتور ليدنر ... يجب أن نهون الأمر عليه .

والواقع أن السيارة أقبلت فى هذه اللحظة وهبط منها الدكتور ليدنر ، وكان التعب قد نال منه كل منال وبدا كأن العمر قد تقدم به حتى أصبح ضعف سنه وقال فى صوت هادئ

ستشيع الجنازة غدا فى الساعة الحادية عشرة وسيتلو الميجور دين الصلاة .

وتحول الى مس جونسون وسألها : - هل ستحضرينها يا آن ؟

- طبعا يا دكتور . سيحضرها الجميع .

ولم تزد ومع ذلك فقد نمت نظراتها عن المشاعر التى لا يمكن أن تبوح بها أمامنا

لأن ملامح الدكتور تلألأت بالود والفرح وقال :

- أى عزيزتى آن . انك تمديننى فى محنتى بعزاء وعون كبيرين ... أى صديقتى العزيزة المخلصة .

وألقى يده على ذراع مس جونسون . ورأيت الحمرة ترتفع الى وجهها وهى تقول بلهجتها العادية :

- أوه ... هذا أمر طبيعى يا دكتور .

وأضاء وجهها وأدركت أن مس جونسون سبحت فى أجواء السعادة في هذه اللحظة القصيرة .

وحيا الدكتور بوارو وسأله ان كان قد أحرز تقدما فى تحرياته .

ووقفت مس جونسون خلف الدكتور ليدنر وراحت تهز رأسها فى عنف وهى تنظر الى الصندوق الذى يمسكه بوارو فى يده .

كان يبدو أنها تتوسل الى المخبر المشهور فى اصرار بألا يشير الى القناع أمام الدكتور . كانت ترى وكنت على يقين من ذلك أن الدكتور قد تألم اليوم بما فيه الكفاية.

ولبى بوارو رغبتها قائلا : - أن هذا النوع من التحريات يسير ببطء يا سيدى .

وبعد بضع كلمات عادية استأذن فى الانصراف وتبعته حتى سيارته . وكنت أتوقع أن يصدر الى بعض التعليمات ولكن ما كانت أشد دهشتى عندما سمعته يقول لى :

- احرصى على نفسك يا ابنتى .

وأردف يقول فى بطء : - اننى أتساءل اذا كان من الحكمة ان أتركك هنا ؟

- يجب على كل حال أن أتحدث مع الدكتور ليدنر قبل أن أغادر البيت ولكننى أستطيع أن أؤجل هذا الحديث الى أن نفرغ من تشييع الجنازة .

وهز رأسه موافقا وقال : - ولا تحاولى فى انتظار ذلك أن تستقصى أى شئ . لا

تحاولى اظهار ذكائك .

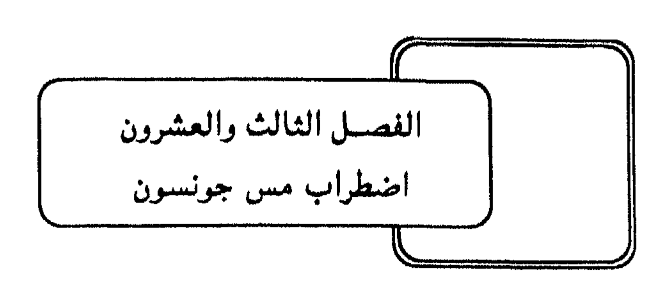
ثم غير مجرى الحديث فجأة فقال : - ان الأب لافينى ربما يثير الاهتمام حقا .

وقطب جبينه وتردد لحظة ثم قال : - تذكرى أنه من الذكاء بحيث يحملك على الادلاء بكل ما تعرفين اذا كان يريد أن يحذرنى من الثرثرة فان تحذيره هذا لم يكن له أى داع .

وصعد الى عربته وانطلق بها فى حين عدت الى البيت فى بطء وأنا أفكر فى أحداث اليوم .

رأيت آثار الحقن على ذراع مستر مركادو وتساءلت بأى نوع من المخدرات يحقن نفسه ثم رأيت ذلك القناع الأحمر الفظيع . ولم أفهم كيف لم يسمع بوارو ومس جونسون الصيحة التى أطلقتها فى غرفة المعيشة فى حين أننا سمعنا جميعا ونحن فى غرفة الطعام الصيحة التى أطلقها المخبر ؟ ... ومع ذلك فان غرفة الأب لافينى تبعد عن غرفة مسز ليدنر بنفس المسافة الموجودة بين غرفة المعيشة وغرفة الطعام .

***



الفصــل الثالث والعشرون
اضطراب مس جونسون

كانت الجنازة مؤثرة جدا حضرها كل أعضاء البعثة وكل الجالية الانجليزية وحضرتها شيلا ريلى نفسها ، وكانت ترتدى ثيابا سوداء ولعلها أحست بوخز الضمير على ما نطقت به فى حق مسز ليدنر .

وعندما عدت الى البيت دخلت مكتب الدكتور وحدثته عن رحيلى . وأظهر رقة كبيرة معى وشكرنى على كل ما بذلت مع أننى لم أبذل أى شئ تقريبا ، وأصر على أن ينقدنى مرتب أسبوع اضافى . وعندما قلت له أننى لا أريد شيئا واننى فشلت فى المهمة التى انتدبنى لها اعترض يقول فى اخلاص .

اطرحى هذه الفكرة عن رأسك يا آنسة . لم أكن أصدق أن زوجتى فى خطر وكنت أعتقد انها تشكو من أعصابها ومن أكتئاب نفسانى . ليس هناك ما تلامين عليه اطلاقا . أنها أحبتك ووثقت بك .

وكانت أيامها الأخيرة هادئة وسعيدة لوجودك معها . انك قمت بواجبك كممرضة خير قيام .

واضطرب صوته وقرأت ما يدور فى ذهنه . كان يلوم نفسه لأنه لم يصدق مخاوف زوجته وقلت أسأله :

- دكتور ليدنر ، هل استطعت أن تبنى لنفسك رأيا بخصوص رسائل التهديد ؟

- لا أدرى ماذا أعتقد ... وما رأى مستر بوارو ؟

أجبت دون أن أبتعد عن الحقيقة : - حتى أمس وقبل أن أتحدث اليه عن مس جونسون لم يكن قد انتهى الى رأى بعد .

ذلك أننى أردت أن أعرف مشاعره وأحاسيسه اذا ما علم أن مس جونسون هى كاتبة رسائل التهديد . وكنت قد لحظت بالأمس الود المشترك بينه وبين سكرتيرته ، وكنت قد نسيت مسألة الرسائل ، وحتى الآن أحسست بأن من الخسة أن أتكلم عنها . فحتى اذا فرضنا أنها هى التى كتبت تلك الرسائل حقا فقد بكتها ضميرها بما يكفى .

ومع ذلك فقد أردت أن أعرف اذا كان مثل هذا الشك قد ساوره ، فقلت : -

- ان رسائل التهديد تقدم عليها النساء عادة .

- اننى أشاطرك هذا الرأى ، ولكن هذه الرسائل بالذات كتبها فريدريك بوستر بنفسه . ومن السخف أن نعزوها الى أحد أعضاء البعثة . وليست هذه الا فكرة من بنات أفكار مستر بوارو ، والحقيقة أبسط من ذلك بكثير . من الواضح أن القاتل رجل مجنون أخذ يحوم حول تل يارمجا متنكرا فى صورة ما وأفلح فى دخول البيت فى ذلك اليوم ، ولاريب أنه رشا الخدم لكى يكذبوا . ومن السهل على مستر بوارو أن يشتبه فى أعضاء بعثتى . أما أنا فاننى متأكد أن أحدا منهم لم يتورط فى هذه المأساة . اننى أعمل معهم وأعرفهم بما فيه الكفاية .

وسكت فجأة ثم قال : - هل علمتك التجربة أن النساء هى التى تكتب رسائل التهديد عادة ؟

- ليس دائما . ولكن هناك نساء يدفعهم الحقد الى مثل هذا النوع من الانتقام .

- لاريب أنك تشيرين الى مسز مركادو .

وهز رأسه وقال : - حتى اذا كان قلبها من السواد بحيث تقدم على مثل هذا العمل البشع لأفتقرت الى الذكاء لكى تصل الى أغراضها .

قلت وأنا أراقبه :- هناك امرأة أخرى غير مسز مركادو وأعنى بها مس جونسون .

- ان مجرد الشك فيها لأمر مضحك .

وكان فى الابتسامة التى ارتسمت على شفتيه فصل الخطاب . لم يشك أبدا فى أن

مس جونسون هى التى كتبت تلك الرسائل . وأردت أن أتكلم ولكننى لم ألبث أن عدلت فقد كرهت أن أشى بامرأة من جنسى ثم أن مس جونسون بكتها ضميرها بما يكفى ولم يكن هناك داع لكى أعود الى الماضى وأزعج الدكتور ليدنر وأزيد أحزانه .

وتم الاتفاق بيننا على أن أرحل فى اليوم التالى . وكان الدكتور ليدنر من الرقة بحيث عرض على طاقم أدوات الزينة الخاصة بزوجته بصفة تذكار وأصر على أن أخذه على الرغم من اعتراضاتى . وقال : -

- ليس لها أقارب ، ولن يستعمل أحد بعدها هذه الأشياء .

وأدركت نفوره من أن يرى هذه الأشياء بين يدى مسز مركادو أو من اهدائها الى مس جونسون واستطرد يقول فى نفس اللهجة الرقيقة .

- فكرى فى الأمر . وبهذه المناسبة ، اليك مفتاح صندوق مجوهرات لويز . لعلك تجدين بينها شيئا يحلو لك . وأكون ممتنا لك لو أنك حزمت ثيابها . سيهديها الدكتور ريلى الى بعض العائلات الفقيرة بالحسينية .

وأسعدنى أن أؤدى له هذه الخدمة وبدأت العمل على الفور .

لم تكن مسز ليدنر قد جاءت الى تل يارمجا بالكثير فلم تمض الا دقائق معدودات حتى كنت قد فرغت من وضع حاجاتها فى حقيبتين . وكانت علبة المجوهرات لا تحتوى الا على بعض الحلى العادية : خاتم به لؤلؤة وبروش من الماس وعقد صغير من اللؤلؤ وحليتان من الذهب وعقد من حبات الكهرمان الضخمة .

ولم يكن فى نيتى طبعا أن آخذ شيئا من الحلى ولكننى ترددت بين عقد الكهرمان وطاقم الزينة وأخيرا لم أجد ما يمنع من أن آخذ الطاقم فقد أهدانيه الدكتور ليدنر بنفسه عن طيب خاطر .

وأغلقت الحقيبتين ثم ذهبت فحزمت حقائبى وشغلت نفسى بقية اليوم بأشياء أخرى.

وأبدى الأب لافينى أسفه لرحيلى ثم قال : - اننا لم نر مستر بوارو اليوم .

وأخبرته بأن المخبر يقضى وقته فى ارسال البرقيات فنظر الى مشدوها وقال : -

- برقيات ؟ ... الى أمريكا .

- أظن ذلك .. أنه قال لى " الى العالم كله " . ان هؤلاء الأجانب يبالغون كثيرا .

واصطبغ لونى عندئذ وقد تذكرت أن الأب لافينى رجل أجنبى هو الآخر .

وقابل هذه الملاحظة ضاحكا وسألنى ان كنت قد عرفت شيئا عن الرجل العراقى الأحوال فأجبته بالنفى .

وأراد الأب لافينى أن يعرف متى رأت مسز ليدنر ذلك الرجل العراقى بالضبط وقال فى تفكير :

- ان كل شئ يدل على أن ذلك الرجل كان شديد الاهتمام بمسز ليدنر . وقد تساءلت مرارا اذا لم يكن أوروبيا متنكرا فى هيئة رجل عراقى .

واطلعنى الأب لافينى على رغبته فى أن أذهب به الى المكان الذى كنا نقف فيه عندما رأيت أنا ومسز ليدنر ذلك الرجل وهو يقول :

- من يدرى ؟ لعل شيئا وقع منه . فى كل الروايات البوليسية يرتكب المجرم مثل هذه الحماقة .

وأخذت بعض الجوارب التى فرغت من رفوها ووضعتها على المنضدة بغرفة المعيشة ليأخذ كل واحد من أعضاء البعثة ما يخصه منها . واذ لم يكن لدى ما أفعله رأيت أن أصعد الى السطح .

وكانت مس جونسون واقفة فى السطح ولكنها لم ترنى . واقتربت منها دون أن تحس بى وما كدت أدنو منها حتى رأيتها فريسة لاضطراب شديد .

كانت واقفة فى منتصف السطح تحدق أمامها وقد تجسم القلق على ملامحها كما لو كانت قد رأت شيئا أبى ذكاؤها أن يقتنع به .

وأخذتنى الحيرة ولم أدر ما أفعله وتمتمت : - ما الخبر يا مس جونسون ؟

أدارت رأسها ونظرت الى فى شرود فعدت أقول : ما الخبر ؟

كشرت كما لو كانت تزدرد ريقها فى صعوبة وقالت فى صوت أجش : - اننى أدركت الآن شيئا ... أدركت كيف يمكن أن يدخل الانسان من الخارج من غير أن يراه أحد .

نظرت الى حيث تنظر ولكننى لم أر شيئا فيما عدا مستر ريتر وكان واقفا على عتبة غرفة التصوير ، والأب لافينى ، وكان يمشى فى الفناء .

وتحولت اليها وقد ازدادت حيرتى فاذا بها فى حالة قصوى من الاضطراب وقلت :

- الحق اننى لا أفهم ماذا تقصدين ؟ ... هلا أوضحت لى الأمر ؟

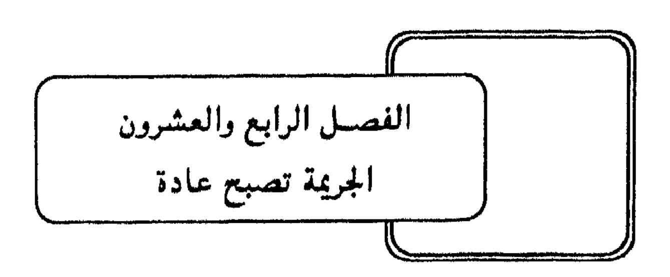
ولكنها هزت رأسها وقالت : - ليس الآن . فيما بعد أوه ... كان يجب أن نفكر فى ذلك .. كان يجب أن نفكر فيه .

وهزت رأسها مرة أخرى وقالت : - دعينى أفكر أولا .

ثم مرت أمامى وهبطت السلم ولم أتبعها وانما نظرت الى حيث كانت تنظر وحاولت أن أجلو سر هذه المعضلة ولكننى لم أفلح فلم يكن بالفناء غير باب واحد وأمام هذا الباب وقف السقا يثرثر مع الطاهى الهندى . وما كان فى استطاعة أى شخص أن يدخل من غير أن يراه أحد .

وهززت رأسى وقد زادت حيرتى وهبطت الى الفناء .

* * *



الفصل الرابع والعشرون
الجريمة تصبح عادة

أوينا الى مضاجعنا فى تلك الليلة مبكرين . وكانت مس جونسون قد تصرفت أثناء العشاء كالعادة ولكنها كانت زائغة العينين وبدت مرة أو مرتين كأنها لا تفهم ما يلقى عليها من أسئلة .

وكان الطعام قد خلا من المرح والحيوية ، وبدا الجو تماما كأول ليلة وصلت فيها . وران علينا الصمت وتملكنا الانفعال ، وانني لعلى يقين من أنه لو أن أحدا أفلت ملعقة من يده لصرخنا جميعا من الخوف والفزع .

ودب النوم الى أجفانى سريعا بعد انفعالات اليوم فنمت نوما عميقا ساعات طويلة، ولكننى لم ألبث أن سمعت شيئا فجلست فى فراشى أرهف السمع ولم ألبث أن سمعت نفس الشئ مرة أخرى .

كانت حشرجة انسان يحتضر .

أشعلت شمعة على الفور وخرجت من غرفتى ووقفت أصيخ السمع ، وتكرر الصوت بعد لحظة وكان صادرا من الغرفة التى بجوار غرفتى وهى غرفة مس جونسون .

أسرعت اليها فرأيتها راقدة على فراشها تتلوى من الألم . وألقيت الشمعة فوق المنضدة وانحنيت فوق المرأة . كانت شفتاها تتحركان فى محاولة للكلام ولكن لم يخرج منهما غير صوت مبحوح ولحظت عندئذ أن شفتيها وذقنها محروقة .

وانتقل بصرى من وجهها الى كوب ماء واقع على الأرض ، ولاريب أنه أفلت من يدها . وكان بالسجادة بقعة حمراء حيث وقع الكوب فالتقطته ولمست قاعه بأصبعى وما كدت أفعل حتى رفعت يدى على الفور وأنا أصرخ ثم فحصت بعد ذلك فم المرأة

المسكينة من الداخل .

لم يكن هناك أى شك .. فبطريقة ما سواء عن عمد شربت المرأة المسكينة جرعة من حمض الهيدروكلوريك وأسرعت إلى الدكتور ليدنر فأيقظته من نومه . وأيقظ هو الآخرين . وبذلنا جهدا مستميتا للعناية بالمرأة المسكينة ولكن خامرنى احساس بأن كل جهودنا لن تكون لها فائدة .. أعطيناها محلولا قويا من بيكربونات الصودا ثم جرعة كبيرة من زيت الزئبق وأعطيتها حقنة من المورفين لأخفف من الآمها .

وأسرع دافيد أيموت الى الحسينية ليأتى بالدكتور ريلى ، ولكن الموت رحمها فماتت قبل قدومه .

ولن أطيل فى ذكر تفاصيل هذه النكبة المفجعة واكتفى بأن أقول أن حمض الهيدروكلوريك قوى المفعول وأنه يتسبب فى موت أليم .

وعندما انحنيت فوقها لكى أعطيها حقنة المورفين بذلت جهدا كبيرا لكى تتكلم وأفلتت من بين شفتيها هذه الكلمات :

- النافذة ! ... النافذة أيتها الممرضة !

ولم تستطع أن تزيد وفقدت كل أدراك .

وستبقى أحداث الليلة محفورة فى ذهنى الى الأبد : قدوم الدكتور ريلى والكابتن ميتلاند وأخيرا قدوم هركيول بوارو مع الفجر .

وأخذنى من ذراعى فى رفق ومضى بى الى غرفة الطعام وأجبرنى على الجلوس وتناول فنجان من الشاى الساخن وهو يقول :

- اشربى يا ابنتى . ان الارهاق بلغ بك كل مبلغ . وانفجرت دموعى عندئذ وقلت منتحبة : - هذا فظيع جدا ... انى عشت الليلة كابوسا فظيعا ... وعيناها ... أوه ! مستر بوارو .. عيناها .

وربت بوارو على كتفى فى رفق وقال : - هونى عليك .

- كان ذلك حمضا كاويا ... لاريب من ذلك الذى يستخدمونه لتنظيف الفخار .

نعم . شربته مس جونسون قبل أن تستيقظ تماما ... هذا اذا لم تكن قد شربته عامدة .

- أوه يا مستر بوارو ... ماذا تقول ؟

- هذا جائز على كل حال ... ما رأيك ؟

فكرت لحظة ثم هززت رأسى وقلت : - لا أظن ذلك ... كلا ... يبدو لى أنها اكتشفت شيئا بعد ظهر أمس .

وأعدت عليه الحديث الذى تبادلته أمس أنا ومس جونسون فقال ؟

- يا للمرأة المسكينة ! قالت أنها تريد أن تفكر ؟ ... أنها حكمت على نفسها بالموت فى تلك اللحظة بالذات . أعيدى على الكلمات التى قالتها بالضبط .

وأطعته فاستطرد يقول عندئذ : - قالت أنها عرفت كيف يمكن للانسان أن يدخل من الخارج دون أن يراه أحد .

هلمى بنا الى السطح يا آنسة وأرينى المكان الذى كانت تقف فيه تماما .

وصعدنا معا وأريته المكان المذكور فقال : - هكذا ؟ ... ماذا أرى ؟ ... نصف الفناء والباب العمومى وأبواب غرفة المهندسين وغرفتى التصوير والمعمل . هل كان هناك أحد فى الفناء ؟

- كان الأب لافينى يتجه الى الباب العمومى ومستر ريتروواقفا على عتبة غرفته..

- لا أرى كيف يمكن لأى شخص أن يدخل من الباب من غير أن يراه أحد .

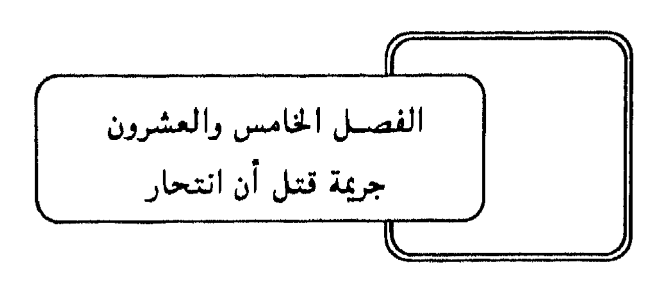
وهز رأسه فى قنوط وقال : - ترى ماذا رأت ؟

وأشرقت الشمس فى هذه اللحظة وكانت السماء من ناحية الشرق عبارة عن فيض من اللون الوردى والبرتقالى والرمادى واللؤلؤى ، وصاح بوارو فى صوت شاعرى :

- ما أجمل شروق الشمس !

وكان منظرا جميلا فعلا وفجأة أطلق بوارو تنهيدة وتمتم : -
- ما أغبانى ! .. ان الحقيقة ساطعة كالشمس !

* * *



لم يسعفنى الوقت لكى أسأل بوارو عما يقصده فقد أقبل الكابتن ميتلاند فى هذه اللحظة .

وخاطب المخبر قائلا : -

- اسمع يا بوراو . لقد زاد الأمر تعقيدا فقد اختفى الأب لافينى . لم يره أحد منذ وقت طويل وفراشه كما هو لم يمس فى الليلة الماضية ، ولم يترك خلفه أى أثر .

خيل لى أننى فى منام ... تسمم مس جونسون أولا ثم فرار الأب لافينى .

واستجوب الكابتن ميتلاند الخدم ، وأجمعوا كلهم على أن الأب لافينى لم يرقد فى فراشه فى الليلة الماضية وأنه قال لأحدهم فى نحو الساعة الثامنة مساء أنه خارج فى نزهة قصيرة قبل أن ينام ولم يره أحد بعد ذلك فهل ذهب يستقصى أمرا أم أنه لقى حتفه هو الآخر ؟

والتفت الكابتن ميتلاند فى اللحظة التى اقترب فيها الدكتور ريلى وبرفقته مستر مركادو وقال : -

- حسنا يا ريلى .. هل من جديد ؟

- اننى تحققت من الأمر مع مركادو . أنه حمض الكاورودريك فعلا وقد أتى مر المعمل .

- من المعمل ؟ ... هل كان الباب مغلقا بالمفتاح ؟

ليس من عادتنا أن نغلقه فان الجميع يدخلون ويخرجون ، وما كان ليخطر لأحد.

سأله الكابتن مقاطعا : - هل هناك ما يدل على ان الآنسة جونسون هى التى أخذت الحامض بنفسها ؟

صحت فى توكيد : - أنها لم تأخذه .

وشرحت له كيف صحوت من نومى وكيف وجدت مس جونسون فقال : -

- تقولين أن كوبا كان واقعا على الأرض ؟

- نعم . ولاريب أنه أفلت منها بعد أن شربت ما فيه .

- هل انكسر ؟

- كلا ، فقد وقع على السجادة .

وسألنى الكابتن ميتلاند : - هل تظنين أن مس جونسون شربت هذا الحامض بمحض اختيارها ؟

- أوه ، كلا . لم يخطر لى هذا الخاطر أبدا .

- الواقع أن الانسان لا يقدم على الانتحار بمثل هذه الوسيلة الا اذا دفعه اليأس الشديد الى ذلك .

سألته : - وهل كانت يائسة الى هذا الحد ؟

- هذا ما تدعية مسز مركادو ، فهى تقول أن مس جونسون كانت شديدة الاضطراب بالأمس وأنها كانت لا تكاد تفقه ما يقال لها . وهى تؤكد أن ذهنها كان مشغولا بأفكار سوداء وأنها كانت تفكر فى ذلك الوقت فى الانتحار .

قلت فى عنف : - لا أصدق كلمة واحدة من ذلك ومن رأيى أنها لقيت حتفها قتلا.

- وما الذى يحملك على هذا الظن ؟

أعدت عليه الحديث الذى جرى بيننا فوق السطح بالامس كلمة كلمة فقال : -

- رفضت أن تخبرك بما اكتشفته ؟

- نعم . قالت أنها تريد أن تفكر قبل أن تتكلم .

قال ميتلاند وهو فى حيرة من أمره : - كيف يمكن للانسان أن يدخل من الخارج دون أن يراه أحد ؟ ... ما رأيك يا مستر بوارو ؟ .

- رأيى أن فى هذه الكلمات يكمن الدافع للقتل .

تحول الكابتن ميتلاند الى وقال : - هل استطاعت أن تتكلم قبل أن تموت ؟

- نعم . نطقت بكلمة واحدة وهى " النافذة " .

- النافذة ، ... هل تعرفين ماذا تعنى بهذه الكلمة ؟

هززت رأسى سلبا فقال : - كم نافذة بغرفتها ؟

- نافذة واحدة تطل على الفناء . وقد فحصتها ولم أجد فيها شيئا غير عادى . وانتى اتساءل اذا لم يكن القاتل قد استبدل كوب الماء بكوب آخر به حامض الكلورودريك من النافذة ؟

- استبدل الكوب بكوب آخر ؟

- نعم . فقد كان من عادة مس جونسون أن تحتفظ بكوب من الماء على المنضدة التى بجوارها حتى اذا أرادت أن تشرب أثناء الليل لا تضطر الى مغادرة الفراش . واذا أراد أحد أن يمد يده من خلال قضبان النافذة من الخارج فانه يستطيع أن يصل الى هذا الكوب .

قال الكابتن ميتلاند : - سأعود لكى أفحص هذه النافذة . هل كان الباب مغلقا بالمفتاح ؟

- كلا .

- كان فى الاستطاعة اذن الوصول الى الكوب واستبداله بآخر عن طريق الباب ؟

- طبعا .

قال الدكتور ريلى : - ولكن فى دخول القاتل من الباب مجازفة كبيرة له فان

الشخص الغارق فى نوم عميق يستيقظ أحيانا عند أقل حركة .

وإذا كان القاتل قد ارتكب جريمته بأن مد ذارعه من النافذة فقد كانت هذه آمن وسيلة بالنسبة له .

قال ميتلاند فى شرود : - اننى لا أفكر فى الكوب فقط .

ثم تحول الى وقال : - حاولت هذه المرأة المسكينة اذن أن تقول لك أن بعضهم استبدل كوب الماء بكوب الحامض من النافذة ... لو أنها ذكرت لك اسم المجرم لكان ذلك أفضل .

تمتمت أقول : - لعلها لم تعرف شخصية زائرها الليلى .

- لعله كان من الأفضل أن تحاول أن تشرح لك ما اكتشفته بالأمس .

قال الدكتور ريلى : - ان الانسان عند دنو أجله يفقد كل ادراك ويبقى فى ذهنه شئ واحد يلح عليه . ولا ريب أن الشئ الذى ألح على مس جونسون هو تلك اليد التى رأتها من خلال النافذة . وربما بدا لها هذا الأمر على جانب من الأهمية بحيث أرادت أن يعرفه الجميع . ومن رأيى أنها كانت على حق فى ذلك فقد تمردت فوضع لها شخص الحامض فى الكوب لمجرد تفكير البعض فى أنها انتحرت ولو أنه كان فى استطاعتها أن تتكلم بسهولة قالت : - " اننى لم أنتحر ، ان شخصا آخر وضع الحامض بجوارى من خلال النافذة " .

راح الكابتن ميتلاند ينقر بأصبعه على المائدة بضع لحظات ثم قال : - هناك أمران لابد من مواجهتهما وهما أما أن تكون هذه جريمة قتل أو أن تكون انتحارا فما هو رأيك يا دكتور ليدنر ؟

فكر الدكتور ليدنر دقيقة ثم أجاب فى هدوء وبلهجة لا تقبل الجدل : - جريمة قتل فان مس جونسون ليست من النوع الذى يقدم على الانتحار .

قال الكابتن ميتلاند : - نعم .. ولكن هناك ظروفا خاصة يكون فيها الانتحار

امرا طبيعيا .

- أية ظروف ؟

انحنى الكابتن ميتلاند لكى يلتقط ربطة رأيته يضعها عند أسفل مقعده ووضعها على المائدة فى شئ من الجهد وقال :

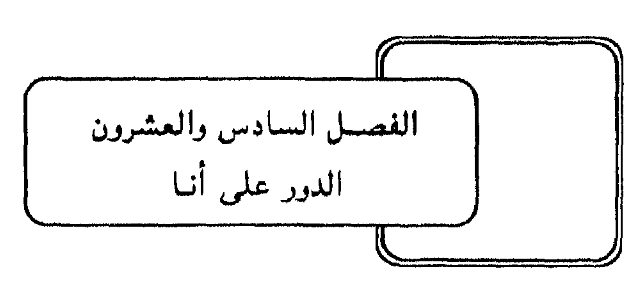
- لاريب أنكم لا تعرفون ما يوجد فى هذه الربطة ؟ . .اننا وجدناها تحت فراشها .

وفك الربطة وأزال الورق فظهرت أمام أعيننا مطحنة يوية ثقيلة .

كانت مطحنة عادية اكتشفنا عشرات مثلها أثناء الحفر ، ولكن كان على هذه المطحنة بالذات بقعة داكنة وبضع شعيرات ملتصقة بها أثارت اهتمامنا . وقال الكابتن:

- عليك أن تفحص هذه البقعة يا ريلى . ولكن بالنسبة لى فليس هناك أى شك . أن هذه المطحنة الثقيلة هى الأداة التى استخدمت فى قتل مسز ليدنر .

***



الفصل السادس والعشرون
الدور على أنا

كان منظرا فظيعا وأوشك الدكتور ليدنر ان ينهار وامتلأت نفسى بالتقزز .

وفحص الدكتور أداة القتل بفضول واهتمام وقال يسأل الكابتن ميتلاند :

- أليس عليها بصمات ؟

- كلا ،

أخذ الدكتور ملقطا وبدأ عمله قائلا : - آه . هذا جزء من لحم بشرى ... وشعر... أشقر ... أشقر . هذا هو الفحص الأولى ، وسأقوم على كل حال بتحليل لمعرفة فصيلة الدم . ولكن ليس هناك أى شك فى النتيجة . هل وجدتم هذه المطحنة تحت فراش مس جونسون ؟ ... وضح السر اذن . انها ارتكبت الجريمة ، ثم بكتها ضميرها فانتحرت... هذه نظرية معقولة .

وبدأ الحزن على الدكتور ليدنر فقال : - أوه ، كلا ... لا يمكن أن تكون آن قد ارتكبت هذه الجريمة .

قال الكابتن ميتلاند : - ولكن اين اختفت هذه المطحنة قبل ذلك ؟ اننا فتشنا كل الغرف بعد موت مسز ليدنر .

وقلت فى نفسى : - فى دولاب أدوات الطبع طبعا .

ولكننى لم أنطق بكلمة واستطرد الكابتن يقول : - على كل حال لم تطمئن مس جونسون فيما يتعلق بالمخبأ الأول فأخذت المطحنة الى غرفتها بعد ان فتشناها . أو لعلها وضعتها تحت فراشها بعد أن استقر عزمها على الانتحار .

صحت : - لا أعتقد ذلك .

لم أستطع ان أصدق ان مس جونسون الرقيقة تحطم رأس مسز ليدنر بهذه المطحنة... تمرد كياني كله لمجرد هذه الفكرة . ومع ذلك فقد تذكرت بعض الصدف الغريبة مثال ذلك دموعها في الليلة السابقة . وقد عزوت هذه الدموع الى وخز الضمير ولكنني لم أفكر في ذلك الوقت الا في التوافه التي ارتكبتها في معاملتها للفقيدة .

وقال الكابتن ميتلاند : - لا أدري ماذا أصدق ؟ يجب أن نجلو سر اختفاء الراهب الفرنسي كذلك . ان رجالي يفتشون المنطقة خشية من ان يكون بعضهم قد قتله وألقى به في احدى القنوات .

قلت : - آه . انني أتذكر الآن .

وتحول الجميع الى فاستطردت : - كان هذا أمس . سألني الأب لافيني عن الرجل الأحول الذي حاول اختلاس النظر من نافذة مسز ليدنر وأراد ان يعرف المكان الذي يقف فيه بالضبط وأردف يقول أنه سيذهب الى ذلك المكان لعل شيئا سقط من ذلك الرجل هناك .

قال الكابتن : - صدفة عجيبة ان يكتشف هو ومس جونسون في نفس الوقت أثرا قد يؤدي الى القاتل .

وأردف يقول محنقا : - الرجل الأحول ... لا أدري كيف فشل رجالي في العثور عليه . أجاب بوارو في هدوء : - لأنه ليس أحول بالطبع وأراهن أنه اجتاز الحدود السورية الآن .

- انني أخطرت تل كوتسيك ونقطة ابو كمال ... ومراكز الحدود كلها .

- لا ريب انه اتخذ الطرق الجبلية التي تتبعها سيارات التهريب .

زمجر الكابتن قائلا : - من الأوفق نبرق اذن الى دير الزور .

- انني أبرقت اليهم أمس واخطرتهم باحتجاز رجلين قد يحاولان المرور بسيارتهما ومعهما جوازان سليمان .

نظر الكابتن اليه وقال : - آه هل أبرقت اليهم بذلك ... أرى انك تعرف أشياء كثيرة تحتفظ بها سرا .

- أبدا . لم تتضح لى الحقيقة الا صباح اليوم وأنا أتأمل شروق الشمس .

ولم يكن أحد منا قد فطن الى وجود مسز مركادو بيننا . ولاريب انها جاءت عندما كنا مشغولين بأمر المطحنة ولم نشعر الا وهى تطلق صيحات هستيرية قائلة :

- يا الهى ! اننى أخمن كل شئ . اتضح الآن كل شئ . ان القاتل هو الأب لافينى . انه شيطان ... مجنون ... انه يعتقد ان كل النساء مخلوقات ملعونة ... يريد أن يقتلهن جميعا ... بدأ بمسز ليدنر ثم بمس جونسون ... والدور الآن على أنا .

واندفعت فى جنون نحو الدكتور ريلى وتشبثت به قائلة : - لا أريد البقاء هنا . لن أبقى يوما آخر ...

هناك خطر ... خطر فى البقاء ... ان المجنون يختبئ فى مكان ما ... سيهجم على ...

أمسك الدكتور ريلى بيدى المرأة محاولا تهدئتها ، وأسرعت أنا فصفعتها على وجهها مرتين ثم عاونتها على الجلوس فوق مقعد وقلت :

- لن يقتلك أحد . سنسهر عليك . الزمى الهدوء فوق هذا المقعد .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخلت شيلا ريلى واتجهت الى بوارو وخاطبته قائلة :

- ذهبت اليوم مبكرة الى مكتب البريد . وكانت هناك برقية باسمك وقد جئتك بها .

- شكرا لك يا آنسة .

وأخذ البرقية وقرأها فى صمت ثم دسها فى جيبه وسألته مسز مركادو وهى تكاد تختنق :

- من اين هذه البرقية ؟ ... اهى من أمريكا ؟

فهز رأسه وقال : - كلا ياسيدتى ... بل من تونس .

تأملته لحظة كما لو كانت لم تفهم ثم تنهدت واضطجعت فى مقعدها الى الخلف وقالت :

- الأب لافينى . كنت على حق . كنت أعلم ان هذا الرجل امره غريب . ذكر لى أشياء غريبة ذات مرة ... وأظن ان به مسا سألزم الهدوء ولكن لابد ان أغادر هذا المكان ... اننى أفضل أن أذهب أنا وجوزيف الى لندن .

قال بوارو : - صبرا ياسيدتى . سأفسر لكم كل شئ .

نظر الكابتن ميتلاند اليه متسائلا وقال : - أتظن انك حللت عقدة القضية ؟ ... اذا كان الأمر كذلك فتكلم يا سيدى .

تحول بوارو الى الدكتور ريلى وقال : - هلا تكرمت ودعوت الجميع ؟

وما هى الا لحظات حتى كان الجميع قد اتخذوا أماكنهم حول المائدة . وتردد بيل كولمان ودافيد أيموت والقى كل منهما نظرة الى شيلا ريلى . وكانت واقفة بجوار النافذة توليهما ظهرها .

وخاطبها بيل قائلا : - اتريدين مقعدا يا شيلا ؟

وقال دافيد بصوته الرقيق البطئ : - الا تريدين الجلوس ؟

وتحولت اليهما ونظرت اليهما . كان كل منهما يقدم لها مقعدا . وتساءلت أنا أى مقعد ستختار ولكنها اكتفت بأن قالت فجأة :

- شكرا . أفضل ان أجلس هنا .

وجلست على حافة المائدة بجوار النافذة وهى تقول : - هذا اذا لم يجد الكابتن مانعا ...

ولا أدرى ماذا كان الكابتن ينوى ان يقول لأن بوارو سبقه قائلا :

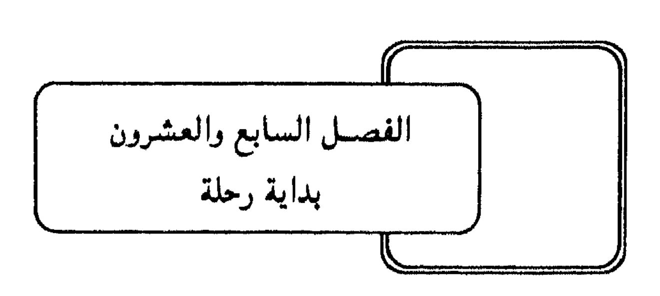
- أرجوك ان تبقى يا آنسة . ان من الضرورى ان تستمعى الى حديثنا لأن لدى

بضعة أسئلة أريد ان ألقيها عليك .

ونظر الينا الواحد بعد الآخر ثم نهض . وتوقعت منه كل شئ الا تلك الكلمات التى استهل بها حديثه فقد بدأ يقول :

- بسم الله الرحمن الرحيم ...

* * *



الفصـل السابع والعشرون
بداية رحلة

- بسم الله الرحمن الرحيم ... هذه هى العبارة التى يستخدمها العرب عند بداية كل رحلة وسنقوم برحلة الآن ...رحلة فى الماضى . فى أغوار النفس البشرية المجهولة .

" أحسست منذ البداية . اننى ، لكى أفهم هذه القضية جيدا ، لا يجب ان أهتم بالدلائل الظاهرية قدر اهتمامى بالأدلة الحقيقة التى تجسد تباين الأشخاص المقيمين هنا وأسرار قلوبهم .

" وعلى الرغم من اننى اهتديت الى ما يمكن أن أعتبره الحل الحقيقى لهذه القضية فاننى لا أملك أي دليل مادى على ذلك . ولكننى أعرف أنه الحل الصحيح لأنه لا يمكن أن يكون هناك أى حل آخر معقول غيره .

وسكت سكتة قصيرة ثم قال : - سأبدأ رحلتى من اللحظة التى كلفت فيها بالتحقيق فى هذه القضية ووضعت بذلك أمام أمر واقع . ومن رأيى أن كل قضية لها شكلها ومظهرها الخاص . وهذه القضية بالذات تدور حول شخصية مسز ليدنر . وأدركت اننى مالم أعرف أى نوع من النساء هى فاننى لن أستطيع الكشف عن القاتل ولا عن الدافع الذى دفعه الى ارتكاب جريمته .

" كانت نقطة البداية التى بدأت من عندها اذن هى : شخصية مسز ليدنر .

" ولفتت نظرى نقطة أخرى نفسية هى جو التوتر السائد بين أعضاء البعثة . وقد أجمع الجميع بأن سبب هذا التوتر هو تأثير مسز ليدنر عليهم ولكن هذه النظرية لم تؤد الى نتيجة مرضية كما سأتعرض لذلك فيما بعد .

" حاولت قبل كل شئ أن أحلل شخصية مسز ليدنر وتوفرت لى كل الوسائل فى

سبيل ذلك ، فقد كانت هناك ردود الفعل التى أحدثتها على المقيمين معها فى هذا البيت ، وكل منهم يختلف عن الآخر فى طبعه ومزاجه .

كانت ميول مسز ليدنر بسيطة وتكاد تكون صارمة ، وكان من الواضح أنها لم تكن تميل الى البذخ أو الترف ، ولكنها كانت من ناحية أخرى تقضى جل وقتها فى التطريز . وكان تطريزها يدل على أنها تحب الجمال والذوق السليم معا . ورأيت من الكتب التى تقرأها انها امرأة مثقفة وأنها الى جانب ذلك مفرطة فى الأنانية والغرور .

" وطبقا لأقوال الدكتور ريلى وأعضاء البعثة استنتجت أنها كانت تتمتع بجمال أخاذ وسلطان كبير .

والمرأة التى من هذا النوع تبذر فى طريقها المآسى والمصائب التى تصيب غيرها وتروح هى ضحية لها فى نفس الوقت .

" وأيقنت منذ البداية انها تحب نفسها حبا مفرطا ، وأنها فوق ذلك تحب ان تفرض سلطانها على الجميع ، رجالا ونساء على السواء . ولم يكن فى مقدور البعض مقاومة هذا السلطان كالآنسة ليذيران فان هذه الأخيرة كريمة الخلق وورمانسية فافتتنت بمسز ليدنر على الفور وأسرت قلبها . ولكن مسز ليدنر كانت تزاول تأثيرها بطريقة أخرى وأعنى بها الخوف . وعندما كانت تنتصر بسهولة كبيرة كانت تترك العنان لغرائزها القاسية . ولا أقول ان قسوتها هذه قسوة واعية وانما هى قسوة فطرية كقسوة القط حين يلعب بالفأر . أما فى تصرفاتها العادية فقد كانت طيبة جدا .

" ولكن كانت مسألة خطابات التهديد أهم شئ ، فمن الذى كتبها ولأى غرض ؟ وهل يعقل أن تكون هى التى كتبتها لنفسها ؟

" ولكى أرد على هذا السؤال يجب أن أعود القهقرى الى زواج مسز ليدنر الأول ، فمن هناك تبدأ رحلتنا حقا ... رحلتنا فى حياة مسز ليدنر .

" وقبل كل شئ يجب ان نفهم ان لويز ليدنر التى عاشت كل تلك السنوات الماضية

هى لويز ليدنر التى عرفتموها بنفسها .

" كانت فى ذلك الوقت فى مقتبل الشباب وجميلة جدا ... أعنى ذلك الجمال الأخاذ الذى يسلب قلوب الرجال . وكانت الى جانب ذلك أنانية الى حد كبير .

" ومثل هذه المرأة تتمرد لمجرد فكرة الزواج ... يمكن ان تميل الى الرجال ولكنها تفضل ألا يمتلكها أى واحد منهم . ومع ذلك فان مسز ليدنر تزوجت ، ولا أخطئ اذا قلت ان زوجها كان على جانب كبير من قوة الشخصية والارادة .

" وعندما علمت انه يقوم بالتجسس لحساب دولة أجنبية وشت به لحكومتها وطبقا لاعترافاتها لمس ليذيران فقد وشت به مدفوعة بحبها لوطنها . ولكن كلا منا يحاول ان يبرر أفعاله وان يعزوها الى أنبل المشاعر . ومن الممكن ان تكون مسز ليدنر قد أقدمت على ذلك العمل مدفوعة بحبها لوطنها ولكن من رأيى انها أرادت ان تتخلص منه لأنها كانت تكره أن يسيطر عليها أى رجل .

" ونصل الآن الى مسألة الخطابات . كانت مسز ليدنر تغزو قلوب الرجال . ومالت اليهم مرارا كثيرة ... ولكن كان يصلها فى كل مرة خطاب تهديد يهدم كل آمالها ... فمن الذى كان يكتب هذه الخطابات ؟ أهو فريدريك بوسنر أم أخوه ويليام أو لويز ليدنر نفسها ؟

" ان كلا من هاتين النظريتين تساند الأخرى ، فأن مسز ليدنر جديرة بأن تدفع أى رجل الى أن يحبها حبا جنونيا يمكن ان يتحول الى فكرة ثابتة . وأميل الى الاعتقاد بأن مستر فريدريك بوسنر موجود حاليا وأنه أحبها أكثر من أى شخص آخر فى العالم . ولكنها خانته بحيث لا يجرؤ على الظهور أمامها من جديد . الا أنه أقسم بأنها لن تكون لرجل غيره ، وانه لأهون عليه ان يقتلها من ان يتزوجها رجل آخر .

" ومن ناحية أخرى ، اذا كانت مسز ليدنر تنفر كل هذا النفور من الروابط الزوجية فمن الممكن أن تكون استخدمت هذه الطريقة لاقصاء الراغبين فى الزواج منها ، ففى

كل مرة يطلبها رجل للزواج كان يصلها خطاب تهديد .

" وتأتى الآن الى مرحلة على جانب كبير من الأهمية ، فقد ظهر الدكتور ليدنر ، وفى هذه المرة لا يعترض أى خطاب على أن تصبح مسز ليدنر ... صحيح يصلها خطاب جديد ولكنه يصل بعد الزواج .

" ونتساءل على الفور عن السبب ؟ ... ونعود عندئذ الى النظريات الثلاث ... فاذا كانت مسز ليدنر هى التى كتبت هذه الخطابات فاننا نجد الحل فورا ويكمن فى أن مسز ليدنر أرادت أن تتزوج الدكتور ليدنر بالذات وأنها بلغت غرضها . ولكن اذا كان الأمر كذلك فلماذا أرسلت لنفسها خطابا بعد ذلك ؟ هل كان حبها للرومانسية عنيفا الى هذا الحد ؟ ... لقد مر على زواجها سنة ونصف لم يصلها فيها أى خطاب .

" ولننتقل الآن الى النظرية الثانية . اذا كان فريدريك بوسنر هو الذى كتب هذه الخطابات (أو أخوه) . فلماذا أتى خطاب التهديد بعد الزواج ؟ ... طبقا للظواهر لم يكن فريدريك بوسنر راضيا ان تتزوج لويز بليدنر فلماذا لم يمنع زواجها بنفس الطريقة التى اتبعها قبل ذلك ؟ ... ولماذا استمر فى تهديداته بعد الزواج ؟

" لا ريب ان مستر بوسنر استحال عليه ذلك ولم يستطع ارسال خطابات التهديد قبل الزواج اما لأنه كان فى السجن واما لأنه كان فى الخارج . ولكن هذا التفسير لا يرضينى ابدا .

" ولننتقل الآن الى محاولة الاختناق بالغاز . لا يمكن ان نتهم شخصا من الخارج . وانني أعزو هذه المحاولة اما لمسز ليدنر واما للدكتور ليدنر . ولكن ليس هناك سبب يحدو بالدكتور ليدنر الى أن يفعل ذلك ، ولهذا أرانى مضطرا الى الاستنتاج بأن مسز ليدنر هى التى قامت بهذه المهزلة .

" لماذا ؟ ... حبا فى المأساة دائما " .

" وبعد ذلك يسافر مستر ومسز ليدنر الى الخارج لمدة ثمانية عشر شهرا ويقضيان

حياة سعيدة لا يخيم على سعادتهما أى شئ واظن ان كلا منهما راح يهنئ الآخر لأنهما أفلحا فى تضليل عدوهما ولكن مثل هذا الظن سخيف خصوصا فى حالة آل ليدنر بالذات .

" اذ كيف يتمكن عالم مشهور من علماء الآثار من تضليل أى شخص ؟ ان فى مقدور فريدريك بوسنر ان يعرف عنوانه اذا اتصل بأى متحف امريكى . واذا كانت موارده المالية لم تسمح له بملاحقة الزوجين بنفسه فلم يكن هناك ما يمنعه من الاستمرار فى ارسال خطابات التهديد فان رجلا تلح عليه مثل هذه الفكرة الثابتة لا يتوقف فى منتصف الطريق .

" ولكننا لا نسمع عنه أى شئ طوال سنتين ، ثم تأتى بعد ذلك رسائل التهديد لمسز ليدنر من جديد ، فلماذا ؟

" من العسير الرد على هذا السؤال ... ومن السهل الادعاء بإن مسز ليدنر أرادت ان تفرض سلطانها من جديد . ولكن مثل هذا الادعاء لا يرضينى خاصة وان مسز ليدنر امرأة عاقلة ولا يمكن ان تلجأ الى مثل هذه الطريقة المبتذلة مرة أخرى .

كانت هناك ثلاثة احتمالات محددة اذن . الأول هو ان تكون مسز ليدنر هى التى كتبتها لنفسها والثانى أن يكون كاتبها فريدريك بوسنر أو ويليام بوسنر والثالث ان يكون شخص على علم بخطابات التهديد السابقة هو الذى كتب الخطابات الأخرى

" وانتقل الآن الى المقيمين مع مسز ليدنر لدراسة موقف كل منهم واحتمال ارتكابه لهذه الجريمة .

" ثبت بما لا يقبل الجدل أن الدكتور ليدنر لم يغادر السطح وان مستر كارى كان يشرف على الحفائر وان مستر كولمان ذهب الى الحسينية . ولم يكن هناك شك فى أن الدكتور ليدنر كان موجودا فوق السطح ولم يغادره . ولكن مستر كارى ؟ ... ألم يبرح الحفائر ويأت الى البيت ؟ وهل كان مستر كولمان فى الحسينية حقا ؟

أحمر وجه بيل كولمان وفتح فمه لكى يتكلم ولكنه لم يلبث أن أطبقه ونظر حوله فى ارتباك . أما مستر كارى فلم تتغير ملامحه وبقى جامد الأسارير .

واستطرد بوارو يقول فى هدوء : - وفكرت كذلك فى شخص آخر كان فى مقدوره ان يرتكب هذه الجريمة وأعنى به مس ريلى فقد اعترفت لى بأنها كانت تكره القتيلة وأنها أحست بالرغبة فى قتلها . وعندما سألتها أين كانت ساعة الجريمة نطقت بكذبة عديمة الجدوى قالت انها كانت تلعب التنس فى النادى فى ذلك اليوم . ولكننى فى اليوم التالى كنت أتحدث مع مس جونسون فقالت لى أنها رأت مس ريلى على مقربة من البيت ساعة الجريمة . وخطر لى أنها قد تخبرنى بشئ مفيد اذا كان ضميرها مستريحا .

وسكت هنيهة ثم قال يسأل الفتاة : - مس ريلى ... هل لك أن تقولى لى ماذا رأيت فى ذلك اليوم ؟

لم تجب على الفور . كانت لا تزال تنظر الى النافذة ، وقالت فى صوت هادئ متزن دون أن تلتفت .

- ذهبت الى الحفائر بعد الغداء وبلغتها فى نحو الساعة الثانية الا الربع

- هل التقيت بأحد معارفك ؟

- كلا . لم أر هناك غير رئيس العمال العربى .

- ألم ترى مستر كارى ؟

- كلا

قال بوارو : - غريب ، ... هل يمكنك ان تفسر لنا ذلك يا مستر كارى ؟

أجاب كارى : - كان العمال يقومون بعملهم المعتاد فخطر لى أن أقوم بجولة .

- فى أية ناحية ؟

- ناحية النهر

- ألم تذهب الى البيت ؟

- كلا .

سألته مس شيلى : - لا ريب انك كنت تنتظر شخصا لم يأت .

نظر كارى اليها ولم يجب . وتحول بوارو الى الفتاة وسألها ثانية :

- ألم ترى شيئا آخر يا آنسة ؟

- نعم ، رأيت سيارة النقل على مقربة من البيت . وبدا لى ذلك غريبا ، ولم ألبث أن رأيت مستر كولمان : يمشى مطرق الرأس كما لو كان يبحث عن شئ . صاح كولمان :

- انتظرى ... اننى ...

قاطعه بوارو فى قوة : - صبرا ... هل خاطبته يا مس ريلى ؟

- كلا ، يا سيدى .

- لماذا ؟

أجابته الفتاة فى بطء : - لأنه كان يلقى حوله من وقت لآخر نظرة مترددة لم أسترح لها ، فلويت عنان جوادى وابتعدت . ولا أظن انه رآنى لأننى لم اقترب منه ثم أنه كان مشغولا ببحثه .

لم يستطع مستر كولمان الا ان يبرر نفسه فقال : - اصغ الى . يمكننى ان أوضح لك الأمر . كنت قد وضعت مخطوطا رائعا فى جيبى فى اليوم السابق ونسيت ان أعيده الى غرفة الآثار . وفيما بعد تحققت من ضياعه وخطر لى أنه ربما وقع فى مكان ما . وتجنبا لأى سوء تفاهم رأيت ألا أتحدث عنه وان أبحث عنه بنفسى . وفرغت من مهمتى فى الحسينية بأسرع ما يمكن ثم عدت فى وقت مبكر فأوقفت السيارة على مقربة من البيت وأخذت أفتش الطريق تفتيشا دقيقا . ولكننى لم أعثر عليه ، فركبت السيارة وعدت الى البيت واعتقد الجميع اننى آت من الحسينية لتوى .. وتركتهم على اعتقادهم هذا ... كان من السهل ان تذكر لهم الحقيقة .

- ولكن لم كل هذا التعقيد ؟ ... لا يمكن ان تثبت أى شئ ضدى .. اننى لم أدخل الفناء واتحداك أن تجد شاهدا يقول العكس .

قال بوارو : - هذه مسألة عسيرة حقا . فان الخدم أجمعوا فى أقوالهم على أن أحدا لم يدخل ولكننا لم نسألهم اذا كانوا قد رأوا أحدا من أعضاء البعثة .

- سلهم من جديد . اننى أراهن بكل ما تريد على أنهم لم يرونى ولم يروا كارى كذلك .

- ولكن هذا أمر مثير حقا . فلو ان أحدا غريبا قد دخل لرأوه . ولكنهم ما كانوا ليهتموا بأى فرد من أعضاء البعثة لأنهم اعتادوا أن يروهم يمشون فى كل لحظة . ومن الممكن ان يكون مستر كارى أو مستر كولمان قد دخل الفناء دون ان يفطن الخدم اليهما .

قال كولمان : - هراء .

- وكان فى مقدور مستر كارى ان يمر دون ان يلحظه أحد لأن مستر كولمان ذهب الى الحسينية فى السيارة . وكانوا يتوقعون عودته بالسيارة . ولو أنه دخل على قدميه لأثار دهشتهم .

نهض كارى وقال : - مستر بوارو ... هل تتهمنى بارتكاب جريمة القتل ؟

هز بوارو رأسه وقال : - انما أحملكم الآن الى رحلة ... رحلة نحو الحقيقة . أردت ان ابين لكم فقط ان كل فرد من أعضاء البعثة كان فى مقدوره ارتكاب جريمة القتل . ولكننى سأحدثكم الآن بكل صراحة ... بل بكل قسوة ، فمن الضرورى ان أكشف خبايا هذا البيت .

" اننى درست نفسية كل منكم . ولنبدأ بالدكتور ليدنر . لم البث ان اكتشفت ان حبه لزوجته هو سبب تشبثه بالحياة وانه رجل يؤرقة الألم ويعذبه . ثم تحول اهتمامى بعد ذلك الى مستر ومسز مركادو وتساءلت فى بادئ الأمر اذا كانت مسز مركادو

جديرة بارتكاب هذه الجريمة ولأى دافع .

" بدا لى فى بداية الأمر أن مسز مركادو لا تملك القوة الضرورية لكى تضرب مسز ليدنر بالمطحنة وأن كانت تملك الدافع وهو الغيرة فقد كانت تكره مسز ليدنر لأنها غزت قلب زوجها وسحرته . ولكننى كنت مقتنعا ان مسز ليدنر لم تكن تعير مستر مركادو أى اهتمام حقيقى . وكانت مسز مركادو تعلم ذلك ولعلها حقدت عليها فى بادئ الأمر . ومهما يكن فلابد من سبب قوى يدفع المرأة الى القتل . وكانت مسز مركادو تكن لزوجها عاطفة أموية . ومن نظرتها اليه أدركت على الفور انها لا تحبه فحسب ولكنها لن تحجم عن ان تدافع عنه كالنمرة . كانت على حذر دائما ودائمة الخوف ، ليس على نفسها ولكن على زوجها . وراقبت مستر مركادو عن كثب ولم البث أن خمنت حقيقته. واستخدمت خدعة بسيطة لكى أتأكد من شكوكى وأيقنت بذلك انه يتعاطى المخدرات بطريقة تدل على الادمان الشديد .

" وغنى عن البيان أن أقول ان الادمان على تعاطى المخدرات من شأنه أن يرهف القوى العقلية وأن يضعفها . ويمكن للرجل تحت تأثير المخدرات أن يقدم على أعمال ما كان ليهبط اليها قبل ان ينزلق الى هذه الرذيلة ... يمكن ان يقدم على القتل ، ومن السمات المميزة لمدمن الأفيون ثقته الكبيرة فى ذكائه الخارق

" فهل فى حياة مستر مركادو فضيحة أو جريمة تمكنت مسز مركادو وحتى اليوم من اخفائها عن العالم ؟ لو صح ذلك فان مستقبله سيضيع لا محالة اذا انكشف أمره . وكانت زوجته على حذر دائما وكانت تحسب حسابا لذكاء مسز ليدنر ولتأثيرها على الرجال وخشيت ان تكتشف سر زوجها فيكون فى ذلك ضياعهما معا .

" وهذا دافع معقول فيما يتعلق بمستر و مسز مركادو . ان هذه الأخيرة لا تحجم عن شئ لحماية زوجها . وفى خلال الدقائق العشر التى بقى فيها الفناء شاغرا كان أمامها كل الوقت الكافى ...

صاحت مسز مركادو : - هذا غير صحيح .

- ثم درست بعد ذلك حالة مس جونسون ... ورأيت أنه يحتمل ان تكون قتلت مسز ليدنر فربما اقتنعت لسبب من الأسباب ان مسز ليدنر أفسدت حياة زوجها . والغيرة العمياء التى ترقد فى أعماقها يمكن ان تدفعها الى ارتكاب مثل هذه الجريمة .

" ثم يأتى الرجال الثلاثة بعد ذلك ، وأعنى بهم كارل ريتر وبيل كولمان ودافيد أيموت ، وكل منهم من الجائز ان يكون ويليام بوسنر .

صاح كولمان : - ما هذه الحماقة ؟ ... اننى اتساءل لماذا نصغى طوال هذاالوقت الى هذا الثرثار .

وقال بوارو دون ان يعيره أى اهتمام : - والباقيان فى القائمة هما ريتشارد كارى والأب لافينى .

" طبقا لشهادة الآنسة ليذيران والآخرين كان كل من مستر كارى ومسز ليدنر يكره الآخر . ولكن مس ريلى ذكرت رواية أخرى تختلف تماما . ولم ألبث ان رأيت انها على حق ، وتأكدت من ذلك عندما حثثته على ان يتكلم بدون حذر ،ولاحقته بأسئلتى الى أن اعترف أخيرا بأنه يكره مسز ليدنر وانه يمقتها كل المقت .

" وتساءلت عن سبب هذه الكراهية ولم ألبث ان رأيت لها تعليلا مقبولا ومعقولا ، فان مستر كارى رجل جذاب وهو صديق حميم للدكتور ليدنر وقد عامل مس ليدنر فى البداية فى غير اهتمام أو اكتراث . واستاءت هذه الأخيرة لذلك . وعملت على ان تفرض سلطانها عليه بكل طريقة وحاولت ان تغزو قلبه ولكن وقع ما ليس فى الحسبان فقد وقعت فى حبه وكان حبها عنيفا جارفا .

" أما هو فلم يستطع ان يقاوم . وهذا يدلنا على سبب ما كان يعانيه من توتر فقد كان موزعا بين عاطفتين مختلفتين ، كان يحب لويز ليدنر ويكرهها فى نفس الوقت . كان يكرهها لأنها اعتدت على اخلاصه لصديقه ، ولا أعرف كراهية أقوى من تلك

التى يشعر بها رجل دفعه القدر الى ان يحب امرأة رغما عنه .

" ألم يكن هذا الدافع كافيا ؟ ... اقتنعت لمدة لحظات ان ريتشارد كارى تمنى ان يرفع يده ويضرب بكل قسوة تلك التى سحرته وخلبت عقله .

" ولم أكف أبدا عن الاعتقاد بأن مصرع لويز ليدنر كان جريمة غرامية ورأيت فى كارى النموذج المثالى لمثل هذا النوع من الجريمة .

" بقى أمامنا بعد ذلك الأب لافينى ، أثار هذا الأب اهتمامى اليه بالتباين الواضح فى الوصف الذى أدلى به عن الرجل الذى كان يحاول اختلاس النظر من النافذة وبين الوصف الذى ذكرته عنه الآنسة ليذيران وأوصاف الشهود تحتوى عادة على تناقضات مختلفة ولكن التناقضات هذه المرة كانت غريبة . وقد أصر الأب لافينى على أن بالرجل حولا وأدركت أنه يحاول ان يضللنا فى أبحاثنا ... كما لو كان يريد أن يحمى ذلك الرجل .

" لم يكن هناك ريب اذن فى انه يعرف الرجل . وقد شوهد وهو يتحدث اليه بعد ذلك ولكن لم يعرف أحد موضوع حديثهما .

" ماذا كان يفعل ذلك العراقى عندما رأته الآنسة ليذيران ومسز ليدنر ؟ كان يحاول ان ينظر الى غرفة هذه الأخيرة ؟ ... كان هذا اعتقادهما ولكننى ذهبت الى حيث كان يقف ورأيت أنه كان فى مقدوره أن يرى غرفة الآثار كذلك .

" وفى الليلة التالية حدث شئ عجيب . فقد تسلل أحد الأشخاص الى غرفة الآثار ومع ذلك فلم يسرق شيئا منها . وعندما جاء الدكتور ليدنر وجد فيها الأب لافينى وقال له هذا الأخير أنه رأى نورا فدخل ليستطلع الأمر .

" بدأ الأب لافينى يثير حيرتى . وعندما افترضت أنه يمكن ان يكون فريدريك بوسنر اعترض الدكتور ليدنر وقال ان الأب لافينى راهب مشهور معروف منذ أكثر من عشرين سنة وأنه لا يمكن أن يكون فريدريك بوسنر .

" لم يكن أحد من أعضاء البعثة يعرف الأب لافينى قبل ذلك فلماذا لا يكون اذن رجلا آخر ينتحل شخصيته ؟ وعلمت ان الدكتور بيرد لم يلتحق بالبعثة بسبب مرضه وانكم بعثتم برقية الى قرطاجة تطلبون قدوم الأب لافينى . ووقعت هذه البرقية بين يدى رجل ذكى له بعض المعرفة بالآثار انتهز هذه الفرصة للانضمام الى البعثة .

" وأدركت عندئذ ان الأب لافينى رجل دعى محتال . وتبادلت معه حديثا طويلا . وأنا أعرف رهبانا كثيرين وبدا لى ان الأب لافينى على غير ما يتظاهر به وبكن شخصيته بدت لى مألوفة لأسباب أخرى فقد تعاملت كثيرا مع أشخاص على شاكلته ، وهؤلاء الأشخاص لا يمتون أبدا الى الرهبان .

" وأرسلت عندئذ البرقية تلو البرقية .

. وقدمت لى الآنسة ليذيران دون ان تدرى دليلا هاما فقد كنا نشاهد الحلى الذهبية فى غرفة الآثار عندما حدثتنى عن بقعة من الشمع على كوب ذهبى . فقلت " شمع " . وصاح الأب لافينى " شمع ؟ " وكانت لهجته كافية لكى أفهم سبب وجوده مع البعثة .

وسكت بوارو سكتة قصيرة ثم تحول الى الدكتور ليدنر وقال : -

- يؤسفنى أن أقول لك يا سيدى أن الكوب الذهبى والخنجر الذهبى وكل الحلى الذهبية ليست هى نفس الحلى التى استخرجتموها من باطن الأرض وانما هى نسخ مطابقة لها مصنوعة بطريقة الطبع الكهربائى وهذه البرقية التى جاءتنى الآن تفيدنى بأن الأب لافينى ما هو الا لص مشهور معروف باسم راوول منيير يبحث عنه البوليس وقد تخصص فى سرقة التحف الفنية من المتاحف بالاشتراك مع جوهرى تركى اسمه على يوسف .

" وعلمت ان منيير كان يتأهب لسرقة بعض التحف من دير بتونس عندما وصلت برقيتكم . وكان الأب لافينى مريضا فرد عليكم بأنه لا يستطيع الانضمام اليكم ولكن منيير استطاع ان يحتجز برقيته وان يستبدلها ببرقية أخرى يخبركم فيها بقبوله

الانضمام اليكم .

" وجاء منبيرى وشريكه وشوهد هذا الأخير لأول مرة وهو يحاول اختلاس النظر الى غرفة الآثار . كان دور الأب لافينى يقتصر على أن يأخذ قوالب من الشمع للتحف التى يريدها ويقوم على يوسف بصنع صور متقنة لها . والعالم لايخلو من هواة يدفعون مبالغ خيالية للتحف القديمة الحقيقية . وكان على الأب لافينى أن يضع الصور الزائفة مكان الحقيقة أثناء الليل .

" وكان هذا ما يقوم به عندما سمعته مسز ليدنر وأعطت اشارة الخطر فماذا يفعل؟ أختلق على الفور قصة الضوء الذى رآه فى غرفة الآثار .

" وصدقه الجميع الا مسز ليدنر فلم تنطل عليها حيلته وتذكرت آثار الشمع التى سبق أن لحظتها واستنتجت كل شئ . ولا ريب انها هددته بأن تقول كل شئ فخشى الأب لافينى افتضاح أمره وقتلها .

" ان الأب لافينى الدعى لص ... فهل هو قاتل أيضا . ؟

راح بوارو يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا وأخرج منديلا من جيبه جفف به جبينه قبل أن يقول :

- هذه هى نتيجة أبحاثى صباح اليوم . كان أمامى ثمانية رجال كل منهم يمكن أن يكون القاتل . ولكن من منهم القاتل بالذات ؟

" غير أن الجريمة تصبح عادة ومن قتل مرة لابد أن يقتل بعد ذلك ، ولكن الجريمة الثانية وضعت القاتل تحت رحمتى .

ولندرس الآن الحقائق الخاصة بالجريمة الثانية .

أولا : وجدت الآنسة ليذيران يوم الأحد الآنسة جونسون تبكى وفى المساء حرقت الآنسة جونسون جزءا من خطاب اعتقدت الآنسة ليذيران ان الذى كتبه هو الذى كتب خطابات التهديد بالذات .

ثانيا : رأت الآنسة ليذيران الآنسة جونسون فى الليلة التى سبقت مصرعها واقفة على السطح وهى فى حالة كبيرة من الاضطراب . وعندما سألتها عما بها قالت " اننى رأيت كيف يمكن للانسان ان يدخل من الخارج من غير أن يراه أحد . " ولم تزد على ذلك . وكان الأب لافينى يجتاز الفناء وكارل ريتر واقفا على باب غرفته .

" ثالثا :نطقت الآنسة جونسون وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة بكلمة هى " النافذة " .

" تلك هى الحقائق وهذه هى الأسئلة التى يجب أن نجد لها حلا :

" من الذى كتب الخطابات ؟

" وماذا رأت الآنسة جونسون وهى فوق السطح ؟

" وماذا أرادت أن تقول بكلمة النافذة ؟

" ولننظر الآن الى السؤال الثانى لأنه اسهلها . صعدت الى السطح برفقة الآنسة ليذيران ووقفت فى المكان الذى كانت تقف فيه مس جونسون . ومن مكانى هذا رأيت الفناء والباب العمومى والجانب الشرقى للبيت ورجلين من رجال البعثة ، فهل كانت تقصد بكلماتها مستر ريتر أو الأب لافينى ؟

" وعلى الفور قفز بذهنى تفسير معقول . لو أن رجلا غريبا دخل من الخارج فلا يمكن أن يكون ذلك الرجل قد دخل الا متنكرا ، ولم يكن هناك غير رجل واحد تسمح له ثيابه بأن يفعل ذلك . وهذا الرجل هو الأب لافينى فقد كان بامكانه اذا لبس خوذته ووضع نظارته على عينيه لكى تحميه من الشمس أن يدخل بثوبه الطويل الفضفاض من الباب دون أن يثير اهتمام الخدم .

" أهذا هو ما كانت تعنيه مس جونسون ؟ أو تراها خمنت أن الأب لافينى دعى ؟

" مع كل ما كنت أعرفه عن الأب لافينى كان راوول منير هو القاتل . قتل مسز ليدنر لكى يحملها على الصمت ثم أو عزت اليه مس جونسون بأنها تعرف أمره فلم يسعه الا أن يقتلها هى الأخرى .

" وهكذا يتضح كل شئ ... الجريمة الثانية وفرار الأب لافينى الى سوريا وشريكه ومع كل منهما جواز سفر سليم لاغبار عليه كما لو كانا رجلين شريفين ثم اكتشاف المطحنة الملوثة بالدم تحت فراش مس جونسون .

" كما قلت لكم شعرت بالاتياح تقريبا ... ولكن الحل السليم يجب أن يفسر كل شئ . ولم يكن الأمر كذلك .

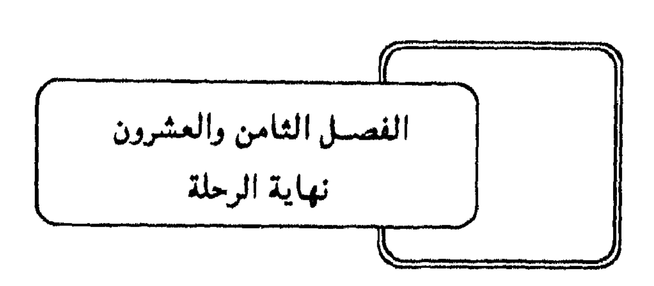
" فهو لا يفسر مثلا كلمة النافذة التى نطقت بها مس جونسون وهى تجود بأنفاسها ولا سبب بكائها ولا اضطرابها فوق السطح ورفضها أن تكشف لمس ليذيران ما تعرفه أو تشك فيه .

" كان هو الحل يسوى الحقائق السطحية ولكنه ترك فى الظل المسألة النفسية .

" وبينما كنت أقف فوق السطح أفكر فى هذه المسائل الثلاث : الخطابات والسطح والنافذة رأيت ... كما رأت مس جونسون .

وفى تلك المرة اتضح كل شئ لعينى .

* * *



الفصـل الثامن والعشرون
نهاية الرحلة

ردد بوارو البصر وحوله فاذا الجميع ينظرون اليه فى اهتمام وقد أدركوا أن قنبلة سوف تنفجر . وقال فى هدوء .

– قلت أن ثلاثة رجال يملكون الدليل القاطع بالنسبة لساعة الجريمة . وقد أوضحت منذ لحظات ضعف دليلين منهما ، واعترف الآن بغلطتى فان الدكتور ليدنر لم تسنح له الفرصة بأن يقتل زوجته فحسب ولكننى واثق من أنه قتلها فعلا .

ساد صمت . ولم ينطق الدكتور ليدنر بكلمة ... بدا انه ضائع فى دنيا بعيدة . ومع ذلك فان دافيد أيموت تولاه الاضطراب وقال مرتبكا :

– ماذا توعز بقولك هذا يا مستر بوارو ؟ ألم أقل لك أن الدكتور ليدنر لم يغادر السطح قبل الثالثة الا الربع ؟ اننى أكرر ذلك . انها الحقيقة التامة وأنا لا أكذب . لو أنه هبط لرأيته بكل تأكيد .

أحنى بوارو رأسه وقال : – أننى لا أشك فى كلامك . ان الدكتور ليدنر لم يبرح السطح . وهذه حقيقة ثابتة ولكن الذى فهمته وفهمته مس جونسون هو أن الدكتور ليدنر استطاع أن يقتل زوجته دون أن يبرح السطح .

اتسعت عيوننا جميعا فى حين صاح بوارو : – النافذة ... نافذة مسز ليدنر ... هذا ما فهمته كما فهمته مس جونسون . ان نافذتها كانت تحته مباشرة ، ليس من ناحية الفناء ولكن من الخارج وقد انتظر الدكتور ليدنر حتى بقى وحده وهو يعرف أن أحدا لا يراه وكانت هناك أحجار الرحى الثقيلة التى تستعمل فى طحن الحبوب . كان كل شئ يبدو بسيطا على شرط أن يتمكن القاتل من نقل الجثة من مكانها قبل أن يكتشفها أحد ... أوه ، كان ذلك رائعا وسهلا جدا .

" واليكم كيف تمت الجريمة :

" أن الدكتور ليدنر فوق السطح يعمل فى تبويب الآنية الفخار ويدعوك يامستر ايموت وبينما كان يتكلم معك لاحظ أن الصبى الصغير الذى يعمل ينتهز فرصة غيابك ليقطع عمله ويخرج من الفناء فيحتجزك معه عشر دقائق ثم يتركك تهبط وما أن تصل تحت وتدعو الغلام حتى يبدأ فى تنفيذ خطته .

" وهذه النافذة تطل على الريف وليس على الفناء .

" ومسز ليدنر راقدة على فراشها هادئة وسعيدة . وفجأة يبدأ القناع فى ارتطامة بلوح النافذة ويلفت نظرها ولكن الوقت لم يكن ليلا فى تلك الساعة بل نهارا فلا تفزع وترى الحقيقة .. دعابة سمجة . ويأخذها السخط كما تفعل أية امرأة مكانها فتهب من فراشها وتفتح النافذة وتخرج رأسها بين القضبان وتنظر الى أعلى لكى ترى من الذى يقوم بهذه الدعابة .

" وينتظر الدكتور اللحظة المناسبة وهو يمسك فى يده حجرا ثقيلا على استعداد لان يضرب . وفى اللحظة المنشودة يترك الحجر يهوى من يده ،

" اتطلق مسز ليدنر صيحة خافتة تسمعها مس جونسون وتقع على فرو الماعز الموجود أمام النافذة .

" وكان قد وضع قبل ذلك حيلا فى ثقب المطحنة وما عليه الآن الا أن يشد الحبل لكى يرفعها فيعيدها مكانها وهو يحرص على أن يجعل الناحية الملوثة بالدم من أسفل مع احجار الرحى الأخرى الموجودة على السطح .

" ويستأنف عمله لمدة ساعة الى أن يرى أن الوقت أصبح مناسبا لكى يقوم بحركته الثانية فيهبط السلم ويتبادل بضع كلمات مع مستر ايموت والآنسة ليذيران ويجتاز الفناء ويدخل غرفة زوجته واليكم مافعل طبقا لأقواله : رأيت جسد زوجتى مكوما بجوار السرير فوقفت لحظة مصعوقا لاأستطيع الحركة ثم ركعت بجوارها وأخذت رأسها

بين يدى وتحققت من أنها ماتت وأخيرا نهضت وقد تملكنى الذهول كما لو أننى قد شربت وأفلحت أخيرا فى بلوغ الباب وصرخت بأعلى صوتى

" قصة معقولة تماما من قبل رجل هده الألم . والآن سأذكر لكم ماأعتقد أنه الحقيقة دخل الدكتور الغرفة وأسرع الى النافذة ولبس قفازا ثم أغلق النافذة ونقل جثة زوجته بجوار الفراش وعندئذ لحظ بقعة من الدم فوق جلد الماعز بجوار النافذة فاستبدله بالجلد الآخر الموضوع أمام طاولة الزينة وبهذا اذا رأى أحد بقعة الدم فسيخطر له أن مسز ليدنر قتلت أمام طاولة الزينة وليس أمام النافذة وهذه نقطة هامة لأنه لم يكن يريد أن يفكر أحد فى الدور الذى لعبته النافذة ثم مضى بعد ذلك الى الباب متظاهرا بالحزن وكان هذا أمرا يسيرا بالنسبة له لأنه يحب زوجته حقا

وصاح الدكتور ريلى فى فروغ صبر :- أى عزيزى مستر بوارو .. اذا كان يحب زوجته كما يقول فلماذا قتلها .. ؟ ولكن دافع عن نفسك ياليدنر . قل لهذا الرجل أنه مجنون

لم يجب الدكتور ولم يحرك جفنا واستطرد بوارو ألم أقل منذ البداية أنها جريمة غرامية ؟ . لماذا هدد الزوج الأول مسز ليدنر بالقتل ؟ لأنه يحبها .. وقد بر بكلمته .

" نعم ، نعم .. منذ ان أدركت أن الدكتور ليدنر هو القاتل أخذ كل شئ مكانه

" وللمرة الثانية سأعود الى هذه الرحلة من البداية زواج مسز ليدنر الأول وخطاب التهديد وزواجها الثانى . أن هذه الخطابات منعتها من أن تربط حياتها برجل آخر ولكنها انقطعت ولم تعكر زواجها بالدكتور ليدنر . أن كل شئ ليبدو بسيطا جدا اذا كان الدكتور ليدنر هو فريدريك بوسنر نفسه .

" لنبدأ رحلتنا اذن ولكن مع فريدريك بوسنر هذه المرة .

" أنه قبل كل شئ يحب زوجته حبا جارفا ولكنها وشت به كجاسوس وحكم عليه بالموت بيد أنه تمكن من الهرب . وجاء اسمه خطأ بين ضحايا حادث للسكة الحديدية .

وعاد بشخصية جديدة فى صورة عالم آثار سويدى يدعى أريك ليدنر . أما الحقيقى فقد تشوهت جثته أثناء الحادث ودفن تحت اسم فريدريك بوسنر .

" ماهو مسلك اريك ليدنر ازاء الزوجة التى لم تتردد فى ارساله الى المشنقة ؟ .. أولا ، هناك نقطة هامة وهى أنه لايزال يحبها . ويبذل جهده لكى يخلق لنفسه شخصية جديدة وينجح هذا الرجل الفائق الذكاء ، كل النجاح ولكنه لاينسى حبه الكبير ويظل متتبعا أنباء زوجته ويستقر عزمه على شئ ولاتنسوا اعترافات مسز ليدنر للآنسة ليذيران فقد قالت عنه أنه رجل طيب وكريم ولكنه عنيف .. يستقر عزمه على أنها لن تكون لأحد غيره وكلما وجد ذلك ضروريا أرسل إليها خطاب تهديد . وقد بالغ الى حد أنه قلد خطها حتى اذا فكرت فى ابلاغ البوليس اتهمها هذا الأخير بأنها هى التى تكتب لنفسها هذه الخطابات . وفى نفس الوقت يترك الشك يحيط بحقيقة موته .

" وأخيرا ، وبعد سنوات عديدة يرى أن الساعة قد حانت فيظهر من جديد فى حياة لويز ويسير كل شئ كما يتمنى ولاتشك زوجته فى حقيقة أمره فهو رجل معروف وقد تغير الشاب الانيق الوسيم الذى كانت تعرفه من قبل فأصبح رجلا ناضجا محدودب الكتفين ونمت له لحية ويكرر التاريخ نفسه ويؤثر فردريك ليدنر فى زوجته مرة أخرى وترضى أن تتزوجه ولايأتى أى خطاب ليعوق هذا الزواج .

" ولكن لايلبث أن يأتيها خطاب بعد ذلك فلماذا ؟

" ذلك أن الدكتور ليدنر يريد أن يبعد عنه كل الشكوك ولايريد أن يجازف فتعرف زوجته أمره فأن حياتهما كزوجين يمكن أن توقظ ذكريات قديمة فى ذهنها وهو يريد أن تتأكد زوجته من أن فريدريك بوسنر واريك ليدنر رجلان مختلفان بحيث يرسل خطابا باسم فريدريك بوسنر تتبعه محاولة اختناق بالغاز وهى محاولة دبرها الدكتور ليدنر بنفسه ... دائما لنفس الغرض .

" ويشعر بالارتياح على أثر ذلك فلا حاجة به الى ارسال رسائل أخرى ويمكن

لزواجها ان يستمر دون أن تشويه أية شائبه .

" ولكن بعد نحو سنتين تعود الخطابات الى الظهور من جديد .

" فلماذا ؟ ... حسنا . أظن اننى اعرف السبب ... كان التهديد هذه المرة تهديدا حقيقيا وهذا يفسر سبب خوف مسز ليدنر فقد كانت تعرف عنف فريدريك وشراسته ... " اذا أصبحت لرجل آخر فسوف يقتلها " . وهى قد أصبحت عشيقة لريتشارد كارى .

" وهكذا دبر الدكتور ليدنر جريمة القتل بكل برود بعد أن اكتشف خيانة زوجته .

" اتفهمون الآن أهمية الدور الذى قامت به الآنسة ليذيران ؟

أراد الدكتور ليدنر أن تشهد ممرضة لشهادتها كل الوزن بأن مسز ليدنر قتلت منذ أكثر من ساعة عند اكتشاف جثتها ... ويقول آخر انها قتلت فى وقت يمكن للجميع أن يؤكدوا أن زوجها كان يزاول عمله فوق السطح أثناءه . كان من الممكن أن يرقى اليه الشك فى انه قتل زوجته عند دخوله الغرفة وعثروا على الجثة ولكن هذا الشك لن يلبث أن يزول اذا ما شهدت ممرضة متمرنة على ان زوجته لقيت حتفها قبل ذلك بساعة .

" واننى أفهم الآن سبب التوتر الذى يخيم على البعثة هذه السنة ولم أنسبه لحظة واحدة الى تأثير مسز ليدنر وحدها ومن رأيى أن السبب المباشر لهذا التوتر انما كان مصدره الدكتور ليدنر نفسه ، ولا عجب اذا كان أعضاء البعثة قد أحسوا بالتغيير دون أن يدركوا مصدره فان ليدنر المعروف برقته وأمانة طبعه كان يقوم بدوره خير قيام ، وكان فى الواقع مجنونا متعصبا تلح عليه فكرة القتل .

ولننتقل الآن الى الجريمة الثانية ... مقتل مس جونسون . فبينما كانت هذه الأخيرة تقوم بتنسيق أوراق الدكتور ليدنر فى مكتبه ، وهو عمل قامت به من تلقاء نفسها من غير أن يسألها الدكتور ذلك ، وقعت على مسودة غير كاملة لأحد خطابات التهديد .

وأخذها الاضطراب ازاء هذا الاكتشاف ... لقد أفزع الدكتور ليدنر زوجته عامدا . ولم تستطع أن تفهم السبب ولكن الأمر أزعجها فى حد ذاته أكبر الازعاج وفاجأتها

الآنسة ليذيران عندئذ وهى تبكى .

ولا أظن انها اشتبهت فى ذلك الوقت فى ان الدكتور ليدنر هو القاتل ولكن التجارب التى قمت بها فى غرفتى مسز ليدنر والأب لافينى كان لها تأثيرها عليها فقد ادركت انها اذا كانت قد سمعت صيحة مسز ليدنر فلابد أن نافذة غرفتها كانت مفتوحة فى ذلك الوقت ولا تعلق على هذه النقطة أهمية تذكر ولكنها ستظل عالقة بذهنها .

ويظل ذهنها يعمل لاستنباط الحقيقة . ولعلها ذكرت كلمة للدكتور ليدنر بخصوص خطابات التهديد ويدرك هذا الأخير ما يعتمل فى نفسها فيغير موقفه منها وترى مس جونسون ان الخوف يتملكه فجأة .

وفجأة ، وذات ليلة ، وبينما هى واقفة فوق السطح تتأمل تسطع الحقيقة فى ذهنها وتدرك أن الدكتور ليدنر قتل زوجته وهو واقف فوق السطح من خلال النافذة المفتوحة .

وفى هذه اللحظة بالذات تأتى الآنسة ليذيران وعلى الفور تتغلب عليها مودتها القديمة للدكتور فتحاول التمويه على الممرضة حتى لا تفطن الى الحقيقة فتنظر الى الناحية المضادة وتبدى ملاحظة أوحاها اليها ظهور الأب لافينى وهو يعبر الفناء فجأة . وتأبى ان تقول المزيد متعللة بأنه لابد لها أن تفكر . وكان الدكتور ليدنر يراقبها قلقا فيدرك انها عرفت الحقيقة ويعرف انها ليست من ذلك النوع الذى يخفى اشمئزازه ونفوره الى الأبد .

وصحيح انها لم تش به حتى الآن ولكن الى متى يمكن أن يعتمد على صمتها وكتمانها .

والجريمة تصبح عادة . وفى تلك الليلة يستبدل كوب الماء بكوب آخر يضع فيه حامض الكلورودريك وهو يعلل النفس بأن الناس قد يعتقدون أنها انتحرت بل انه علل

نفسه بأنهم قد يعتقدون انها هى التى قتلت مسز ليدنر ثم بكتها ضميرها بعد ذلك فانتحرت . وتعزيزا لهذا الاحتمال الأخير ينقل المطحنة ويخفيها تحت الفراش .

ولا عجب اذن اذا كانت مس جونسون المسكينة قد حاولت وهى تجود بأنفاسها الأخيرة ان تشير الى النافذة ... كانت تريد ان تقول ان جريمة القتل ارتكبت عن طريق النافذة وليس عن طريق الباب .

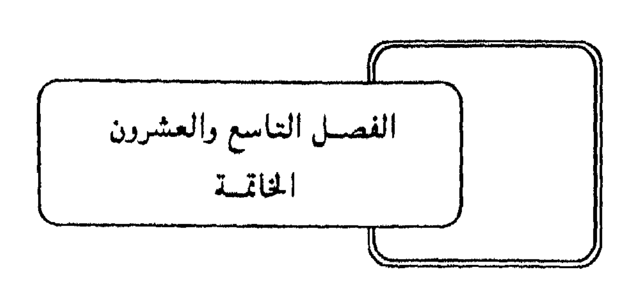
وهكذا نجد تفسيرا لكل شئ ويأخذ كل شئ مكانه . من الناحية السيكولوجية نجد أنفسنا أمام جريمة قتل كاملة . ولكن ليس لدينا أى دليل .. اطلاقا .

لم ينطق أى منا ، فقد أخذنا الفزع والهول كلنا ... نعم ... والرثاء كذلك ... رثينا كلنا له .

ولم يكن الدكتور ليدنر قد تحرك أو تكلم . بل بقى جالسا مكانه كما هو ... وبدا مكدورا مرهقا وقد شاخ فجأة . وأخيرا أتى بحركة خفيفة ونظر الى بوارو بعينيه المرهقتين وقال : - كلا . ليس لديكم أى دليل . ولكن ليس لهذا أية أهمية . فأنت تعرف أننى لن أنكر الحقيقة .. . أننى لم انكر الحقيقة ابدا ..بل اننى اعتقد ..اننى أشعر بارتياح ما ..اننى متعب جدا.

ثم قال فى بساطة : - اننى حزين من أجل آن ... فقد اقدمت على جزيمة بشعة سخيفة بقتلها ... ولكننى لم أكن أنا ... كنت قد فقدت زمام نفسى ... يا لها من امرأة مسكينة ! شد ما تألمت هى الأخرى ... نعم ... كنت قد فقدت زمام نفسى وغدوت رجلا أعماه الخوف . وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة واستطرد : كان بمقدورك أن تكون عالم آثار ممتازا يا مستر بوارو . فإنك تملك موهبة اعادة الماضى ...لقد كان الأمر كما ذكرت فعلا ... إننى أحببت لويز وقتلتها ، ولو أنك عرفت لويز لفهمتنى . بل أظن انك فهمتنى على كل حال .

* * *



الفصـل التاسع والعشرون
الخاتمـة

لم يعد هناك الكثير فقد ألقى رجال البوليس القبض على الأب لافينى والرجل الآخر وهما يهمان بركوب باخرة الى بيروت .

وتزوجت شيلا ريلى بدافيد أيموت . والواقع أن هذا الشاب هو خير زوج لها فهو ليس بالرجل المسالم الخنوع وسيعرف كيف يروضها ، ولو أنها تزوجت كولمان لاساءت معاملته .

وبهذه المناسبة قمت بتمريض بيل فى العام الماضى بعد أن اجريت له عملية ازالة الزائدة الدودية . وقد أحببت هذا الشاب كثيرا . وبعد أن شفى أرسلته أسرته الى جنوب افريقيا للاشتغال بالزراعة .

أما انا فلم أعد إلى الشرق بعد ذلك . والغريب اننى أشعر بالحنين اليه من وقت لآخر وأتذكر صوت الساقية وأرى النساء يغسلن ثيابهن على شاطئ نهر دجلة والجمال المتعالية وهى ترمينى بنظراتها الغريبة ومهما يكن فلا ريب أن القذارة صحية على غير ما يقال لنا .

ويأتى الدكتور ريلى لزيارتى كلما أقبل الى لندن . وكما قلت فى البداية فانه هو المسئول غير المباشر عن هذه القصة ، وقد قلت له " خذها أودعها اننى أعرف انها مليئة بالاخطاء النحوية وان اسلوبها غير سليم " .

ولكنه أخذها دون أى تردد وانه لتأخذنى الدهشة كل مأخذ لو أن أحدا رضى ان يطبعها .

وعاد مستر بوارو الى سوريا وبعد اسبوع عاد الى الوطن فى قطار الشرق وعهد

اليه فى جريمة قتل وقعت به ، ولا أنكر أنه كان ذكيا وأنه رأي مالم يره أحد غيره .

ويحدث لى أن أفكر فى مسز ليدنر من وقت لآخر وأن اتساءل كيف كانت حقا ... أراها أحيانا امرأة فظيعة ... وأحينا أخرى أتذكر رقتها معى وصوتها الحنون وشعرها الأشقر الجميل ... وعندئذ لا يسعنى الا أن ازثى لها من كل قلبى .

وعلى الرغم منى أرانى أرثى أيضا الدكتور ليدنر . وانني أعرف انه ارتكب جريمتى قتل ولكن ليس لى ان احكم عليه مع ذلك فقد كان يحب زوجته كل الحب وان من الفظاعة ان يحب رجل امرأة بهذه الصورة .

وكلما تقدم بى العمر كلما التقيت بأشخاص يغلب عليهم الحزن والمرض وكلما ازداد حزنى ورثائى لهم ، وكثيرا ما أتساءل أين ذهبت المبادئ الصادقة التى ربتنى عمتى عليها ... كانت امرأة متدينة جدا ، لم تكن هناك نقيصة من نقائص الجيران الا وتعلم بها ، أوه ... لقد صدق الدكتور ريلى ... ولا أعرف كيف اتوقف عن الكتابة... لو استطيع أن اختم قصتى بعبارة جميلة .

يجب أن أسأل الدكتور ريلى عن عبارة عربية .. كتلك العبارة التى استخدمها مستر بوارو .

" بسم الله الرحمن الرحيم " .

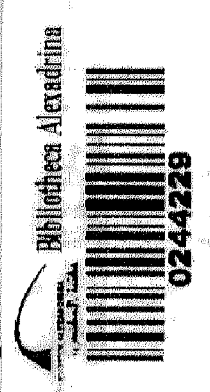
أو شئ آخر من هذا القبيل .

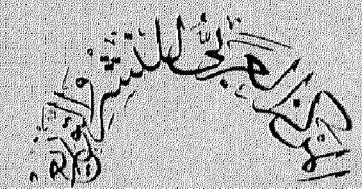
تمت بحمد الله

مجموعة قصص أجاثا كريستي

ترجمة الاستاذ / محمد عبد المنعم جلال

جريمة في العراق	اللغز المثير
العميل السري	القاتل الغامض
أدلة الجريمة	جريمة فوق السحاب
اختطاف رئيس الوزراء	الجريمة المعقدة
قتيل في المترو	المتهمة البريئة
الرسائل السوداء	الجريمة الكاملة
التضحية الكبرى	مغامرات بوارو
ذكريات	الساحرة
سر التوأمين	ابواب القدر
جريمة مثلثة	القضية الكبرى





اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس - ت : ٥٧٤٣٦١١

بالمـ ... ردية
مكـ ... ب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض